جيل الستينيات

جيل وطنى قومى موهوب
يبنى مصر اليوم ومصر الغد

د. حسين مؤنس



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٣

ـالإخراج الفنى : **مادلين أيوب فرح** ـ

السيد الرئيس حسنى مبارك

الدكتور سمير سرحان

الدكتور ممدوح البلتاجى

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

فى هذا المقال أحاول أن أصحح ظاهرة انتشرت فى عصرنا هذا وأساءت إلى هذا الوطن العزيز إساءة بالغة ، فكل انسان تلقاه يقول لك إن بلادنا قد فسدت ، وأن اللصوصية انتشرت بين المواطنين ، وأننا لا ينبغى أن نغضب لما يصدر عن المواطنين من سوء التصرف أو المهين من الكلام .

وأنا أعرف أن الأخلاق تغيرت فى الدنيا كلها ، واللصوص ــ من الموظفين خاصة ــ قد انتشروا فى بلاد العالم كله حتى اليابان التى كنا نستبعد جداً أن نجد لصوصاً من كبار موظفيها ، ولكنى أحب أن أقول ان بلادنا ــ مصر ــ لم يصل بها سوء الحال إلى الدرجة التى نتصورها ، فإن المصريين شعب كريم الخلق بطبعه ، أمين فى تصرفه ، طيب فى كل ما يصدر عنه ، وجيلنا هذا الذى يحمل عليه كل الناس حافل بالخير وأهل الخير ، وفيه من عظماء الرجال والنساء ما ينبغى أن يطمئننا على مصيرنا . وقد وجدت أنه من الواجب علىّ أن أطمئن القراء الأعزاء بأن أضرب لهم أمثلة من عظماء المصريين الذين يزينون عصرنا هذا وينبغى أن نفخر بهم .

ولكى أصل إلى هذه الغاية أعدت النظر فى تاريخ مصر وقلت إنه ينقسم إلى أجيال ، وقد قسمه المؤرخ المصرى القديم مانيتون إلى ثلاثين أسرة ، والمراد ثلاثون جيلاً ، ولازال شعبنا ينقسم إلى اليوم إلى أجيال ، وإذا نحن دققنا فى الحساب وجدنا أن الذين يحكمون جيلنا هذا هم من رجال جيل الستينات ونسائه وفيهم حقيقة شخصيات قومية عظيمة يفخر بها هذا الوطن ، وبلدنا لازال بخير بفضلهم ، وقد درست جيلنا الراهن دراسة متقنة واستخرجت من قادته نفراً عظيماً يفخر به أى وطن . ويرى القارىء هؤلاء المواطنين الأعزة فى فصول هذا الكتاب ، وهم نماذج حقيقية من عظماء الرجال والنساء المتمكنين من نواحى التخصص التى يتميزون بها ويقومون بخدمة هذا الوطن ويحافظون على مستواه ، لأننا لا ينبغى أن نفقد الثقة فى وطننا ، ولا يجوز لنا أن نقول إن البلد قد فسد أمره ودخل فى عصر تدهور ، لأن مصر لازالت بخير والحمد لله رب العالمين .

وقد نشرت هذا الكتاب مقالات فى مجلة اكتوبر بالقاهرة . ثم عدت فراجعت هذه المقالات فأصلحتها وأكملتها وقدمتها فى صورة كتاب مترابط ، وقد تفضلت هيئة الكتاب بالموافقة على نشر هذا الكتاب ، وأرجو أن يكون له الأثر الذى أريد فى نفوس السادة القراء ، وأرجو أن أعتذر لمن عسى أن يكون قد فاتنى الكلام عنه من عظماء جيلنا ، فأنا فى الواقع لا استطيع احصاءهم جميعاً ، واتقدم بخالص الشكر إلى الأخ العزيز الدكتور سمير سرحان رئيس هيئة الكتاب والسيدة سميرة عرابى رئيس الادارة المركزية لشئون المطابع فى الهيئة وكل من تفضل بالمساعدة فى هذا العمل وخاصة الأخ الأستاذ محمد شلبى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

القاهرة فى ٢١ / ٣ / ١٩٩٢ — د. حسين مؤنس

الفصل الأول
التاريخ أجيال

الفصل الأول

التاريخ اجيال

■■ عندما نقول إن تاريخ مصر القديم ثلاثون أسرة فمعنى ذلك أنه ثلاثون جيلاً . ومانيتون ــ المؤرخ المصرى القديم الذى وضع هذا التقسيم لمصر ــ كان يعرف ذلك لأنه فى الحقيقة لا يمكن أن تكون الهيئات السياسية التى حكمت مصر من توحيد القطرين سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد حتى سنة ٣٢٥ بعد الميلاد ، وهى السنة التى غزا الفرس فيها مصر ووضعوا نهاية لتاريخها المجيد القديم ، لا يمكن أن تكون تلك المدة الطويلة ــ ٣٥٠٠ سنة تقريباً ٣٠ أسرة ، لأن معنى ذلك أن الأسرة فى تاريخ مصر القديمة دامت ١١٦ سنة ، لأن الأسرة لا تدوم وحدة تاريخية متماسكة هذه المدة الطويلة ، وعمر الأسرة تاريخياً لا يتعدى الخمسة والسبعين سنة تسقط بعدها وتنقسم إلى أسر أخرى لها أسماء أخرى . والذى يمكن أن يقال هو أن مانيتون قسم تاريخ مصر القديم إلى ثلاثين جيلاً ، لأن الجيل يطول عمره أطول من الأسرة ، وأقصر طول تاريخى للجيل قرن من الزمان ، وقد يستمر قرنين وربما أكثر . وأنا إذن فى هذا الكتاب عندما أوزع لجيل واحد هو الستينيات أتابع كما سيرى القارىء مؤرخنا المصرى القديم مانيتون ، وسنرى أن تاريخ مصر فى العصر الحديث ، منذ أن استيقظ المصرى وفتح عينيه للتاريخ أيام أحمد عرابى قد مر بأجيال تاريخية متميزة كل جيل منها قرنان تقريباً ،

هى أجيال عرابى ومصطفى كامل ومحمد فريد ثم سعد زغلول وجيله الذى استمر إلى أوائل الخمسينيات ، ثم جيل ثورة ١٩٥٢ الذى هو جيل العباقرة ثم جيل الستينيات ، ثم جيل الثمانينيات الذى نعيشه اليوم فهذه إذن خمسة أجيال كل منها يعيش مرحلة من مراحل تاريخ مصر ، وكل جيل منها دام ما بين ١٥٠ و ٢٠٠ سنة .

ونحن نقول إن تاريخ مصر السياسى القديم بدأ بالملك نارمر أو مينا الذى وحد القطرين سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد . وهذا الملك مينا أو نارمر هو ابن الملك العقرب الذى ذكرناه ، وهو الذى جعل مصر من بلاد النوبة إلى مصب النيل عند دمياط ورشيد بلداً واحداً . ومانيتون يقول إن نارمر أنشأ الأسرة الأولى ــ يريد الجيل الأول ، وأعقبته أجيال تاريخ مصر ومنها أجيال العبقرية الحضارية المصرية ، وهى حضارة عظيمة وعجيبة ، شملت كل شىء واتقنت الزراعة وعرفت الكيمياء وكل أعمال النجارة والحدادة والهندسة ، ويكفى أن نذكر الأسرتين الثالثة والرابعة اللتين حكمتا مصر من ٢٧٥٠ إلى ٢٥٠٠ قبل الميلاد أى ٢٥٠ سنة تعتبر من عصور العبقرية فى تاريخ مصر القديمة ، وهذا هو عصر الأهرامات التى لاتزال إلى يومنا هذا عجيبة من عجائب الدنيا . وأول هرم بقى على التاريخ هو هرم زوسر المدرج وقد بناه الملك زوسر ووضع هندسته العبقرى الطبيب المهندس المعمارى امحوتب الذى جعله اليونان فيما بعد إلهاً . ولم يكن هرم زوسر أول هرم أنشأه امحوتب فقد سبق وأنشأ أهرامات أخرى هى أهرامات سَنَخْت وميفركا ونيفركا Neferka وأوناس Ounas .

واستمرت معجزة إنشاء الأهرامات على يد ملوك الأسرة الرابعة التى أنشأها الملك سنوفرو Snufreu ، وهذا الملك بنى هرمين إلى جنوب الأهرامات السابقة وهما هرما دهشور وميدوم اللذان يقومان إلى اليوم فى الفيوم ، وخليفة الملك سنوفرو ــ ، وليس من الضرورى أن يكون ابنه أو خليفته المباشر هو الملك خوفو الذى يسمى فى اللغات الأوروبية كيوبس Cheops وخوفرو Khoufgou ثم خفرع Chefren وميكرينوس Mykerinos وهما عندنا خفرع ومنقرع وقد بنيا الهرمين الثانى والثالث فى الجيزة . وهذه الأهرامات ليست مجرد أبنية ، إنها عجائب وخاصة أهرامات خوفو وخفرع ومنقرع فهى أعمال عمارة وفن وزمنية وقد بنيت على أصول فنية وعلمية كبرى وعجائبها بلا نهاية وآخر

ما قرأنا أنه من عجائب الأهرامات أن الأرض ثابتة تحتها فهى لا تميل ولا يهبط جانب منها .

ولم تكن هاتان الأسرتان أسرتى أهرامات فحسب ، بل هما أسرتا فن النحت والمثالة ففى عصرهما صنع الفنان المصرى تمثال الكاتب العجيب وتمثال شيخ البلد ولا يصدق العقل أن هذه التماثيل نحتت من خمسة آلاف سنة بفنها العظيم وتناسقها وبساطتها وواقعيتها وتوازنها . إن قاعات هذه التماثيل فى المتحف المصرى فى القاهرة لا مثال لها فى الدنيا .

ولن أستطرد فى تاريخ مصر وإنما أنا أتيت بهذه الفقرة لكى أعطى القارىء فكرة عن عبقرية مصر ، فإن مصر ليست بلداً كغيره من البلاد ، والمصرى ليس كغيره من البشر ، فقد حكم المماليك مصر من سنة ١٢٥٠ إلى أن أزالهم الغزو الفرنسى سنة ١٧٩٨ أى نحو ٦٠٠ سنة ، وبعد أن اختفوا رفع المصرى رأسه ونهض وكأنه نام ليلة ثم صحا سليماً معافى وكان أول ما فعله عندما صحا أنه اختار رجلاً ليكون والياً للدولة العثمانية ، وهذا الرجل هو **محمد على الذى** ذكرناه ، **ومحمد على** كان رجلاً ذكياً خبيثاً ، تظاهر بالولاء للمصريين حتى أصروا على الدولة العثمانية بأن يكون هو والى مصر ، واستجابت الدولة لما طلبه المصريون ، وأصبح **محمد على** والياً ، وهنا انكشف عن طبعه اللئيم فتنكر للمصريين .وأبعد **عمر مكرم** زعيم المصريين الذى اختاره إلى دمياط ، وحكم وحده بذكاء ، ولم ترض نفسه عن أن يشترك المصريون فى الحكم معه . لقد اختار لخدمته أولاد شركس وأولاد أتراك وأرمن ، ولكنه لم يرض أن يشاركه المصريون فى الأعمال العسكرية حتى نصحه الجنرال سيف الفرنسى بأن يجند من المصريين ، كما رأينا وجند منهم جيشاً هزم الأتراك ووصل إلى أزمير وبروسة منتصراً ، **ومحمد على** كان سعيداً بانتصاراته التى كانت مصرية ، ولكنه كان يشعر بالألم لأن المنتصرين كانوا المصريين لأنه كان يخشى أنهم يعزلونه يوماً من الأيام . وتوفى **محمد على** عن ولاية واحدة هى مصر ، ولو أنه كان مخلصاً للمصريين لما استطاع الإنجليز الانتصار عليه فى الشام ، لأن المصرى قوى عزيز النفس ، وقد احتل الإنجليز مصر سنة ١٨٨٢ بمساعدة خلفاء محمد على من حكام مصر ولابد أن نقول إن الإنجليز حكموا مصر بالخداع ولكنهم لم

ينتصروا على المصريين فى معركة حربية واحدة . وأخيرا أخرجناهم من بلادنا سنة ١٩٥٤ ورفعنا أيدينا وقررنا من يومها ألا يحكمنا إلا المصريون ، وبالفعل ها نحن نحكم بلدنا بنفسنا حكماً سعيداً عادلاً ، بل نحن نكاد نخرج من العالم الثالث ، بل نحن حقيقة من العالم الأول والثانى . أما أولاد محمد على فكلهم بلاوى وخونة لمصر : عباس الأول ثم سعيد ثم إسماعيل ثم توفيق ثم عباس حلمى ثم حسين كامل ثم فؤاد ثم فاروق وقد طردنا آخرهم وأنهينا حكمهم ، ومن الغريب أن آخرهم وهو فاروق كان أحسنهم وأكرمهم خلقاً ، ولكنه كان أتعسهم لأن مصيبته كانوا رجاله ، وكانوا أسوأ رجال فى مصر ، وقد عزلناهم كلهم عن الحكم بعد طرد سيدهم .

جيل ثورة ١٩١٩، جيل العباقرة

وقد تعودنا أن نقول إن سعد زغلول كان بطل ثورة ١٩١٩ ومنشىء جيل ١٩١٩ أى جيل العشرينيات ، حقاً كان سعد زغلول بطلاً ، فقد كان رجلاً شهماً وطنياً شجاعاً عزيز النفس ، وكان ذكياً جداً ، ولكن الثورة كلها كانت من صنع المصريين ، بل هم الذين صنعوا سعد زغلول نفسه بمعنى أنه لم يشعر بالزعامة إلا عندما نادى به المصريون ، وقبل ذلك كان باشا ممتازا ، ولكن تأييد المصريين خلق فيه البطل .

وكان جيل العشرينيات — جيل ثورة ١٩١٩ — جيل عباقرة ، تصور أن هذا الجيل أخرج من الطراز الأول بعد سعد زغلول مصطفى النحاس ومكرم عبيد وهما بطلان سياسيان قوميان ، وأخرج طلعت حرب وكان إلى قيام الثورة مؤرخاً فتحول إلى رجل اقتصاد أنشأ بنك مصر الذى أثبت أنه من أعظم بنوك مصر ، وهو اليوم بنك مصر الثانى بعد البنك الأهلى ، وبنك مصر أنشأ فوق العشر شركات كلها حية إلى اليوم وأعظمها شركة المحلة للنسيج ، وهذا البنك وشركاته احتاجت إلى عباقرة ليديروها ، وفعلاً وجدوا وأداروها ، فماذا كانوا قبل ذلك ؟

لقد عملت أنا مع طلعت حرب أسبوعين ولم أتحمله ، لأنه كان رجلاً مدللاً يحب أن يأمر ويطاع ، وكان حوله صعاليك كثيرون ، وكان يريد منى — بصفتى سكرتيره — أن

أطيعهم ، وأنفت نفسي ذلك ، وتركت طلعت حرب ولكنه كان فعلاً رجلاً عبقرياً منشأ ذكياً . كنت معه مرة فى مرسيليا على إحدى سفنه ، وكان لبنك مصر وكيل فرنسى هناك ، وغضب عليه طلعت حرب وفصله وقال لى : خذ مكانه أنت ، فقلت له لا أستطيع ، فلست أفهم فى شئون البنوك ، فقال ستفهم مع العمل ، فقلت له : يا معالى الباشا اعذرنى ، أنا لا استطيع ! فهز رأسه وقال : إذن . فأنت شاب لا همة عندك ، وعدنا إلى القاهرة ، وهنا قدمت استقالتى وعملوا حسابى وعدت إلى العمل سكرتيراً لمحمود باشا شكرى مدير بنك التسليف ، وكان رجلاً حازماً فظيعاً وإن لم يكن عبقرياً .

ومن جيل العشرينيات (جيل ثورة ١٩١٩) أيضاً محمود مختار أعظم مثال أخرجته مصر فى عصرها الحديث ، تصور أنه كان فلاحاً من قرية مصرية ثم تكشف عن عبقرية افتخرت بها فرنسا نفسها ، وأمامك تماثيله ، ويكفى أن أذكر تمثالى سعد زغلول فى القاهرة والإسكندرية . وتمثال نهضة مصر فى مدخل جامعة القاهرة وكلها من البازلت . وإلى جانب مختار ظهر الرسام محمود صبرى وهو رسام من الطراز الأول فى نظر الأوروبيين فهم يعجبون بلوحاته ويرون فيها أشياء رائعة سواء فى الفكرة أو التكوين أو الألوان ، وخذ مثلاً لوحة بنات اسكندرية . هل يمكن أن يكون هذا إلا عملاً عالمياً ؟

ومن هذا الجيل أيضاً سيد درويش وهو من دون شك عبقرى موسيقى ، ولد فى الإسكندرية من أصل فقير ، ولكنه اتجه إلى الموسيقى وكشف فيها عن موهبة عظيمة ، ثم أتى إلى القاهرة ووضع أغانى شعبية لثورة سنة ١٩١٩ وغناها ، وغناها الشعب معه ، وميزته الأولى أنه موسيقى شعبى ، فى حين كان محمد عبد الوهاب مغنياً فرديا ، أى أن أغانيه لا يغنيها إلا هو ، فأما سيد درويش فكان يضع الأغانى للشعب ، وقد تحسن حاله وسافر إلى إيطاليا ليدرس فن الأوبرا ، ودرسه ووضع أوبرات عظيمة ، وقد مات شاباً ، ولو عاش لوصل بالموسيقى العربية إلى مستوى رائع ، فكل أعماله الموسيقية عظيمة وقد نجحت كلها .

ومن جيل العشرينيات أم كلثوم وعبد الوهاب ، وكل منهما قد ولد فى أوائل القرن

العشرين ، ربما سنة ١٩٠١ ، وأم كلثوم ريفية من طماى الزهايرة مركز السنبلاوين . بدأت حياتها مغنية مع أبيها فى الموالد ، وكانت أولاً أميةً ، ثم تعلمت ، وقد رزقها الله حنجرة لا أظن أنها تتكرر ، ولكن عقلها كان لا يقل عظمة عن حنجرتها ، وذهنها هو الذى سار بها إلى رياسة فن الغناء فى عصرها ، وقد أصبحت من كبار أهل الثقافة مع الزمن وجالست **طه حسين** و**أحمد شوقى** وقد سمعتها تتحدث وأعجبت بها ، وهى من غير شك من عباقرة تاريخ مصر والعرب جميعاً ، وفى حياتها كانت تسهر لتغنى الخميس الأول من كل شهر ، وفى ليلة غنائها كان العالم العربى والإسلامى كله يصغى **لأم كلثوم** ، وكانت تغنى خمس ساعات كلها إعجاز من أغان كتبها **أحمد رامى** و**أحمد شوقى** بل غنت أشعاراً قديمة ، وراع الدنيا من غنائها قصيدة الإسلام . وعندما ماتت سنة ١٩٨٢ مات جزء كبير من العالم العربى .

و**محمد عبد الوهاب** كان من أسرة متوسطة ، واسمه كان أولاً محمد حَجَر ثم نسب نفسه إلى حى الشيخ وهبة ، فى حى باب الشعرية ، وعبد الوهاب درس الموسيقى كما لم يدرسها غيره من المصريين ، وكان بطلاً على المسرح أمام منيرة المهدية سنة ١٩٢٢ وتتلمذ لسيد درويش ثم انفرد بنفسه ، وتخصص فى الأغنية الفردية وأبدع أيما إبداع ، وكل أغانيه ممتعة ومتقنة ، والرجل نفسه متقن جداً ، حتى إنه كان قبل أن يغنى أية أغنية فى الجمهور أو يسجلها كان يعمل عشرات البروفات . وأى مخالفة للقواعدالموسيقية تجعله يعيد البروفة كلها ، وقد وصلت الأغنية العربية على يده إلى مستوى لا أظن أن أحداً سيصل بها إلى أعلى منه .

ومن جيل العشرينيات أى جيل ثورة ١٩١٩ **يوسف وهبى** ، وهو من أصل عريق فأبوه باشا ووزير ، وهو نفسه سافر إلى أوروبا ليدرس الحقوق ، ولكنه اتجه إلى فن التمثيل وأتقنه ثم عاد إلى مصر والتقى بعزيز عيد وروزا اليوسف وفاطمة رشدى وأنشئوا مسرح رمسيس وهو من معالم النهضة المصرية ، ومن ميزات يوسف وهبى أنه كان رجلاً منظماً ومديراً قادراً ، ومسرح رمسيس كان مدرسة تربى فيها ممثلون من أروعهم وأبدعهم زكى رستم وهو أعظم ممثل فى تاريخ مصر ، وهو أعظم من زملائه **أحمد علام**

وحسين رياض وفؤاد شفيق وأمينة رزق التى تستطيع أن تقول إنها من عبقريات تاريخ مصر ، فهى ممثلة من الطراز الأول ، ولا شك أنها كانت أمهر من روزا اليوسف وفاطمة رشدى وهما أيضاً عبقريتان ، ولكن روزا اليوسف أسلمت وأصبحت فاطمة اليوسف وتركت التمثيل واشتغلت بالصحافة ونجحت فيها ، ولازالت مجلة روزا اليوسف باقية إلى اليوم ، وهى مجلة شابة تمتاز بإبداع فنى . ودار روزا اليوسف أنشأت مجلة صباح الخير وهى أيضاً مجلة شابة مجيدة .

وقد كان طريق مصر إلى الاستقلال طويلاً خطراً ، قاده زعماء مصريون فيهم شهامة وعزة نفس ، وكان هؤلاء الزعماء يحاربون الإنجليز ورجال أسرة محمد على نفس الوقت ، وأول زعيم منهم كان أحمد عرابى الذى قاد ثورته وواجه الخديوى توفيق الذى أحاط به قناصل انجلترا وفرنسا وألمانيا ، وقد أحسن أحمد عرابى مواجهة الاستعمار المزدوج ، الاستعمار الأوروبى واستعمارالوالى من أسرة محمد على وهو الخديوى توفيق ، وانتصر أحمد عرابى فى لقائه للخديوى توفيق ، وخطا إلى الإمام ومعه رجاله وعلى رأسهم محمود سامى البارودى ، وبعد ثورة عرابى جاء مصطفى كامل ومحمد فريد ، وخطت مصر إلى الأمام فى طريق الاستقلال وتأسيس الحزب الوطنى ، ثم كانت ثورة سنة ١٩١٩ التى سلمت قيادتها لسعد زغلول . وقيام ثورة ١٩١٩ يدل على أن الشعب المصرى قد تعلم كثيراً جداً وعرف كيف ينظم نفسه ليقوم بثورته القومية وقد قام بها فعلاً فى مارس سنة ١٩١٩ .

وقد كان الإنجليز عندما احتلوا مصر سنة ١٨٨٢ م قد اجتهدوا فى إفهامنا أن مصر كانت دائماً مستعمرة يحتلها الأجانب ، وهذه كانت أكذوبة من أكاذيب الاحتلال التى لا تنتهى ، فقد كان عصر الاحتلال نفسه جريمة فى حق مصر ، وحقوق كل البلاد التى خضعت للاستعمار ، والاستعمار كان فى ذاته جريمة فى حق الانسانية ، فان البلاد المستعمرة كانت قد أتقنت صناعة السلاح وحذقته واستعملته فى العدوان على البلاد التى لم تكن تملك ما يعين على الدفاع عن النفس إذا هى فوجئت بسلاح خطير ، وانجلترا وفرنسا على وجه الحدود كانتا قد أتقنتا صنع السلاح والأسلحة المعدنية المختلفة الأشكال والقوى واعتدت بسلاحها على بلاد كثيرة جداً من بلاد الدين لا مصر وحدها ، وكان

كل هدفها من الاحتلال هو استغلال البلاد المختلفة وسرقة منتجاتها أو شرائها بأسعار زهيدة جداً لتصنيعها فى بلادها ثم بيعها فى المستعمرات بعشرة أضعاف الثمن الذى اشترته به فى نفس البلاد ، ولم يعرف العالم الاستعمار بهذه الصورة البغيضة إلا فى القرن السادس عشر ، وأكبر من تولت الاستعمار كانت انجلترا وفرنسا ، وأولى المستعمرات وأكبرها فى العصر الحديث كانت الهند التى استغلتها انجلترا استغلالاً أسود حتى إنها كانت تستورد من الهند كل عام نحو عشرة آلاف سفينة محملة بالمواد الخام ، وتقوم بتصنيعها فى بريطانيا وإعادة جزء عظيم منها إلى الهند لسرقة أموالها . وكانت مصر فى تلك السنوات خاضعة للدولة العثمانية ، والدولة العثمانية لم تكن دولة استعمار ، ولكنها كانت تمثل الدولة الإسلامية المركزية ، وهى ـ تاريخيا ـ ترث الدولة الإسلامية (عصر الراشدين والدولتين الأموية والعباسية) ولم تكن مصر مستعمرة عربية مستقلة ، بل هى أصبحت خلال العصر العباسى الثانى دولة مستقلة من أيام الطولونيين ، ولم تعد إلى الاحتلال من بعدهم إلى أيام الحكم العثمانى ، وإليك بياناً بالدول المستقلة التى قامت فى مصر من أيام الطولونيين :

فتح عمرو بن العاص لمصر وتحولها إلى جزء من الدولة الإسلامية :

	١٨ — ٢١ هـ / ٦٣٩ — ٦٤١ م .
عصر الخلافة	٢١ — ٣٨ هـ / ٦٤١ — ٦٥٨ م .
الدولة الأموية	٣٨ — ١٣٢ هـ / ٦٥٨ — ٧٥٠ م .
الدولة العباسية	١٣٢ — ٢٥٤ هـ / ٧٥٠ — ٨٦٨ م .
الدولة الطولونية	٢٥٤ — ٢٩٢ هـ / ٧٦٨ — ٩٠٥ م .
حكام عباسيون	٢٩٢ — ٣٢٣ هـ / ٩٠٥ — ٩٣٥ م .
الدولة الإخشيدية	٣٢٣ — ٣٥٨ هـ / ٩٣٥ — ٩٦٩ م .
الدولة الفاطمية	٣٥٨ — ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ — ١١٧١ م .
الدولة الأيوبية	٥٦٧ — ٦٤٨ هـ / ١١٧١ — ١٢٥٠ م .
المماليك البحرية	٦٤٨ — ٧٩٢ هـ / ١٢٥٠ — ١٣٩٠ م .

المماليك البرية ٧٩٢ — ٩٢٣ هـ / ١٣٩٠ — ١٥١٧ م .
العصر العثمانى ٩٢٣ — ١٢١٢ هـ / ١٥١٧ — ١٧٩٨ م .
الغزو الفرنسى وبداية العصر الحديث ١٢١٢ هـ / ١٧٩٨ م .

فهذا موجز لتاريخ مصر منذ الفتح الإسلامى ، ولم يكن الفتح الإسلامى بداية لعصر احتلال لها من جانب العرب ، وإنما تلك كانت الدولة الإسلامية التى كان العراق والشام وفارس وغيرها تتبعها ، ومصر كانت جزءاً منها ، ولنلاحظ هنا أن العرب لم يحكموا مصر كدولة أجنبية أو كشعب عربى يرأس الدولة ، بل هذه كانت الدولة الإسلامية ، وتدخل فيها مصر كما كانت تدخلها الجزيرة العربية نفسها . وجاء الوقت الذى لم يعد فيه عرب قادرون على حكم ولايات الدولة وحمايتها ، وكان ذلك فى العصر العباسى الثانى ، ثم إن الدولة الكبرى كانت من زمن طويل قد درجت على أن تستخدم جنوداً أجانب لولاية نواحيها ولم تكن مصر فى العصر العباسى الثانى خاضعة لحكام عرب ، وإنما هى كانت جزءاً من الدولة الإسلامية الكبرى . وابتداء من العصر الطولونى سنة ٢٥٤ هـ / ٧٦٨ م كانت مصر دولة مستقلة تُحكم من القاهرة ، أما إن ابن طولون كان يأتى بجند أتراك أو شركس وربما زنوج لكى يحكموا دولته فقد كان ذلك خوفاً من أن يقيم حكاماً وجندا من أهل البلاد فيستقلوا عن الدولة . ونفس آل طولون فقدوا دولتهم فى مصر وخارجها عندما عجزوا عن الإتيان بجند أجنبى يحكم دولتهم .

أما الدول الإسلامية التى جاءت بعد الطولونيين فكانت كُلها دولاً مصرية مستقلة ، حتى فى العصر العثمانى ، فقد كانت مصر فيه مستقلة لأن بكوات المماليك الذين كانوا يحكمون مصر فى العصر العثمانى قد كانوا مصريين والجبرتى نفسه كان يسميهم المصرليه وإن كانوا يشترون الجند اللازم لهم من الخارج ، وعندما غزا الفرنسيون مصر تقرب نابليون من المصريين وانصرف عن المماليك ، ودخلت مصر العصر الحديث على يد الفرنسيين ، وعاد بعدهم الأتراك إلى مصر .

ولم يكن المصريون يريدونهم ، ولكنهم وجدوهم فى بلادهم ، ففكروا فى طريقة يتخلصون بها منهم ، فاختاروا رجلاً تركياً كان فى مصر إذ ذاك ، وقد أعجبهم مظهره وكلامه ، فرشحوه والياً لمصر ، وطلبوا من الدولة أن توافق على اختيارهم فوافقت ،

وهذه هي بداية محمد على الذى لم يلبث أن كشف عن حقيقة نفسه ، وسار بمصر فى الطريق الذى أراد ، وانصرف عن المصريين ؛ وتبين المصريون فيما بعد أنه رجل خبيث لئيم لا يفكر إلا فى نفسه . وقد استبعد المصريين الذين أيدوه ورشحوه وتحول إلى مستعمر ، وأصبح اعتماده كله على نفر من المستعمرين والمغامرين الأتراك والشركس والأرمن والفرنسيين والإيطاليين . وقد اعتبر الرجل مصر ضيعة له ، وأدخل فيها اصلاحات لكى يستعملها على أسوأ نحو ، فجعل نفسه صاحب كل شيء فى مصر ، فهو الزارع الوحيد والتاجر الوحيد وهو القاضى الأول ، وهو كل شيء فى مصر ، ولم يلبث أن حاول فتح السودان ليحصل على جند مرتزق فلم يوفق ، ولكن شمال السودان كله أصبح تابعاً لمصر ، ونصحه الكولونيل سيف ــ سليمان باشا ــ بأن يجند من المصريين ، فجند منهم وقام الكولونيل سيف بتدريبهم وأصبحوا محاربين بواسل ، وبهم دخل محمد على فى حرب مع الدولة العثمانية وانتصر عليها ، ووصل جنده المصريون إلى بروسة ، وهنا لم تعد الدولة الاستعمارية تطمئن إليه ، فطلبت إليه الارتداد إلى مصر ، وعندما رفض أنزلت انجلترا جنوداً فى بلاد الشام يقودهم الضابط تابيير ، ولو أراد محمد على أن يواجههم لفعل ، ولكنه خاف وفقد كل شجاعته وارتد إلى مصر ، واستسلم للدول الاستعمارية استسلاماً مهيناً ، ودخل معها فى مفاوضات أدت إلى معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ، وبها أصبح محمد على والياً على مصر والسودان ، وتوفى قبل موته ابنه المتبنى إبراهيم ، واصيب محمد على بمرض عقلى وفقد الذاكرة وتوفى ٣ أغسطس سنة ١٨٤٩ وخلفه حفيده عباس ابن طوسون (بعد وفاة إبراهيم فى نوفمبر ١٨٤٨) .

وقد بدأنا مع عباس بن طوسون بن محمد على (١٨٤٨ — ١٨٥٤) عصراً جديداً هو عصر الولاة ، وكان عباس سيىء الظن بالناس قاسى القلب عليهم ، وبخاصة عمه سعيد بن محمد على فانزوى سعيد فى الإسكندرية مدة حكم ابن أخيه ، وكان عباس نفوراً من الناس يعيش فى قصور يبنيها لنفسه بعيداً عن الناس : فى الريدانية شمالى القاهرة . وقد أصبحت تسمى العباسية نظراً لسكناه فيها ، وفى موضع فى مكان موحش من الطريق إلى السويس ابتنى لنفسه قصراً ثم بنى لنفسه قصراً آخر وكان قصره على النيل بعيداً عن الناس ، وفى هذا القصر قتله اثنان من خدمه لعلاقات جنسية ، وخلفه

عمه سعيد ابن محمد على ، ولا يتسع المجال للكلام عن هذه الأسرة التى دخلت فى حماية الفرنسيين والإنجليز ، وجرّت مصر معها إلى الاحتلال بعد أن كنا قد تخلصنا منه . وقد سار سعد زغلول ثم مصطفى النحاس ومكرم عبيد بمصر فى طريق الاستقلال ، وقد أشرنا إلى عصر ثورة سنة ١٩١٩ بعض الشىء ، وروينا كيف جاءت عصور الاستقلال بعد ذلك ، وهذه هى عصور العشرينات والثلاثينات ، ثم جاءت ثورة يوليو ١٩٥٢ وسارت مصر إلى الأمام على قدر ما استطاعت ، ولكنها اضطربت فى وسط الطريق بالخلاف المرير بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، وهو خلاف مؤلم انتهى بنا إلى هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ ووقفت مصر فى وسط الطريق لتتحرك من جديد فى جيل الثلاثينات والأربعينات ، وسنمر بهما سريعاً ــ حتى تصل إلى جيل الستينات ــ موضوع هذا الكتاب .

وإذا كان أحمد عرابى قد قام ١٩٨١ بثورته المعروفة وواجه الإنجليز وقناصل الدول الأجنبية والخديوى توفيق وعرف كيف يقف من هؤلاء وقفة جليلة ، بل هو أخاف الخديوى توفيق فإن الشعب المصرى قد تعلم هذا الدرس كله من أحمد عرابى ، وعندما تولى محمود سامى البارودى رياسة الوزارة وأحمد عرابى وزارة الحربية فان الشعب المصرى تعلم كثيراً جداً من حركة أحمد عرابى وإخوانه ، وبعد أحمد عرابى جاء مصطفى كامل ومحمد فريد ، وكانا زعيمين عظيمين التفت حولهما طائفة من المثقفين المصريين ، واستطاع مصطفى كامل أن يعزل اللورد كرومر ويخطو خطوات كثيرة نحو الاستقلال ، وتبعه الشعب المصرى وأخذ منه الصدق والإخلاص والأمانة ، وكان مصطفى كامل شاباً ذكياً بليغاً استطاع أن يحيى الشعب ويقود حركة مصر القومية إلى الأمام . وعندما وقعت حادثة دنشواى سنة ١٩٠٦ ظهر مصطفى كامل بشخصيته كاملة ، وظهرت شجاعته العظيمة وهاجم اللورد كرومر وأحرجه واضطره إلى رفع الاستقالة من ولاية مصر سنة ١٩٠٧ ، واستمر مصطفى كامل فى طريقه بشجاعة عظيمة رغم مرضه ، وقد توفى مصطفى كامل فى ١٠ فبراير ١٩٠٨ ، وشيعت جنازته فى ١ فبراير التالى ، وقد ــ رثاه قاسم أمين ، وقال إن تلك هى المرة الثانية التى رأى فيها قلب مصر يختنق ، واليوم الأول كان يوم تنفيذ حكم دنشواى . ومع أن مصطفى كامل كان رجلاً أنيقاً ممتازاً إلا

أن المصريين تبعوه وسارت الحركة القومية خطوات إلى الأمام بعد أن جاء محمد فريد وتولى رياسة الحركة القومية . وقد عشقه المصريون مع أن كفاحه كان فى أوروبا ، وقد خطا بجهده بالحركة القومية خطوات طويلة نحو ثورة ١٩٣٨ التى تولاها سعد زغلول . ولم يحدث قبل ذلك أن قامت ثورة جمعت شعب مصر فى كل نواحى مصر مثل ثورة ١٩١٨ التى قادها شعب مصر بذكاء وقدرة وروح زعامة وحكمة ، وأنشأ الشعب حزب الوفد الذى قاد الحركة الوطنية بعد وفاة سعد ، وعندما نتأمل ثورة ١٩١٨ نحس فعلاً أن مصر علمت كل زعمائها قبل ذلك وخطت خطوات كبرى إلى الأمام . وكان الإنجليز يسوسون المصريين على غير ذلك ، ويبدو من سلوك اللورد كرومر أنه لم يكن يفكر فى أن تخرج انجلترا من مصر أبداً ، وكان إلى جواره خديوى مصر ومعظم أفراد الأسرة المالكة فى القاهرة . وكان الخديويون ثم السلاطين ثم الملوك أسوأ علينا من الاستعمار .

وأعود إلى يوسف وهبى فأقول إنه كان بالفعل مكافحاً مغامراً . لقد نجح مسرح رمسيس أول الأمر ، ثم فشل وأغلق أبوابه ويوسف وهبى أفلس ، ولكنه عرف كيف يجمع مالاً وينشىء مدينة رمسيس وفيها مسرح ، وظل طوال حياته يكافح ويفلس ثم يقوم على قدميه فكأنه كان عجيبة . وعلى الرغم من أصله الأرستقراطى فقد كان أحب شىء إلى نفسه أن يسمى فنان الشعب ، وكان فعلاً فنان الشعب ، وأجمل مسرحياته المسجلة الباقية إلى يومنا هذا رواية عم بيومى وفيها سما يوسف وهبى إلى قمته الفنية .

بل إن جيل العشرينيات كان فيه أطباء أجلاء مثل على إبراهيم فقد كان جراحاً عظيماً ووصل إلى عمادة كلية الطب ثم إدارة الجامعة . وظل طول حياته جراح مصر الأكبر .

وأبدع هذا الجيل أيضاً طبيباً باطنياً عبقرياً هو سليمان عزمى الذى اشتهر بعلاج الأمراض باللمس والنظر ، وكان لا يتقاضى إلا جنيهاً واحداً فى الكشف ، وفى أحيان كثيرة كان لا يأخذ شيئاً إذا كان المريض فقيراً ، بل أنه كان يشترى الدواء من ماله للمريض .

كان جيل العشرينيات جيلاً عبقرياً حقاً ، وعلى رأسه زعيم مصر الأكبر سعد

زغلول الذى نشأ من أسرة متوسطة الحال فى الريف ، ودرس الحقوق وعمل فيها ونجح ، وكان أخوه أحمد فتحى زغلول محامياً أيضاً وكان له اتجاه أدبى . أما سعد زغلول فقد وصل إلى الوزارة فى أيام الاحتلال ، واللورد كرومر هو الذى اختاره للوزارة حاسباً أنه سيخدم الاحتلال ، فإذا بسعد عدو الاحتلال ، وبالفعل نقل وزارة المعارف أى التربية من حال إلى حال . وعندما قامت الثورة كان هو الذى أعلن نهاية الاحتلال وقاد مصر قيادة عظيمة ، ونفوه وحبسوه فلم يهتم ، ونقل الثورة المصرية كلها من مظاهرات واغتيالات إلى فكر وعمل سياسى منظم ، وهو الذى أنشأ حزب الوفد وهو أعظم حزب سياسى عرفه تاريخ العالم العربى .

ومن تلامذته مصطفى النحاس ، وهو رجل من أسرة متوسطة ولكنه كان قد وصل إلى مستشار قبل أن ينضم إلى الوفد ، وقد أعجب به سعد لأنه كان رجلاً صادقاً فاضلاً ووطنياً وذكياً ، وأصبح أمين عام الوفد ثم رئيسه بعد وفاة سعد سنة ١٩٢٨ ، ولهذا فإن مصطفى النحاس ينتسب إلى جيل العشرينيات وجيل الأربعينيات .

ومن جيل العشرينيات والأربعينيات معاً مكرم عبيد تلميذ سعد المخلص ثم سكرتير عام حزب الوفد وقد استمر يعمل إلى جانب مصطفى النحاس ، وقد كان اسمه أولاً وليام مكرم عبيد ، وعندما دخل الحركة الوطنية ألغى اسم وليام الإنجليزى وأصبح مكرم عبيد ثانى شخصية سياسية فى مصر من أيام سعد إلى أن عزل من أمانة حزب الوفد بمؤامرة دبرها عليه خصومه ، وهو مسئول إلى حد ما عن هذه المؤامرة ، لأنه كان مستبداً جداً فى عمله ، وكان يصر على أن يؤخذ رأيه فى كل شىء ، ولكنه كان وطنياً مخلصاً ومفكراً ذكياً ، وقد كرهه أحمد محمد حسنين رجل الملك ورئيس الحاشية ودبر عزله بالاشتراك مع نفر من الخصوم ، وبالفعل عزل وأصبح وحيداً ، وقد خسرت مصر خسارة كبيرة بعزله خاصة وقد تصرف بحقد ضد مصطفى النحاس .

كان جيل العشرينيات إذن جيلاً عظيماً حقاً . كان جيلاً عبقرياً ، وهو الذى وضع مصر فى مكانها فى العالم العربى ثم فى العالم كله .

ونحن نسأل أين كان كل هؤلاء العباقرة قبل ثورة ١٩١٩ ؟

والجواب أنهم كانوا موجودين فى باطن مصر ، فإن مصر بلد عبقرى غنى بالشخصيات والعبقريات ، والظريف أن معظم هؤلاء العباقرة كانوا من أصول فلاحية ، لأن الفلاحين هم معدن الخير والذكاء والعمل فى مصر ، والقرية المصرية جوهرة لا يعرف قيمتها إلا من يعيش فيها ، ومن سوء الحظ أننا فى أيامنا هذه (ابتداء من ١٩٨٠) نخسر القرية المصرية بسبب كثرة السكان وقلة الأرض وضعف الإدارة ، ولابد من إيقاف حركة زوال القرى بطابعها التقليدى المعروف .

جيل الأربعينيات . جيل بناة العصر الحديث .

هذا هو الجيل الذى درجنا على أن نسميه جيل العباقرة ، جيل طه حسين والعقاد ومصطفى لطفى المنفلوطى وعبد الرحمن الرافعى ومى زيادة وسلامة موسى وإبراهيم عبد القادر المازنى وأحمد أمين وحسين فوزى وغيرهم ، فهؤلاء جميعاً وغيرهم عباقرة كثيرون كانوا عاملين نشيطين فى الثلاثينيات والأربعينيات . وهذا الجيل ــ جيل الأربعينيات كان جيلاً عبقرياً حقاً نقل مصر من جيل القيم القديمة إلى جيل العصر الحديث . وكل عمله ــ إذا نحن أردنا أن نقدره بالضبط ــ هو أنه نقل الفكر المصرى من عاله القديم إلى العالم الأوروبى الحديث بالترجمة وكتابة الكتب والمقالات فى الصحف والمجلات ، وهو كذلك نقل أوروبا إلى داخل الفكر المصرى ، فقد كان رجاله يعرِّفون الفكر العربى الماضى كله معرفة متينة من أيام العصر الجاهلى إلى عصر ما قبل البارودى ، وقد عرفوا كيف يعرفون معاصريهم من العرب بذلك الماضى الفكرى العربى تعريفاً تاماً ودقيقاً ، وأين من عرف الماضى العربى كما عرفه طه حسين والعقاد ومصطفى لطفى المنفلوطى وابراهيم عبد القادر المازنى ؟ وأين من كتب عن ذلك الماضى بعبقرية هؤلاء ، أين من كتب عن أبى العلاء المعرى بقدرة طه حسين وأين من كتب عن ابن الرومى مثل العقاد ؟

وأين من استطاع أن يتحدث إلينا عن الأدب الفرنسى كما فعل طه حسين ؟ وأين من كتب لنا عن الأدب الإنجليزى مثل العقاد والمازنى وحسين فوزى ؟

لقد كان جيلاً ناقلاً : نقل الماضى إلى الحاضر ونقل أوروبا إلى مصر ونقل العالم العربى إلى أوروبا . وهذا الجيل لم يبتكر شيئاً ، حتى ما زعموا أن طه حسين جدد فيه من كلامه عن الشعر الجاهلى فهو منقول عن الغرب ، أعتقد أن الأفكار منقولة عن آراء أتى بها بعض المستشرقين ، وعلى الرغم من كثرة ما كتب العقاد عن الأدبين العربى والإنجليزى إلا أنه غير مبتكر ، فكل ما قاله قاله غيره قبله . حتى القصص التى كتبها طه حسين والمازنى قليلة ليس من بينها شىء عبقرى حقاً ، وكتب حسين فوزى كتب بسيطة خفيفة ، وربما كان الوحيد الذى أبدع ـ ولو فى حدود ضيقة ـ هو سلامة موسى فى كتابه « تربية سلامة موسى » الذى ترجم إلى كل لغات العالم بحق ، وكتبت فيه كتب ورسائل جامعية ، أما أحمد أمين فقد كان كاتباً متوسطاً ، وقد نقل عن غيره ، ومعظم كتبه عن الفلسفة والفكر الغربى من عمل زكى نجيب محمود ، وهو رجل من رجال ذلك الجيل وإن كان من أصاغرهم سنا ، وأنا كنت من أصاغر أهل هذا الجيل ، وكانت علاقاتى بطه حسين وثيقة ، وقد ترددت بين الصداقة والعداوة ، أما مع العقاد فقد حضرت الكثير من مجالسه فى بيته ، ولكننى لم أكن أطيقه لكبريائه وغروره واتهامه الدنيا كلها بالجهل . أما محمد حسين هيكل فلم يكن عندى بشىء كبير وإن كان فعلاً مفكراً كبيراً ، ولكن علمه لم يكن بالعظيم ، ومن حسن حظه أنه كتب السيرة النبوية ونجح فى ذلك ، ولكنه نقل سيرته من سيرة كتبها مستشرق فرنسى ، ثم أعاد هو كتابتها معتمداً على ابن هشام والطبرى وغيرها وأسلوبه العربى ركيك وقصته « زينب » كانت كما يقال أول رواية عربية كتبت فى العصر الحديث ، ولكنها رواية بسيطة .

وأما أمين الخولى فقد كان أستاذاً جامعياً ممتازاً ، ولكنه لم يجدد فى شىء ، ومعظم كلامه منقول وإن كان هو ناقداً أدبياً ممتازاً وشخصية ذات وزن ، وزوجته الدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطىء ـ مد الله فى عمرها ـ عالمة ممتازة وأديبة ، وهى ذات ذوق وقارئة على نطاق واسع ، ومؤلفاتها أعمال عظيمة ومنها كتابها العظيم عن أبى العلاء المسمى « دراسة نقدية مؤسسة على النص المحقق لرسالة الغفران » والكتاب لازال يطبع فى دار المعارف التى أصدرت منه الطبعة الثالثة أخيرا ومع ذلك فمن المؤسف أن ذلك النص الذى حققته الدكتورة عائشة عبد الرحمن سُرق فى رسالة أشرف عليها

مفكر مصرى هو عبد الصبور شاهين ونشرت الطبعة المسروقة دار الذخائر فى بيروت وطبعت ونشرت منها ثمانى طبعات وهذا يدلك على أهمية الكتاب وقيمته . وهو من أعظم ما ألفه جيلها ولازال وحيداً فى نوعه إلى اليوم .

ومؤلفات هذا الجيل كثيرة ومعظمها جيد ، لأن أولئك الرجال كانوا أساتذة فعلاً ، وكتب الواحد منهم أعمال جليلة يصعب أن نجد لها مثالاً ، حقاً إن العقاد كان يعتمد على أصول قليلة فى كتابة مؤلفاته . ولكنه هو نفسه كان أصيلاً ، وأساليب هذا الجيل فى الكتابة نادرة فإننا نعرف أن النثر فى اللغة العربية القديمة قليل ولا مكانة كبيرة له إلى جانب الشعر ، فجاء هذا الجيل ـ جيل الأربعينات ـ وأحيا النثر العربى وجعل له مكانة ممتازة ، ومن العسير أن نجد أسلوباً عربياً فى جمال أسلوب طه حسين أو عباس محمود العقاد أو نثر إبراهيم عبد القادر المازنى الطريف الخفيف العميق أو نثر سلامة موسى القريب فى روحه من النثر الإنجليزى ، وكذلك نثر أمين الخولى .

وشعراء هذا الجيل يتزعمهم أحمدشوقى ، وهو من غير شك واحد من أعاظم شعراء العربية على كثرتهم ، وهو يقف فى صف واحد مع أبى نواس وأبى العتاهية والبحترى وأبى تمام والمتنبى ومحمود سامى البارودى الذى ينتمى إلى الجيل السابق عليه ، وكان شوقى شاعراً متميزاً جداً : شعره سهل جميل متقن ، وهو من أصل عريق وكان يريد أن يكون شاعر الخديوى ، وبالفعل كان فترة من حياته شاعر الخديوى والأرستقراطيين ، ولكن الشعب المصرى الذى كان قد استفاق ونهض وفتح عينيه اجتذبه إليه فخرج إلى ميدان الشعب ولم يعد شاعر الخديو ومن حوله ، ولكنه أصبح شاعر الشعب المصرى ، فهو يقول قصائد رائعة فى مدح شعب مصر ، وأشعاره فى النيل لا مثال لها ، وله قصائد وصفية بديعة ، أى أن الرجل لم يترك ميدانا من ميادين الشعر إلا دخل فى ميدان آخر أجمل منه وأبدع ، بل أنه دخل ميدان الشعر المسرحى وكتب مسرحيات شعرية جيدة جداً مثل مجنون ليلى وكيلو باترا مما يندر أن تجد له مثالاً إبداعاً وجودة ، ثم دخل ميدان الشعر الشعبى ووضع أغانى عظيمة جداً غناها محمد عبد الوهاب وأم كلثوم .

الفصل الثانى

نماذج من أبطاله

الفصل الثانى

نماذج من أبطاله

■ ■ إذا أنت تأملت أحوال مصر اليوم تبينت أن معظم من يتولون مسئولياتها هم من أبناء جيل الستينيات ، ذلك الجيل المبارك الذى ولد رجاله فى أواخر الثلاثينيات ودرسوا وتخرجوا فى الجامعات أو المعاهد العليا فى أواخر الخمسينات أو أوائل الستينات ، وخرجوا إلى الحياة فى ظروف طيبة جداً ، فقد كان عبد الناصر رئيس مصر إذ ذاك ، وكان فى أوجه ، وكانت هوايته الكبرى هى الخطابات فى الجماهير أو الإذاعة ، وكان مسرفاً جداً فى هذه الخطب ، فقد كان ماهراً جداً فيها ، وكان ماهراً كذلك فى إلقاء كلمات « مثل الدبش » يعكر بها الدنيا وجو السياسة العالمية ، ولكنها كانت تعجب العرب ، لأن العرب كانوا غاضبين جداً على الدنيا بسبب إسرائيل وعدوانها على فلسطين ، أما المصريون فكانوا يخافون هذه الخطب ، لأنهم شعب مجرب ، يعرف أن السياسى إذا لم يكن قد قدر كلمته وفكر فيها قبل إلقائها كانت النتيجة كارثة ، ولكنهم على أى حال تحملوا خطب عبد الناصر التى كانت تستخرج التصفيق من أيدى الجماهير غير المتعلمة ، لأن هؤلاء كانوا ومازالوا لا يعرفون قيمة أى شىء ، وكل ما كان يعجبهم « هو الهيصة والزيطة والزمبليطة » .

وعبد الناصر قال لأمريكا فى إحدى خطبه : إذا كنت لا تريدين أن تشربى من البحر الأبيض فيمكنك أن تشربى من البحر الأحمر ، وأمريكا لم يسبق لها أن سألته من أى البحار تشرب ؟ ولكنه هو كان رجلاً عالمياً عظيماً ، ومن حقه فيما يرى أن يأمر الدول الكبرى ، ولم يكن هناك فى رأيه أكبر من دولته ، وقد تفضل على أمريكا بهذا التخيير ، وأمريكا غضبت ولم تشرب لا من البحر الأبيض ولا من البحر الأحمر ، وإنما شربت من البحر الإنجليزى ثم نفثت الماء سحاباً غطى أجواء بلادنا ، وأمطرها كلها ناراً لا ماء .

هذا الجيل ــ جيل الستينيات ــ غرق فى هذا المطر ، ولكنه كان يثق فى عبد الناصر ، ويعتقد أنه يقدر مسئولية الكلام الذى يقوله ، وكانوا لا يشكون فى أن عبد الناصر كان يدخر لهم جيشاً لم يسمع بمثله ، وأنه إذا آن الأوان أزال إسرائيل من الوجود ، ومسحها بأستيكة ، وأخرج أمريكا من عالم العرب ، وكانوا لهذا سعداء متفائلين ، لا يشك أحد منهم فى أنه سيكتب لنفسه ولمصر مستقبلاً من ذهب ، فدرسوا وتعلموا وشغلوا أى وظائف أتيحت لهم ، ومضوا يعملون فى صبر فى سبيل مصر .

وفجأة وقعت الموقعة التى كان العرب كلهم ينتظرونها مع إسرائيل معركة ١٩٦٧ ، وكانت الهزيمة التى لا يسمع بمثلها أبداً . نحن لا أمريكا انمسحنا بأستيكة ، وجيشنا راح يرجع دون أن يحارب ، وإسرائيل احتلت سيناء وأجزاء من العالم العربى ، وعبد الناصر سكت ولم يتكلم ، وكانت خيبته كاملة لولا أن العرب أدركوه ، وأخذوا بيده وشدوه ، من المصيبة التى وقع فيها ، والدنيا كلها قالت : مصر راحت فى داهية .

إلا جيل الستينيات . هؤلاء كان إيمانهم بمصر عظيماً جداً ، حقاً إن الكارثة هزت كيانهم هزاً ، ولكن إيمانهم بمصر كان عظيماً جداً ، لقد تحملوا الصدمة ، ولكنها شدت عزمهم ، وجعلتهم يصممون على التحضير للنصر ، وأخذ كل منهم يعمل فى جانبه للاستعداد للنصر ، لأن مصر فى نظرهم كان لا ينبغى أن تنهزم أمام إسرائيل أو غير إسرائيل ، وإصرار هؤلاء الشباب على نصر مصر هو الذى ساعد السادات عندما أتى وأخذ يستعد للنصر على أن يجد عناصر النصر ، وإذا كانت مصر قد انتصرت على

إسرائيل سنة ١٩٧٣ فإن الفضل الأكبر يرجع إلى السادات وجيل الستينيات الذين حصلوا على إيمان الشعب المصرى بهم وجمعهم حوله ، ونهضت جماعات من الشعب إلى جوار شباب جيل الستينيات ، وشدت حيل الجيش ، وعندما جاء هجوم رمضان أو أكتوبر ١٩٧٣ وقف هذا الشعب كتلة واحدة خلف السادات والجيش ، وكان النصر العظيم ، واسرائيل انمسحت من سيناء ، ومصر استقلت ، وجيل الستينيات انتصر ، ولو أن السادات ترك هذا الجيل يقود مصر لاستمر النصر فى الميدان الداخلى .

ولما عرفنا تلك السلطة العسكرية التى انتفخت أيام السادات ، ودخل الحرامية ، وأخذت البلاد تهبط ووقعنا فى الأزمة الحالية ، وكل واحد يقابلك يقول ماذا جرى للبلد ؟ لماذا كثر اللصوص وإنعدم الإنتماء والأمانة ، وأصبحنا لا نعرف ماذا نعمل ببلادنا .

-

وجيل الستينيات يعرف ماذا جرى لمصر ، ويدرك حدود السقطة العسكرية التى أوقفت سير مصر الحضارى الإنسانى ، وجعلت التصرف الحكومى كله فلوساً فى فلوس ، وأصبح الكثيرون منا يبيعون الوطن بالفلوس ، حتى التصرف غير الحكومى انعدمت منه الأمانة ، لأن مصر لها تاريخ حضارى كتبه شعبها بأمانته وصدقه وفضائله ، فلما جاء بعض الرؤساء الضعاف الجدد من أيام السادات أخذنا نتدهور ابتداء من أسرة السادات نفسه ، واللصوص أصبحوا أكثر من الهم على القلب ، والأسعار أخذت ترتفع دون حساب ، والحكومة أخذت تستورد القمح وتفرش الأرصفة بالخبز لتسكت الشعب ، وديوننا ارتفعت من عشرة بلايين إلى عشرين إلى ثلاثين إلى أربعين ، ولا أحد يدرى كيف سنسدد هذه الديون أو كيف نخرج من الأزمة .

ولولا أن رجال جيل الستينات يحتلون الوظائف الأساسية ، ويمسكون بمصر ويمنعونها من الغرق لساءت النتيجة ، ومن حسن الحظ أنهم رجال كالحديد ، وحبهم لمصر عظيم ، جداً ، وكل واحد منهم يعمل بعشرة رجال ، وفى هذه الفصول سأجتهد فى بيان فضل ذلك الجيل العظيم ، لأن الذين قاموا بمصر وكتبوا تاريخها أجيال ، فكما أن الذين أنشئوا مصر القديمة أسرات ، فكذلك الذين بنوا مصر الحديثة أجيال ، فهناك

جيل أحمد عرابى الذى قال : مصر للمصريين ، وأصبحت هذه العبارة رمزاً من رموز تاريخ مصر ، وهناك جيل مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، ذلك الجيل المثقف الأنيق الذى كان يعبد مصر عبادة ، وحارب مصطفى كامل الإنجليز بقلبه ولسانه حتى عزل عن مصر المستبد اللورد كرومر أو السير ايفلين بيرنج ، وأصبح لسان حاله : لا مفاوضة إلا بعد الجلاء ، لأن إيمانه بمصر كان عظيماً إلى درجة أنه ترفع عن أن يقبل مناقشة الإنجليز فى استقلال مصر ، ومصطفى كامل هو الذى قال لو لم أكن مصرياً لتمنيت أن أكون مصرياً ، وهى عبارة شاعرية ، ولا معنى حقيقياً لها ، ولكنها جرت على الألسن وأصبحت رمزاً من رموز الوطنية فى مصر ، ومَن مِن المصريين لا يحفظ هذه العبارة ؟

وكان سعد زغلول وجيله ، قد قالوا إن جيلهم جيل الاستقلال التام أو الموت الزؤام ، وهى أيضاً عبارة شاعرية ولكن لها معنى ، فقد جعلت المصريين يعتقدون فعلاً أنه إذا لم يتحقق الاستقلال التام فلابد من الصراع حتى الموت المر البشع ، وسعد زغلول قاد الحركة القومية المصرية وأعطاها أناقة وبلاغة وقوة ، وفى ظلال الإنجليز ظهر المكافحون الذين جعلوا يغتالون الإنجليز حتى خافوا ، والإنجليز أعلنوا أن مصر أصبحت مملكة مستقلة ، والملك فؤاد التعيس فرح بذلك ، وأصدر إلى الشعب بياناً قال فيه إن انجلترا منحته هو الاستقلال ، ولقب حضرة صاحب الجلالة الملك ، والشعب المصرى سخر من الملك فؤاد ومن استقلاله ، واستمر يكافح سائراً فى طريق سعد وحزب الوفد .

ومات سعد زغلول فى ٢٧ أغسطس ١٩٢٧ ، وخلفه مصطفى النحاس ، والنحاس كان وطنياً عظيماً جداً ، واستمر يحكم مصر فعلاً من ١٩٢٧ إلى أن عقد معاهدة ١٩٣٦ ، وهى معاهدة مهينة ، فيها استقلال جزئى لمصر ، ومصطفى النحاس وإلى جانبه مكرم عبيد قادا مصر بنجاح ، وحاربا القصر والإنجليز وأحزاب الباشوات ، وبعد أن عقد معاهدة ١٩٣٦ تبين النحاس أن الشعب لم يرض عنها فألغاها ، ودخل فى صراع مع الإنجليز ، ووقعت مذابح فى مدينة الإسماعيلية ، ولكن مركز الإنجليز اهتز فعلاً ، وعندما جاءت ثورة ١٩٥٢ انضم إليها الشعب ، وأرادت الثورة من مصطفى

النحاس أن يسير إلى جانبها ، لكنه رفض ، فانزوى صامتاً فى بيته فى جاردن سيتى حتى مات عزيزاً كريماً ، وقد حزن عليه المصريون جميعاً وشيعوه .

جيل ١٩٦٠ حمل فى كيانه كل عناصر القومية المصرية ، إنهم خلفاء المصريين القدماء وأتباع كل زعماء مصر ، وهم فى الحقيقة جند مصر المخلصون ، وأى رجل تكلمه منهم تراه بطلاً من أبطال مصر فى ركنه وعمله ، وكل منهم أعد نفسه إعداداً علمياً وقومياً عظيماً ، فكل واحد منهم تعلم اللغة العربية وأتقنها ، وأتقن لغة أو لغتين أو ثلاث لغات أجنبية ، وبعضهم لم يكتف بدكتوراه واحدة ، بل حصلوا على أكثر من دكتوراه ، لا رغبة فى الكثرة ، بل لدراسة مواد أخرى غير مادة التخصص ، وإلى جانب ذلك تجد الواحد منهم يعمل ١٥ و ١٦ ساعة فى اليوم فى صبر وأمانة ونظافة ، وهم بهذا يحفظون مصر من الضياع ، ومن حسن الحظ أنهم كثيرون والحمد لله ، فأنت تجدهم فى كل ركن من أركان مصر ، تجدهم فى المحافظات وفى الإدارات وفى الجامعات ، بل أنت تجد السيد رئيس الجمهورية اليوم منهم .

محمد حسنى مبارك

رئيس الجمهورية
وراعـــى جـــيل الســـتينيات

فقد ولد محمد حسنى مبارك فى ٤ مايو ١٩٢٨ بكفر المصيلحة بمحافظة المنوفية ، وتخرج فى الكلية الحربية سنة ١٩٤٩ ، ولكنه استمر يدرس بعد ذلك ليصبح واحداً من أعظم رجال الطيران فى الدنيا ، فقد سافر في بعثات متعددة للاتحاد السوفييتى للتدريب على قيادة أنواع جديدة من الطائرات ، وتلقى دراسات عليا بأكاديمية فرونز العسكرية بالاتحاد السوفييتى (١٩٦٤ — ١٩٦٥) ، ثم عمل مدرساً بالكلية الجوية ، ثم قائد سرب جوى ، ثم قائد لواء جوى ، ثم قائد الكلية الجوية من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٢ ، وعين فى نفس العام نائباً لوزير الحربية ، وفى هذه المرحلة أعاد تنظيم سلاح الطيران ، وخطط بكفاءة ونَفَّذَ باقتدار ضربة الطيران المصرية للمواقع الإسرائيلية خلال حرب ١٩٧٣ ، وهى الضربة التى أفقدت الجيش الاسرائيلى توازنه ، وقد عرف طول حياته بالحزم والكفاءة والقدرة على الطيران لساعات طويلة ، واشتهر بأنه معلم استراتيجى من الدرجة الأولى ، وبأنه القائد الذى يفضل دائماً أن يكون بين جنوده خلال أدق اللحظات وأصعبها ، ونظراً لمواهبه العظيمة تلك فقد اختير نائباً لرئيس الجمهورية من ١٩٧٥ إلى ١٩٨٠ فدرس فى هدوء خلال هذه الفترة أعمال رئيس الجمهورية ومسئولياته ، وفى تلك المرحلة تولى مهمات كثيرة عربية ودولية ،، وربطته علاقات

شخصية حميمة بالملوك والرؤساء العرب ، كما قام بزيارات عديدة لدول الشرق الأقصى أسهمت إلى حد بعيد فى تدعيم علاقاتها مع مصر . وكل ذلك قبل أن يتولى رياسة مصر بعد موت الرئيس السادات .

وإذن فنحن هنا أمام بطل من أبطال جيل الستينيات : فيه خلق هذا الجيل ووطنيته وإيمانه بمصر وقدرته على العمل وإتقانه لفنه وإصراره على نصرة مصر والنهوض بها ، وفى نفس الوقت كان دائماً مهتماً بمتابعة المشاكل المصرية الداخلية إلى جانب السياسة الخارجية ، وكان مهتماً دائماً بالقضايا المصرية من خلال نشاطه الحزبى فى الحزب الوطنى الديموقراطى ، فكان يتولى بنفسه العمل اليومى للحزب بصفته نائباً لرئيس الحزب وأمينه العام ، وعقد خلال توليه أمانة الحزب المؤتمرين القوميين فى مصر : الأول والثانى .

وفى استفتاء قومى ضخم انتخب حسنى مبارك بالإجماع رئيساً لجمهورية مصر العربية فى ١٤ أكتوبر ١٩٨١ وفى ٥ يناير سنة ١٩٨٧ أعيد انتخابه لفترة رياسة ثانية نظراً لما أدخله من التغيير على سياسة رئيس الجمهورية وأخلاقياته من اعتدال وتنزيه وفهم وعمق ، ويكفى أن تقول إنه أول رئيس دولة عربى لم ينطق فى حياته بكلمة نابية ، فهو رجل مهذب جداً ، وزعيم سلام كامل ، وهو يسير بشئون مصر سيراً عاقلاً مهذباً ، يكسب لمصر كل يوم مكاسب عظيمة ، والرجل فى غاية النبل والأمانة والتثقيف ، وإيمانه بالعروبة عظيم وعميق ، وبفضله اجتمعت كلمة العرب مرة ثانية ، ومصر عادت إلى الجامعة العربية ، ومبارك لا يستقر فى مصر شهراً لأنه دائماً يطوف بالدنيا ، ويقابل رجال الدول الأجنبية ، ويثبت لهم أن مصر حقاً بلد أخلاقى سلمى يريد ــ ويستطيع ــ أن يقود الدنيا فى طريق الخير والسلام .

هذا إذن رجل من جيل الستينيات يقود مصر ، ومن حسن حظنا أنه يختار كل رجاله من نفس الصفات والأخلاق ، ولهذا السبب ترى أن حكومة مصر ممتازة حقاً ، لأن مبارك يرعى كل شيء بنفسه ، ولولا أننا نخشى أن يستوعب المقال لكتبنا عنه وكتبنا ، لأنه رئيس فريد فى بابه ، فلم يحدث قبل مبارك أن حكم مصر رجل مثل مبارك

وطنية وإخلاصاً وصدقاً وفضيلة ، وإذا كانت مصر اليوم بخير فإن الفضل فى ذلك إلى مبارك وإلى حرصه على أن يعتمد على رجال من جيله ، لهم نفس الخصائص الأخلاقية والقومية ، وقد أصبح مبارك اليوم رئيس الوحدة الأفريقية لا لأنه عليه الدور فقط ، بل بسبب أخلاقه وصدقه وإخلاصه ، ولم يحدث قبل ذلك أبداً أن تولى رياسة الوحدة الأفريقية رئيس محبوب من كل الأفارقة مثل مبارك ، فإن كل زعماء أفريقية يثقون فيه ويطمئنون إليه ويتمنون أن يظل رئيساً إلى الأبد .

والغريب أن ثورة ١٩٥٢ لم تضْن الانتصار لمصر والمصريين ، وعبد الناصر ورجاله تكلموا كثيراً وهددوا إسرائيل ، وكانت اسرائيل تتربص دون أن يدرى عبد الناصر مدى قوتها ، بل هو كان مستهيناً بها ، بل كان محاطاً بالمصفقين من كل جانب . وعندما قامت المعركة مع إسرائيل فى سنة ١٩٦٧ تبينا أن إسرائيل كانت تنتظر فى حين أن عبد الناصر لم يكن يتوقع الحرب ، فلما وقعت الحرب وخسرها واحتلت إسرائيل سيناء وقف عقلاء العرب إلى جانب عبد الناصر ، ولم يعش الرجل حتى يحقق النصر الذى طالما تمناه ، وكان الذى انتصر على إسرائيل السادات والمصريون جميعاً ، وكان نصر رمضان أو أكتوبر ١٩٧٣ ، وكان الذى انتصر هو جيل الستينيات كله لا السادات وحده ، ولو أن معظم الفضل يعود إليه وإلى عبقريته . ولو أن السادات ترك جيل الستينات يقود مصر لاستمر النصر فى الميدان الداخلى ، ولما عرفنا هذا الانفتاح المخيف الذى اجتاح مصر بعد النصر ، ولما اتسع الباب أمام « الحرامية » ليدخلوا من كل ناحية ، ولما استطاعت البلاد أن تقول إن اللصوص اجتاحتنا ، ولما أخذت البلاد تهبط ولما وقعنا فى الأزمة الحالية ، ولما جرؤ أحد ممن يقابلونك على أن يقول : ماذا جرى للبلد ؟ أو لماذا كثر اللصوص عندنا وانعدمت الأمانة وقل الانتماء ؟ لأن جيل الستينيات أنقذ البلاد ووقف حائلاً بين بلادنا واستمرارها فى هذا التدهور ، وسترى فيما يلى أن مصر لم تتدهور قط وكلها ألفاظ يقولها الناس دون وعى ، ومصر لازالت والحمد لله .

وعن مبارك تقرأ فى الموسوعة القومية للشخصيات المصرية : « وعلى الصعيد المحلى تعيش البلاد مرحلة الممارسة الديموقراطية بكل أبعادها فى ضوء تعدد الأحزاب وممارساتها

لنشاطها كاملاً دون قيود . كما أن حرية التعبير وتبادل الرأى والرأى الآخر مكفولة لجميع الأطراف ، فلم يحدث منذ ولاية الرئيس مبارك أن صودرت صحيفة أو كتاب أو قصف قلم أو صودر فكر ، وإنما انفتاح كامل على كل الأفكار والتيارات فى ضوء المصلحة القومية العليا ، والالتزام بالمسئولية تجاه الوطن والمواطنين ، وقد كانت بداية عهده توكيداً لهذه الديموقراطية حيث أصدر قراره بالإفراج عن المعتقلين والمسجونين السياسيين » .

وهذا كله حق ، فلم يسبق لمصر أن تمتعت بالحرية القومية كما تتمتع بها اليوم ، وها نحن أولاء الكتاب نؤكد ذلك ، فأنا أكتب من أكثر من أربعين سنة ، ولا أذكر أنهم ألغوا لى كلمة واحدة ، لأن مبارك وطنى صادق حر فعلاً ، وهو صادق حر وقومى لأنه من جيل الستينات ، ذلك الجيل المخلص الموهوب الذى رصد نفسه لخدمة مصر ، وذاق المرارة فى تكوين نفسه ، ثم خابت آماله عندما جاءت كارثة ١٩٦٧ ، ولكنه أصر على أن يصلح الخطأ ، ويحرر الوطن ، ويكتب لمصر أعظم نصر فى تاريخها الحديث ، وقد فعل ، وأنا فى هذه الدراسة سأكتب عمن أستطيع فى هذا المجال أن أكتب عنه من رجال جيل الستينيات بعد أن كتبت عن مبارك .

ومن حسن الحظ أن عدد البارزين من رجال الستينيات كبير ، ولكنهم ليسوا من الكثرة بحيث يستطيعون النهوض بمصر فعلاً ، فلابد أن نمد لهم أيدينا ونساعدهم ولكنهم يعملون ، وهم مجتهدون ساهرون . وهم فى الحقيقة الذين يصنعون حاضر مصر ومستقبلها ، وأنا عندما أكتب عنهم فأنا فى الحقيقة أؤرخ لمصر ، فهؤلاء فعلاً هم الذين يعملون عملاً نافعاً ، وقد خشيت أن ينساهم الناس إذا لم يكتب عنهم أحد ، ومن حسن الحظ أن حياتهم كلها ممتعة ، فهؤلاء رجال خاضوا المعارك أولاً ليبنوا أنفسهم ، وهذه المعارك شدت عضلاتهم وقوت نفوسهم وجعلتهم جنود معركة فعلاً ، وأنت إذ تقرأ عنهم فأنت فى الواقع تقرأ عن أبطال معركة : معركة مصر ومعركة العرب ومعركة الدنيا كلها . ولابد أن أختار من بينهم ، وإلا فمن المستحيل أن أفرغ من هذه الدراسة ولو فى ألف فصل ، سأختار على قدر ما أستطيع ، سأكتب عنهم دون ترتيب ، لأننى لا أملك قائمة بهم ، وإنما أنا أتذكر وأبحث وأجمع المادة ، ثم أكتب ، والمهم أن

أوفق فى نهاية هذه السلسلة إلى كتابة تاريخ معاصر لمصر والعرب . وإذا فاتنى أحد فأرجو أن تنبهونى كى أستدرك ما فاتنى ، وليس هناك عيب فى أن ينبهنى ابن واحد منهم مثلاً إلى أبيه ، لأن أباه جزء من تاريخ مصر ، وليس أباه فحسب .

سأكتب هنا عن سمير سرحان وممدوح البلتاجى وصفوت الشريف وصلاح منتصر وصبحى عبد الحكيم وأسامة الباز ومصطفى محمد الفقى وابراهيم نافع ومحسن محمد وأبو صالح الألفى وجاذبية صدقى والحسين فوزى ومحمد صدقى الجباخنجى ومحمد محمد صبرى والدكتور طبيب إبراهيم عبود وعلى لطفى وعاطف صدقى ونظير جيد روفائيل (البابا شنوده) وأحمد عصمت عبد المجيد وثروت محمد فهمى عكاشة ومجدى وهبة وثروت أباظة وليلى تكلا ومحمد حسن الزيات وسعد الدين وهبه وإبراهيم شكرى وسعد هجرس وأحمد بهاء الدين وعبد المنعم عبد الحميد عمارة ولمعى المطيعى لبيب وأحمد عز الدين عبد الله ويوسف صبرى أبو طالب وجمال حمدان وعائشة عبد الرحمن وشوقى ضيف وحازم عبد العزيز الببلاوى وحلمى محمود نمر وعثمان أحمد عثمان وأحمد سلامة محمد والسيد ياسين وأنيس منصور وكمال محمد على بشر وفاتن حمامة وأحمد رشدى (وزير الداخلية) الأسبق ومحمد متولى الشعراوى والفريد مرقس فرج وعلى الراعى وسهير البابلى ومحمود أمين العالم وأحمد عمر هاشم وعبد العزيز صادق وعادل إسماعيل جزارين وعبد المعطى حجازى وسناء جميل وفاروق شوشة وأحمد عبد الحميد حمروش وحسين كامل بهاء الدين وغيرهم كثيرين . وهؤلاء جميعاً سأكتب عنهم بعيداً عن وظائفهم لأن الوظيفة لا تعنى بالنسبة لهؤلاء شيئاً مهماً ، ثم إننا نعيش الآن فى عصر لم يعد للوظائف فيه ذلك الهيلمان القديم ، وإن كان من المهم أن تعرف أن هذا يحتل وظيفة كذا أو كذا ، لأن ذلك يساعد على فهم الشخص ، ويزيد إدراكك لقدره وأهميته القومية .

وقد كتبت إلى الآن من وزراء جيل الستينات عن صفوت الشريف . ولكنى سأكتب كذلك عن حسب الله الكفراوى وسليمان متولى وماهر أباظه وحسين كامل بهاء الدين . ولم يتسع المجال هنا للكتابة عن أكثر من هؤلاء الوزراء .

وأكمل الكلام عن مبارك حتى أفرغ للكتابة عمن سواه من أبناء جيل الستينات فأقول إنه من حسن الحظ إن الرئيس مبارك عمل بنجاح فى انقاذ مصر من رئيس العراق العدوانى صدام حسين ، وصدام ـ خيل الرياسة كان صعلوكاً سياسياً يحوم حول السلطان ، وقد ظل يحوم فى الميدان دون هدف واضح ، وأصبح مساعداً لأحمد حسن البكر رئيس جمهورية العراق ، وفجأة اختفى ، أحمد حسن البكر وقفز صدام إلى الرياسة .

ومن يوم قفز صدام إلى رياسة العراق لم ير هذا البلد خيراً ، فهو يعتقد أن ما يحتاجه أى بلد ليكون عظيماً هو أن تكون له قوة وأداة عسكرية هائلة ، وهو من يوم أصبح مساعداً لأحمد حسن البكر بدأ فى بناء جيش ضخم للعراق . والعراق كما نعرف بلد غنى جداً ، فلديه نهران لا نهر واحد ، وأراضيه الزراعية واسعة جداً وثروته عظيمة إلى جانب الزراعة إذ انه ــ إلى جانب ثروته الزراعية ــ يسبح على بحر من البترول ؛ فمضى صدام يشترى بأموال العراق سلاحاً ، وقد استمع فى ذلك إلى رجال كان همهم شراء السلاح المتطور المعقد فمضى صدام يشترى تلك الأسلحة الخطيرة ، وغاب عنه أن أهمية السلاح الخطير تتركز فيمن يستعمله ، فلا معنى لأن تحوز أشد الأسلحة قوة وتعقيداً دون أن يكون لديك من يستطيع استعماله . وصدام فى حقيقته لم يتعلم تعليماً قاضياً ولا حصل على درجة جامعية ، حتى اللقب العسكرى الذى أعطاه لنفسه بعد أن أصبح رئيساً لم يعرف معناه ، وكان بينه وبين الخمينى رئيس إيران الاسبق خصومة ، فما كاد يتولى أمر العراق حتى هجم على إيران يريد احتلال أرضها وكان يحسب أن إيران لم تعد لديها قوة عسكرية ، فإن الخمينى عندما أصبح رئيساً لإيران اشتد فى معاملة ضباط الجيش الإيرانى قائلاً إنهم كانوا ضباط الشاه ، وفعلاً هجم صدام على العراق ولكن جيش إيران ظل قوياً ، وثبتت إيران لصدام بل احتلت جنوب العراق ، وطالت الحرب بينهما حتى بلغت ثمانية أعوام ، ولو تركت الامور كما هى لما انتهت حرب إيران والعراق إلا بعد سنوات طويلة ، ولكن الدول سعت فى عقد الصلح بينهما . وكانت الدول العربية قد ساعدت العراق فى حربه مع إيران ، وبلاد الخليج بالذات قدمت له الأموال الجسيمة ، ولولا ذلك لما استطاع صدام الخلاص من حربه الطاحنة مع إيران .

وانتهت حرب إيران والعراق إلى هدنة . وبينما كانت البلاد العربية تنتظر الشكر من صدام إذا به يهجم على الكويت ويحتل أراضيها ويزعم أن هذا البلد كان فيما سبق جزءاً من ولاية البصرة وهذا خبر صحيح ، لأن الكويت اقدم كبلد مستقل من ولاية البصرة التى انشأها رجال الدولة العثمانية بعد أن سيطروا على العراق .

وهنا تحركت الدنيا فان الكويت بلد غنى جداً فإن فى أراضيه حوالى ١٠ ٪ من بترول الدنيا ، ولا يمكن ترك هذا البترول فى يد صدام الذى كان يملك ٣٠ ٪ من بترول الدنيا . والدول العربية ، وعلى رأسها مصر والسعودية ما كان من الممكن أن ترى بلداً عربياً يحتل بلداً عربياً آخر وتقف ساكتة ، هذا إلى أن صدام ــ بعد أن غزا الكويت ــ بدأ يتحدث عن دول الخليج والسعودية ويهدد بضمها إلى العراق ، وهو إذا فعل ذلك أصبح يملك ٧٠ ٪ من بترول الدنيا ، وهنا لن يستطيع أحد الوقوف فى وجهه ، وقررت الدول بزعامة الولايات المتحدة تحرير الكويت ، وقبل أمريكا كان مبارك قد ذهب إلى صدام ليحذره من إيذاء الكويت وصدام أكد له أنه لن يعتدى على الكويت ، ولكن مبارك لم يكد يعود إلى مصر حتى عرف أن صدام هجم على الكويت ، وجمع مبارك مؤتمراً عربياً فى القاهرة ، والمؤتمر استنكر العدوان ورجا أن يقسم العراق من الكويت فى حين أن بعض العرب ، وخاصة ياسر عرفات أيدوا العراق لأن صدام وعد بأن يعطى الكويت للفلسطينيين ، ودخلت مصر الحرب دفاعاً عن الكويت وتمكنت القوات المصرية من تحقيق انتصار معركة الكويت ، وانسحب العراق من ذلك البلد وتمزق جيشه تمزقاً تحزناً ، وأصبحت العراق تحت احتلال العراقيين . ومصر ــ بزعامة مبارك ــ أصبحت قوة تحرير عربية حاسمة ودخلت فى جملة بلاد العالم القائدة لسياسة الدنيا . والفضل فى ذلك يرجع إلى مبارك وحزمه وقوته وبعد نظره وإدراكه الواسع للسياسة العالمية ، هذا إلى جانب قيادته لمصر قيادة حرة ديمقراطية ، فإن مصر قد نهضت فعلاً صناعياً واقتصادياً ، وهذا جانب صغير من أعمال مبارك ، وهو دون شك من أعظم من عرفت مصر من الرؤساء إلى يومنا هذا ، ونرجو أن تصل مصر إلى غاياتها الدولية والحضارية والقوية إلى الغاية الرفيعة التى تسعى إليها اليوم .

ويكفى هذا عن مبارك فى هذا الكتاب الذى اقدم فيه جيل الستينيات ، ولا ننقل من بلده لكى تتم دراستنا لجيل الستينيات وزعماء المصريين من رجاله .

سمير سرحان :
أكبر كتبى فى مصر

من أكثر من عشر سنوات يتولى الدكتور سمير سرحان رئاسة مجلس إدارة هيئة الكتاب ، وهيئة الكتاب هيئة مزدوجة ، فهى تشمل دار الكتب ، وهيئة نشر تجارية تقوم بنشر الكتب ، ولما كنا فى وقت متطلب فيه عملية النشر فى مصر ، ولم تعد دار المعارف أو غيرها تنشر الكتب كما كان الحال من قبل فقد زادت أهمية هيئة الكتاب لأن الدكتور سمير سرحان رجل عملى مجتهد يعشق وظيفة النشر ، ويحسنها وله جرأة عليها فقد تزاحم الناس عليها وأصبحت بالفعل مركزاً رئيسياً لنشر الكتب الجيدة فى مصر ، لأن الدكتور سرحان أحسن إعداد هيئته ووقف مع موظفيه فى هذه المهمة الخطيرة .

وأبدا بالكلام على سمير سرحان ، واسمه الكامل محمد سمير جابر سرحان لأنه من أقرب الناس إلى ، فأنا رجل حياتى كلها قراءة وكتابة ، وسمير سرحان رئيس الهيئة العامة للكتاب فى مصر التى أصبحت بفضله أعظم هيئة للنشر فى مصر ، فأنت يضيق عليك المجال فى البحث عن ناشر ، فلا تجد أمامك إلا سمير سرحان يقرأ كتابك وينشره إذا كان يستحق النشر . وهو هنا صريح جداً وقوى جداً .

وهيئة الكتاب لم تكن دائماً هكذا ، بل هو الذى جعلها بهمته ووطنيته أعظم دور

النشر فى العالم العربى ، وهو يحافظ على الكتب ويجعلها دائماً تحت تصرفنا ، ويوم تذهب إلى الدار وتطلب الكتاب يأتونك به ، لأن سمير سرحان دائماً فى الدار ، والموظفون هناك يحبونه ويخشونه ، ويعرفون أن هذا رجل يعيش للكتب وبالكتب ، وأعظم ما يميزه قوة ابتكاره ، ففى عهده نظمت الهيئة معارض الكتاب السنوية ، وهى شىء عظيم ، يجتمع فيه الأدباء والشعراء والمفكرون من جميع أنحاء العالم العربى ، ويلقون المحاضرات والأشعار ويستمع إليهم الصغار والناشئون ، وتدور المناقشات ، وفى أيام مهرجان الكتاب يدوم العمل فى الهيئة وفى أرض المعارض فى شمال القاهرة عشرين ساعة فى اليوم ، بحيث تستطيع القول إن سمير سرحان قد أنشأ فى العالم العربى نهضة فكرية كبرى شملت الكبار والصغار والأطفال أيضاً ، كل ذلك وسمير سرحان موجود هناك ساهر على الحركة الفكرية فى العالم العربى حتى ليخيل إليك أنه لا يتعب ، وهو بالفعل لا يتعب .

ولد سمير سرحان فى ٨ ديسمبر ١٩٤١ بالقاهرة ، وحصل على ليسانس الآداب فى الأدب الإنجليزى من جامعة القاهرة سنة ١٩٦١ ، فهو على ذلك نموذج حقيقى لجيل الستينيات الذى نتحدث عنه هنا ، وكان ترتيبه الأول فى ليسانس اللغة الإنجليزية ، فعين معيداً فى الكلية ثم أرسل فى بعثة إلى أمريكا ــ عبوراً بانجلترا ــ لكى يحصل على الدكتوراه فى الأدب الإنجليزى من جامعة انديانا ، وقد حصل عليها سنة ١٩٦٨ أى بعد النكسة بعام واحد ، ونحن نقرأ فى مذكراته كيف إن هذه الصدمة شدت عظمه وقوت نفسه وجعلته يقسم على أن ينتقم لبلاده . وقد اجتهد فى عمله جدا حتى أصبح فيما بين سنتى ١٩٨٤ و ١٩٨٥ رئيساً لقسم اللغة الإنجليزية . وثبت بالفعل أنه أحسن رئيس عرفه هذا القسم ، وإليك صفحة لا تنسى من مذكراته المسماة « على مقهى الحياة » وهى من أعظم المذكرات التى تقرؤها لأديب ، لأن سمير سرحان أولاً وأخيراً أديب ، وهو أديب مصقول ، وتخصصه هو المسرح ، وقد كتب له مسرحيات كثيرة جميلة جداً ، قال فى مذكراته : تذكر الفتى ــ يريد نفسه ــ أنه ذات يوم وهو بعدُ معيد بقسم اللغة الإنجليزية بجامعة القاهرة . . لمح صديقاً حميماً له من الصحفيين هو مصطفى الحسينى يصطحب معه فتاة سمراء هيفاء ذات شعر أسود كثيف وعينين واسعتين يعتريهما تعبير

دائم بالدهشة ممزوج بشيء من التعالى وسخرية خفيفة ربما كانت تدارى بها خجلها الكامن ، وكانت تسير منحنية الرأس قليلاً رجلاها تكادان تصطدم إحداهما بالأخرى ، كأنها خجلى من طولها الفارع الذى أضفى عليها فى حقيقة الأمر من جمال الوجه والعينين والشعر جاذبية لا حدود لها ، وقدمها مصطفى الحسينى لسمير سرحان باعتبارها زميلة صحفية له ، وبالإضافة إلى ذلك فهى طالبة بقسم اللغة الانجليزية بالسنة الثالثة ، لكنها لا تحضر لانشغالها بعملها وبحياتها الأسرية ، وطلب مصطفى الحسينى إلى سمير أن يعطيها دروساً خصوصية للتقوية فى بعض المواد ، فهش الفتى قائلاً إنه فى الخدمة شريطة أن تحضر إليه فى مكتبه ليساعدها فى دروسها دون مقابل . ودارت مناقشة عنيفة لأن البنت أصرت على أن تأخذ الدروس بمقابل ، وأصرت كذلك على أن يذهب سمير إلى بيتها فرفض ، وبذلك ينتهى اللقاء الأول بين سمير سرحان ونهاد جاد الأديبة المصرية التى هزت مصر كلها بمسرحيتها « الرصيف » التى يقولون إنها أعظم مسرحية كتبت فى مصر فى العصر الحديث ، وأنا شخصياً شهدتها أكثر من مرة وأعجبت بها بغير حدود .

ثم تلاقى سمير مع نهاد جاد فى الولايات المتحدة أيام كان يدرس فى جامعة انديانا ، وكانت هى الأخرى قد ذهبت إلى هناك فى بعثة . قال إنه : لمح فى نهاية القاعة من خلف وجوه الطلبة الأمريكان فتاة سمراء طويلة كثيفة الشعرالأسود واسعة العينين ، لكنها كانت حائرة النظرات كأنها تستغرب وجودها فى ذلك المكان ، وتعرف على وجهها على الفور ، فقد كانت هى نفسها نهاد جاد ، ابتسم لها ابتسامة واسعة ، وتوقع أن تسرع إليه مستغيثة به من ذلك الشعور المؤلم بالغربة الذى ينتاب القادم الجديد . ولكنها جلست فى هدوء صامتة فى نفس اللحظة التى دخل فيها الأستاذ إلى القاعة وشرع يلقى درسه فى همة وحماسة . . انتظر الفتى حتى انتهت المحاضرة ، وذهب إليها قدم لها نفسه ، فسلمت عليه فى تحفظ واضح ، وسارا معاً صامتين إلى خارج المبنى دون أن تدعوه هى إلى السير معها أو تعترض على ذلك ، والفتى يشعر خلال لحظات الصمت أنه قد أصبح مسئولاً ــ بدافع النخوة الشرقية ــ عن هذه الفتاة المصرية مسئولية كاملة . .

باختصار هذه بداية قصة حب بين رجل عظيم وامرأة عظيمة من جيل الستينيات ، والاثنان خدما مصر خدمات عظيمة لولا أن العين أصابت نهاد جاد فماتت فى ريعان الشباب ، ولكنها خلفت لنا عملاً فنياً لا يمحى .

أما سمير سرحان فبارك الله فيه ، وهو اليوم يتابع جهوده فى هيئة الكتاب وفى كلية الآداب بجامعة القاهرة أيضاً ، فلايزال أستاذاً هناك ، وهو أستاذ عظيم ، ومدير عظيم ، وهو يحمل جانباً ضخماً من المسئولية عن مصر المعاصرة . إلى هنا أقف بالحديث عن سمير سرحان ، لأن الحديث عنه لا ينتهى ، فهو رجل موهوب وشغال وخادم عظيم لمصر ولو أردت أن أشغل به هذه السلسلة كلها لفعلت ، ولكني أرى فيما قلته يكفى ولأنتقل بعد ذلك إلى عبقرى آخر من عباقرة جيل الستينيات وهو ممدوح البلتاجى .

- **ممدوح البلتاجى**

أديب ودبلوماسى وأستاذ

- **وعبد القادر حاتم**

الأستاذ الفيلسوف الاعلامى العظيم

- **د. سليمان حزين**

من أكبر علماء مصر
ومن منشئى الثقافة المصرية المعاصرة

ممدوح البلتاجى
أديب ودبلوماسى وأستاذ

■ عندما نتكلم عن ممدوح البلتاجى فإننا لا نتحدث عن رجل واحد ، بل عن بضعة رجال ، فهذا الرجل أستاذ فى القانون العام والتشريعات الضريبية ، وهو قاض وصل فى سلك القضاء إلى درجة مستشار بمحكمة استئناف القاهرة ، ودبلوماسى وصل إلى درجة وزير مفوض إعلامى فى باريس ، وهو اليوم رجل الإعلام الأول فى مصر ــ بعد صفوت الشريف طبعاً ــ وهو يمارس الإعلام بكل مواهب التخصص التى مر بها فى حياته ، وصدقنى إن مصر لم تعرف فى تاريخها مدير استعلامات مثل ممدوح البلتاجى بعد عبد القادر حاتم فهو يمتاز بسلامة خلق وقوة نفس ووطنية وكفاية ومواهب وصبر على العمل . فهذا الرجل تجده فى مكتبه يعمل من الثامنة صباحاً إلى الرابعة بعد الظهر ، ثم ينتقل بعمله كله إلى بيته ، وهناك يظل يعمل إلى ما لا نهاية ، والغريب أن الرجل يحضر كل الاجتماعات الإعلامية ، فأنت تجده فى كل مكان ولو أنك سألتنى إذا كان ساحراً لقلت لك ممكن .. ممكن جداً ؟

وممدوح البلتاجى ــ مثله فى ذلك مثل سمير سرحان ــ رجل نموذجى من رجال الستينيات ، فقد ولد فى القاهرة فى ٢١ أبريل ١٩٣٩ وحصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩٥٨ ، واستمر يدرس بعد ذلك ، لأن هذه الفترة كما عرفنا كانت عصر تفاؤل ومستقبل

باهر فى مصر ، وممدوح البلتاجى الشاب وقتئذ كان يريد أن يخدم مصر بكل قواه ، فحصل على دبلومين من دبلومات الدراسات العليا فى المالية العامة والعلوم السياسية (سنتى ١٩٦٦ و ٧٠) ، ثم حصل على دكتوراه التخصص فى العلوم السياسية سنة ٧٥ من جامعة السوربون فى باريس ، فقد أرسلوه فى بعثة دراسية إلى هناك ، وممدوح البلتاجى على فكرة من المصريين القلائل الذين يتقنون العربية والإنجليزية ، والفرنسية والألمانية ، فنحن هنا أمام دائرة معارف ، أمام عدة رجال لا رجل واحد ، وأنت إذا سمعته يتحدث انتابتك دهشة من سعة علمه واتساع أفقه ومن ظرفه أيضاً ، فهو رجل لطيف جداً ، وجاد جداً ، ونحن بالفعل نحسده على أنه يتولى رياسة هيئة الاستعلامات عندنا منذ سنة ١٩٨٢ ، ولابد أن أقول لك إن رياسة هيئة الاستعلامات فى بلد مثل مصر عمل صعب جداً ، وقد فشل فيه رجال كثيرون قبله حتى جاء وقبض عليها بكلتا يديه ، فنجح وأبدع ، وحصل على إعجاب الدنيا كلها .

وقد ورث ممدوح الأخلاق الجميلة والروح العلمى وروح القضاء عن أبيه أحمد البلتاجى ، وأنا أعتقد أن المواهب والفضائل تورث ، وقد كنت فى الماضى أحتج عندما أجدهم يعينون فى الكليات معيدين مكان آبائهم وفى نفس تخصصهم ، أما الآن فأنا أؤيد ذلك ، لأن ابن العالم يرث علم أبيه وفضله ، ومن الممكن أن يكون ابن موظف صغير قاضياً عظيماً ، ولكن المؤكد أننا إذا عينا ابن القاضى الكبير قاضياً فسيكون الابن مثل أبيه ، أو سيجتهد على الأقل فى مساواة أبيه ، وعن أبيه يقول ممدوح البلتاجى فى حديث له مع الصحفية سوسن أبو حسين « كان من رجال القضاء ، وقد توفى — رحمه الله — وعمرى ٢٤ سنة ، ولكن العلاقة بيننا كانت ذات لون ومذاق وعمق خاص جداً ، كنت بالنسبة له قضية عمره ، فأعطانى وبإيقاع سريع جرعات مكثفة من فكره وآرائه وفلسفته ونظرته للدنيا وثقافته وخبراته الإنسانية ، وكأنه كان يستشعر أن حياته معى ستكون قصيرة ، ولم تكن علاقتى بوالدى كما كانت العلاقة العادية الطبيعية الهادئة بين أب وابنه ، وإنما كانت علاقة متوثبة دائماً . . كانت علاقة تقوم على الحرية حرية إلى أبعد الحدود . . مرهقة من كثرة ما أراد الأب أن يغرسه فى نفس الابن من القيم والمواقف والسلوك فى الحياة » ، وعندما سألته الصحفية عما تعلمه من أبيه قال

« إن الحياة موقف جاد جداً » ! هنا نلاحظ اقتراب تفكير البلتاجى من تفكير سمير سرحان ، واقترابهما معاً من فلسفة جان بول سارتر لا فى الوجودية ، وإنما فى القول بأن الحياة اختيار وقرار ، فأنت على طول حياتك تختار وتقرر إذا كنت رجلاً ذا شخصية ، أما إذا كنت أى انسان فإن الآخرين يختارون لك ويقررون لك ، وأنت فى هذه الحالة تتبع وتطيع ، ولا تكون لك شخصية ولا يكون لك امتياز .

أما جهة القوة فى ممدوح البلتاجى فهى الإعلام ، فإن هذا الرجل إعلامى بطبيعته وأخلاقه ، وقد منحه الله كل الصفات اللازمة للنجاح فى عالم الإعلام ، وقد سبق أن قلت لك إن الإعلام فى بلد مثل مصر مهمة صعبة جداً ، لأن مصر ملتقى تيارات كثيرة متعارضة ، فهى عربية إفريقية وعالمية ، وأنت لا تستطيع إغلاق أبواب مصر ، لأن مصر تقع فى وسط الدنيا ، وأى إنسان يرحل من الغرب إلى الشرق وبالعكس لابد أن يمر بمصر ، وهو عندما يمر بمصر لابد أن يتكلم وخاصة إذا كان من رجال الصحافة والإعلام ، ولهذا فإن التيارات التى يتلقاها ممدوح البلتاجى كثيرة ومتعارضة . وهى فى نفس الوقت أسئلة .

ولابد له من ذكاء وموهبة كبرى فى الإجابة عنها .

وإذا أردت أن تأخذ فكرة صحيحة عن إدراكه العميق للسياسة العالمية فاقرأ الفقرة التالية التى أخذتها من محاضرة له عن السياسة العالمية ألقاها فى احتفال خريجى مدرسة النقراشى الثانوية بالقاهرة ، والكلام هنا عن روسيا ، وجورباتشوف ومن المعروف أنه كان فى وقت معين أعظم شخصية فى السياسة العالمية ؟ قال :

« إن موضوع المناقشة أو المحاضرة أو الحوار الذى يجمعنا اليوم هو التحولات فى أوروبا الشرقية وتداعياتها على مختلف المستويات السياسية والاقتصادية . . ولا يمكن التطرق إلى هذا الموضوع دون تلك المقدمة السريعة التى اخترتها مدخلاً للمحاضرة ، فمن المؤكد أن قيادة جورباتشوف ومبادراته أى فكره وحركته السياسية داخل وخارج الاتحاد السوفيتى هى التى فجرت ــ أو على الأقل عجلت ــ بوقوع الأحداث السريعة المتلاحقة داخل ما كان يسمى حتى شهور قليلة ماضية بالمعسكر الشرقى أو بالكتلة الاشتراكية » .

« وإن أى تباطؤ أو عجز أو مقاومة للقيادات الحاكمة فى أوروبا الشرقية عن فهم وإدراك لموجبات التغييرالذى يدعو إليه جورباتشوف وعدم إمساكها بزمام المبادرة ، بل فى بعض الأحيان مقاومة ذلك التغيير إلى حد محاولة إغراقه فى الدماء والنار ، هى التى أدت إلى تلك العواصف العاتية ، والتغيير العنيف غير المنضبط فى إيقاعه ، وغير المحدد فى توجهاته حتى التى هبت على شرق أوروبا فى الآونةالأخيرة » .

« وهكذا يمكن لنا منذ البداية أن نقيم تفرقة واضحة بين التحولات التى جرت ومازالت تجرى داخل الاتحاد السوفيتى نفسه ، وبين تلك التحولات فى باقى بلدان أوروبا الشرقية . . الأولى تنمو بها قيادة الدولة وفق فكر وسياسة وإيقاع واتجاهات منضبطة ، بل معلن عنها مسبقاً ، ومعتمدة على قوى وأجهزة فى موقع القرار . . وفى نفس الوقت فهى تجرى فى الوطن الأول للاشتراكية ولدى القوة العظمى الثانية الأكثر قدرة من الناحية العسكرية ، والأكثر خطراً فى حالة المنافسة السلمية ، والأصعب تطوراً نتيجة ثقل الهياكل السياسية وآليات وقوى التخطيط المركزى الكابح . . أما التحولات فى أوروبا الشرقية فتجرى فى ظل ظروف ، وتحت قيادة جورباتشوف . وهذا كله يجرى تحت ضغط قوى خطيرة مصممة دافعة ، ووفق آليات أقل ما يمكن أن توصف به أنها فى مرحلة تشكيل وتبلور لم تتضح بصورة يقينية ونهائية حتى اليوم ، وإن كانت تتم فى دول أقل قوة عسكرياً وحيث رسوخ الحكم الاشتراكى فيها أقرب عهداً ، وقدرتها على التطور بالتالى أكثر دينامية . . ودلالة هذه التفرقة ونتائجها لا يمكن أن تخفى على أحد ، على الأقل فيما يتصل بموقف الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية من هذه التحولات . . فالتعامل والتفاعل والتفاوض والاستجابة تجرى فى الحالة الأولى مع ند قوى نسبياً ــ مازال خصماً إن لم يكن عدواً ــ ومع محور مستقر واضح يقود حركة التغيير من موقع الدولة . والقرار رغم مشاكله الداخلية العديدة . . بينما الاستجابة والتفاعل فى مواجهة التصورات ببلدان أوروبا الشرقية لابد أن تكون أكثر إيجابية من جانب الغرب . لأن مساعداته لتلك البلدان أقل خطراً وأكثر عائداً . . ؟ » .

وهذا كلام رجل عالم بشئون السياسة العالمية . ومن هنا فإننى على حق فيما قلته عن ممدوح البلتاجى وهو أنه أجدر إنسان بأن يتولى هيئة الإعلام فى مصر اليوم . خاصة وإن التطور العالمى مستمر فى كل ميدان ، وسيجىء يوم نجد أنفسنا فيه فى عالم آخر .

عبد القادر حاتم
الأستاذ الفيلسوف الإعلامى العظيم

وانتقل الآن إلى عبد القادر حاتم ، وهو عَالِمٌ قائم بذاته ، فهو علاّمة وأديب ومفكر وسياسى وعسكرى أيضاً ، فقد تكون أساساً تكويناً عسكرياً ، ومنذ ظهر فى العالم السياسى المصرى ، وهو قائد فكرى إعلامى له أثر ملحوظ فى كل ميدان عمل فيه .

وإليك موجز حياته لترى غنى هذه الحياة ووفرة الجهد الثقافى فيها : ولد فى ٣ سبتمبر ١٩١٨ بمحافظة الإسكندرية ، حصل على بكالوريوس العلوم العسكرية (١٩٣٩) ودبلوم الاقتصاد السياسى (١٩٤٧) ودرس علوم الاستراتيجية فى لندن حصل على الماجستير فى تلك العلوم من كلية أركان حرب فى سنة ١٩٥٣ ، ثم حصل لى الدكتوراه فى العلوم السياسية من جامعة القاهرة سنة ١٩٥٧ وهذا هو الذى يجعله ىضواً أصيلاً فى جيل الستينيات ، ذلك الجيل المعلم القائد ، وكان عبد القادر حاتم قد عين مستشاراً للرئيس جمال عبد الناصر ومديراً لمكتبه ١٩٥٣ — ١٩٥٤ ، وخلال هذه الفترة عرفناه ، وتحدث عبد القادر حاتم مع المرحوم إحسان عبد القدوس وكتب المقالات فى مجلة روزا اليوسف ، وقد ذكر إحسان عبد القدوس كيف أن هذا الضابط الشاب كان يزوره فى مكتبه ومعه المقالات الجيدة دون أن يذكر له أنه مدير مكتب الرئيس عبد الناصر ، وفى هذه الفترة عرفناه نحن أيضاً ــ ولم نعرف أنه مدير مكتب عبد

الناصر ـ ولكنه كان يفضى إلينا بمخاوفه من سياسة عبد الناصر وغروره ومغامراته ، وعرفنا فيما بعد أنه كان كثير المناقشة لعبد الناصر ، وأنه كان يحتد فى الكلام معه ، وفى ذات مرة أقاله عبد الناصر من عمله فلزم بيته ، وبعد أن ابتعد عرف عبد الناصر قدره عندما جرب العمل مع غيره ، فصالحه وأعاده إلى العمل وعينه عضواً فى اللجنة التنفيذية العليا للتنظيم السياسى ، وهنا شقى عبد القادر حاتم من المنافسين المنافقين الذين كانوا لا يكفون عن تدبير المؤامرات بينه وبين عبد الناصر ، وكان حاتم يتعب من عبد الناصر وينصحه بألا يبالغ فى العداوة مع عبد الحكيم عامر ، لأنه كان يرى أن الكارثة آتية ، لأن إسرائيل تعمل بنشاط لاستغلال الخلاف الكبير فى القيادة السياسية والعسكرية المصرية ، ولكن أحداً لم يستمع إليه ، لأن عبد الناصر كان مغروراً جداً ، وإن كان حاتم يؤكد لنا أنه كان عبقرياً مصرياً حقيقياً ، وكان عبد الناصر بطلاً حقيقياً لا لمصر وحدها بل لكل العرب . كان بليغاً فى خطبه ، ذكياً فى أفكاره ، ومصرياً صميماً فى أعماق نفسه ، وهذه الخصال هى التى حببت العمل معه إلى عبد القادر حاتم .

ثم نجد عبد القادر حاتم رئيساً لمجلس إدارة الأهرام ، والأهرام كما نعلم عالم ثقافى سياسى قائم بنفسه ، وقد عرف حاتم كيف يوجهه وجهة ثقافية وهو ـ فيما أحسب ـ صاحب الفضل فى اختيار محمد حسنين هيكل رئيساً لتحرير الأهرام ، وهيكل أيضاً من جيل الستينات ، وهو ذكى مطلع بليغ ، وهو دون شك من أعاظم الصحفيين الذين ظهروا فى العالم كله فى عصورنا هذه .

ثم اختصم عبد الناصر مع حاتم وأراد أن يستغنى عن خدماته فلم يستطع ، واضطر إلى اختياره وزيراً للثقافة والإعلام والسياحة ، وظل فى هذه الوظيفة عشر سنوات ، وهو الذى حول وزارة الإعلام إلى وزارة ثقافة واستكثر فيها من المثقفين وأنشأ فيها المجلات وأدخل العنصر الثقافى فى الصحافة بعد أن كانت الثورة قد أهملته . وكذلك نظم حاتم وزارة السياحة ، وهو أول من جعل لها شخصية مستقلة ، ونظم إدارتها الثقافية ، واختار كبار المثقفين والأساتذة للعمل فيها . وكان منافسوه كثيرين ، ولكنه تغلب عليهم ، وظل يعمل فى صبر ، وبذل جهداً كبيراً فى تلافى آثار كارثة

١٩٦٧ ، واستكتب الأدباء كتباً فى شخصية مصر وثقافتها وعروبتها ، وهو الذى حفزنى على كتابة كتاب « مصر ورسالتها » وهو من الكتب التى أفخر بها . وفى وقت من الأوقات أرسل حاتم نحو خمسين أستاذاً مصرياً للدعاية لمصر فى نواحى العالم ، وكنت أنا واحداً ممن أرسلوا إلى أمريكا اللاتينية ، فذهبت إلى تلك القارة وطفت بجمهورياتها أدعو لمصر ، والفضل فى ذلك لحاتم . وفى أواخر أيام عبد الناصر نجد حاتم نائباً للرئيس أنور السادات فى رئاسته لمجلس الوزراء من ١٩٧٣ وهو الذى تولى إزالة الكثير من الآثار التى خلفتها هزيمة ١٩٦٧ فى النفوس ، وعمل على إعداد المصريين لنصر أكتوبر ، ولا شك أن حاتماً يعتبر من صناع هذا النصر المصرى العظيم .

وفيما بين سنتى ١٩٧٤ و ١٩٧٦ نجد محمد عبد القادر حاتم مساعداً لرئيس الجمهورية وهى وظيفة شرفية ولكنه عوض ذلك بالعمل أستاذاً للإعلام فى جامعة القاهرة .

وبعد ذلك نجد عبد القادر حاتم مشرفاً عاماً على المجالس القومية المتخصصة ، وهو الذى نظمها وكون لجانها وجعلها أساساً من أسس العمل السياسى والعلمى والثقافى العام فى مصر . ومازال يتولى إلى اليوم هذه الوظيفة الكبرى التى تعدل وظيفة مدير جامعة ، والمجالس القومية بفضل حاتم أصبحت اليوم أساساً من أسس الفكر القومى فى مصر . والرجل هناك يومياً ، وهو يعمل الساعات المتوالية دون تعب أو كلل . ولو أنك حضرت إحدى جلسات تلك المجالس أيام السبت ، وسمعت عبد القادر حاتم يتكلم لدهشت من سعة علمه ودقة تفكيره واطلاعه التام على كل شيء فى عالم السياسة والفكر والثقافة فى مصر ، وحاتم هو صاحب الفضل فى تقسيم جهد هذه المجالس إلى : ثقافى وإعلامى وفنى . وفى هذه المجالس يعمل خيرة علماء مصر فى كل ميادين السياسة والثقافة والأدب والاجتماع والموسيقى دون أجر تقريباً ، وفى أى يوم تزور مبنى الحزب الوطنى الديموقراطى إلى جوار فندق النيل هيلتون تجد أولئك الأساتذة مجتمعين يتناقشون ويدرسون ويعدون الأبحاث فى الثقافة الشعبية وحماية التراث التاريخى والأثرى والقيم والسلوكيات وفى مجال التنشئة الاجتماعية وكتب الأطفال والنهوض بمسرح الطفل والإعلام والتنمية ومستقبل الخبر فى الإذاعة والصحافة ووكالات الأنباء ومواجهة الراديو

والتليفزيون للآثار السلبية لانتشار الكاسيت ومسجلات الفيديو وتطوير برامج الطفل فى الراديو والتليفزيون وما إلى ذلك من الموضوعات الثقافية الحيوية ، ومع أن الدستور ينص على أن الحكومة لابد أن تنظر لقرارات المجالس القومية المتخصصة وتوصياتها وتفيد منها ، ولكن الكثيرين من رجال الحكومة حاولوا إهمال توصيات المجالس ، ولكن عبد القادر حاتم أصر على أن تنظر الوزارات فى تلك التوصيات وتأخذ بها إذا رأت فيها خيراً ، ونجح فى ذلك ، واليوم نرى هذه المجالس فعلاً أساساً من أسس الجهد العلمى والثقافى بمصر ، والفضل فى ذلك لعبد القادر حاتم ، وهو دون شك من أعظم زعماء الثقافة الذين ظهروا فى العالم العربى كله .

ولا ننسى هنا أن عبد القادر حاتم هو الذى أنشأ التليفزيون المصرى ، وهو صاحب الفضل فى مبنى الإذاعة والتليفزيون فى القاهرة ، وهو من أجمل مبانى العالم العربى .

إلى جانب ذلك نجد نشاط عبد القادر حاتم فى التأليف واسعاً جداً ، وقد قدم العديد من المؤلفات بالعربية والإنجليزية ، وكما أنه شخصية ثقافية معروفة فى مصر فهو مشهور بكتبه الإنجليزية فى انجلترا . ولا أنسى كتابه المبدع عن « الإعلام فى القرآن الكريم » الذى يدل على فهم عميق للكتاب الكريم وكل مسائل الإعلام ، وآخر كتبه العظيمة كتابه عن أسرار تقدم اليابان الذى ظهر فى شهر (مايو ١٩٩٠) الذى عالج فيه معضلة اليابان . ذلك البلد الذى انهزم هزيمة قاصمة ، وضرب بالقنابل الذرية فى الحرب العالمية الثانية ، ثم احتلته أمريكا ومع ذلك فقد نهض على قدميه ، وبدلاً من أن يبكى على مآسى الماضى مضى يعمل حتى أصبح ثانى قوة اقتصادية فى الدنيا ، ومن أجمل ما قرأته فيه كلامه عن اليابانزم أى الروح اليابانية التى أصبحت مصطلحاً عالمياً ، ولولا أن المساحة لا تسمح لأتيتك منه بفقرات تدلك فعلاً على أن عبد القادر حاتم من أكبرأساتذة العالم العربى ومن بناته المعاصرين .

د. سليمان حزين :
استاذ جامعى واسع العلم ووزير موفق وقائد من قواد الثقافة الكبار فى مصر والعالم العربى .

ومادمت قد تحدثت هنا عن الدكتور « عبد القادر حاتم » فهذه مناسبة طيبة جداً اتكلم فيها عن د. سليمان حزين ، مع أن حزين من أبناء الجيل السابق على الستينيات ، ولكنه يعمل حالياً مساعداً للدكتور حاتم فى إدارة المجالس القومية المتخصصة ويقوم بنصيب كبير فى إدارة هذه المجالس التى تعتبر اليوم من أكبر مراكز العلم والفكر العلمى فى مصر ، وهى مجالس مستشارة للسيد رئيس الجمهورية .

يندر أن تجد رجلاً جمع من الثقافة والعلم ما جمعه سليمان حزين ، ويندر كذلك أن تجد مصرياً مثقفاً ساهم بنصيب قريب مما قام به الدكتور حزين فى العلم والثقافة ، فإن الرجل نشيط جداً ، وذهنه متفتح ، ولازال إلى يومنا هذا من كبار علماء مصر ورجال الثقافة فيها . ولد سليمان حزين فى ٢٤ مايو ١٩٠٩ بوادى حلفا بالسودان . وحصل على الليسانس فى الجغرافيا من كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٢٩ ، والماجستير من جامعة ليفربول وقد عمل عمراً طويلاً فى هيئة التدريس (تخصص مانشيستر سنة ١٩٣٥) فى جامعة القاهرة ثم فى كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، واختيرا استاذاً لكرسى الجغرافيا بها . ثم أصبح مديراً للثقافة العامة لوزارة التربية والتعليم خلفاً للدكتور محمد عونى محمد : وكانت صلة د. حزين بالدكتور طه حسين ، صلة دقيقة ، ويندر أن نجد عملاً لطه حسين إلا وجدنا د. حزين معه فيه وفى أوائل الخمسينات عين

وكيلاً لوزارة التربية والتعليم فى مصر ، وفى سنة ١٩٥٥ عين مديراً لجامعة اسيوط ، وكانت هذه الجامعة تموت عندما عينوه مديراً لها فأنعشها وأحياها ومتعها بكلياتها بحيث أصبحت أكابر جامعات مصر . ثم دعته الامم المتحدة لوزارة المركز الديموجرافى للشمال إلا حزين . وفى سنة ١٩٦٥ أصبح وزيراً للثقافة وعضواً مؤسسا للبحوث الاسلامية بالأزهر . وفى سنة ١٩٧٤ أصبح عضواً مؤسسا بالمجالس القومية المتخصصة ، ولازال يشغل مركزاً من أكبر مراكز هذه المؤسسة الكبرى إلى الجهاد وهو المجلس الأعلى للثقافة . وهو رئيس الاتحاد الجغرافى والجمعية الجغرافية والمجمع العلمى المعرفى . وفى سنة ١٩٧٨ انتخب عضواً بالمجمع اللغوى فى القاهرة وقد انشأ قسم الجغرافيا بجامعة الاسكندرية سنة ١٩٤٢ والمعهد الثقافى بلندن ، وفى سنة ١٩٥٠ انشأ بعض الدراسات الاسلامية فى مدريد ، وشارك فى إنشاء جامعات الكويت والرياض وبنى غازى .

أما نشاط الدكتور حزين فى الكتابة والتأليف فواسع جداً منذ كتب أكثر من عشرة كتب فى الجغرافيا باللغتين العربية والإنجليزية منها ، « اصول الحضارة المصرية ــ وأسسها العربية ــ أرض الكتابة ــ « ثقافة مصر » كما نشر ما يربو على ما كتبه بحث ومقال علمى باللغات العربية والفرنسية والانجليزية . حصل على جائزة لابختون العلمية من جامعة مانشستر وحصل على جائزة الدولة التقديرية العربية فى العلوم الاجتماعية سنة ١٩٧١ وأوسمة متعددة من بلاد كثيرة منها مصر والاردن وسوريا والعراق وفرنسا واليونان .

ويندر أن نجد مؤسسة علمية فى مصر لم يشترك سليمان حزين فى إنشائها وتسييرها فى الطريق السليم ، لأن الله منحه عقلية منظمة جداً وذاكرة لا يغيب عنها شىء . وهو واسع الثقافة عظيم المكانة كأديب واستاذ وباحث وهو من غير شك من مؤسسى الثقافة المعاصرة فى مصر .

● **صفوت الشريف**

وزير الاعلام فى مصر

واختصاص عالمى فى شئون الاعلام

● **صبحى عبد الحكيم :**

علامة جغرافى وسياسى

● **على لطفى :**

عالم الاقتصاد

الذى اعتزل السياسة ليتفرغ للعلم

صفوت الشريف
وزير الاعلام فى مصر واختصاصى عالمى فى شئون الاعلام

قليلون جدا من وزراء الإعلام فى الدنيا يقتربون من محمد صفوت الشريف ، فقد ولد فى ١٩ ديسمبر ١٩٣٣ ، ودرس فى المدارس المصرية ثم التحق بكلية العلوم العسكرية وتخرج فيها ضابطا وتخصص منذ تخصصه فى شئون الإعلام ولم ينصرف طوال حياته عن الإعلام وشئونه . وقد ارسلته الدولة إلى الخارج لزيادة دراساته فى شئون الإعلام والاتصالات والرأى العام والأمن القومى فى المانيا وانجلترا .

وبعد سنوات من تخرجه ودراساتة عين مديرا عاما للإعلان الداخلى بالهيئة العامة للاستعلامات فى سنة ١٩٧٥ ، وتدرج فى وظائف الهيئة حتى عين رئيسا للهيئة بدرجة وزير بصفته الشخصية (١٩٧٨ ـ ١٩٨٠) ، ثم أصبح رئيسا لمجلس أمناء اتحاد الاذاعة والتليفزيون بدرجة وزير ، ثم أصبح وزيرا للدولة فوزيرا للإعلام منذ ٣ يناير سنة ١٩٨٢ ولازال وزيرا للإعلام فى مصر منذ ٣ يناير ١٩٨٢ ، ولايزال فى هذه الوظيفة إلى اليوم .

وهذا التخصص الطويل فى شئون الإعلام أعطى صفوت الشريف خبرة عالية جدا فى كل ميادين الإعلام ، خاصة ووزارة الإعلام تشمل هيئات كبرى مثل الإدارة العامة للاستعلامات وهيئة الإذاعة والتليفزيون ، ومصر بلد حر لاتتدخل الدولة فيها فى شئون

الإعلام إلا فى المسائل الادارية والمالية ، ووزير الإعلام الذى يشرف على كل الصحف والمجلات لايسمح له القانون بالتدخل فى رأى يبديه كاتب أو صحفى وهذه مسئولية كبرى معقدة ، لأن الصحفيين والكتاب فى مصر لايسمحون لأحد بالتدخل فيما يكتبون ، ودور الصحف فى مصر مستقلة فى شئونها مع أن الحكومة هى التى تختار رؤساء مجالس إدارات الهيئات الصحفية ورؤساء التحرير ، وصفوت الشريف عضو مؤسس بالحزب الوطنى وهو حزب الأغلبية الحاكم فى مصر ، بل هو أمين عام للحزب وهذا مركز يتطلب منه حرصا شديدا فى الاتصال بالصحف والصحفيين وأنا أعمل بالصحافة والأدب عمرى كله ، وماسمعت عن مشكلة وقعت بين صفوت الشريف مع أى صحيفة أو صحفى ، وكل من يعرفونه يعجبون بذكائه وحسن معاملته وبعد نظره خاصة وهو عضو فى مجلس الشورى من ١٩٨٠ وعضو فى مجالس قومية كثيرة وهو شديد الحرص على أن يقوم بمسئوليته كاملة فى هذه المجالس وخاصة المجلس القومى للسكان ورئيس اللجنة العليا للاعلام عن تنظيم الأسرة والسكان ومجلس ادارة الهلال الاحمر المصرى . واعماله هذه تفرض عليه العمل طول النهار وساعات كثيرة من الليل ، وهو دائما إلى جانب الرئيس مبارك ، والرئيس مبارك رجل دقيق مفرط فى العمل اعتماده على وزير الإعلام شديد ، وماعرفنا منه طوال فترة عملنا إلا كل خير ، ولم تتم لى فرصة اللقاء به ، ولكن الذى يبلغنى عنه من كل أصحابى الذين يعرفونه ويتصلون به شىء جميل تطمئن له النفس ويرضى به الخاطر .

وقد قرأت الكثير من أبحاثه ودراساته المطبوعة عن استراتيجية الإعلام المصرى والسياسة الإعلامية فى مصر ، و «الإعلام وإعداد الدولة للحرب ودور الإعلام المعاصر فى التوعية بالأمن القومى والإعلام الداخلى والخارجى حتى عام ٢٠٠٠ ، والنظام الإعلامى الأفريقى الجديد والنظام الإعلامى الإسلامى الجديد ورأيت أنه فعلاً من نوادر رجال الإعلام فى الدنيا .

أما نهضته بأجهزة الإذاعة المسموعة والمرئية فأمر لايصدق ، ولتذكر كيف كانت الإذاعة والتليفزيون فى مصر سنة ١٩٨٠ ونقارنها بما عليه الحال اليوم ، ولدينا من قنوات الإذاعة الداخلية والخارجية عشرات كلها تعمل بآخر مستحدثات أجهزة الإذاعة

والتليفزيون ، ويكفى أن نذكر أن لدينا اليوم خمس قنوات للتليفزيون ، والجانب الأعظم من برامجها ممتاز حتى إن كل البلاد العربية تقبل اقبالا شديدا على برامجنا .

وقد أعيد تجديد استوديوهات التليفزيون وتحديث معداتها ، وقام صفوت الشريف إلى جانب ذلك بتشجيع التليفزيون فى مجال انتاج الافلام التليفزيونية . ولولا أننى أخاف الإثقال على القارىء بالتفاصيل لذكرت لك سبل التطوير والتقدم التى سارت فيها الاذاعة المسموعة والمرئية فى مصر بفضل صفوت الشريف ، والرجل يسافر كل حين إلى أوروبا ويتصل بهيئات الإذاعة والتليفزيون ويختار من أجهزتها مايراه مفيدا لنا ويدخله ، ونحن سعداء بنشاط هذا الرجل وبلاغته فى الحديث عما يريده مجلس الوزراء وابلاغ الشعب مايريد الرئيس مبارك إبلاغه لشعبه . ويعتبر صفوت الشريف من عظماء الوزراء فى مصر اليوم ، وقد ذكرت عددا منهم فى هذه الدراسة .

صبحى عبد الحكيم
علامة جغرافى وسياسى

من خصائص أبناء هذه الجماعة من الممتازين من جيل الستينيات الصبر وطول البال والبعد عن العصبية والتطرف الخلقى مع الإيمان العميق بالوطن والنفس والعمل الجاد المستمر ، ومما يميز عملهم أنهم يتجهون دائماً نحو المهم الذى يعود خيره على الوطن وأهله ، وهم يتحملون الصعوبات فى صبر ، ونادراً ما ترى الواحد منهم غاضباً ، ونادراً كذلك ما تجده يتحدث عن نفسه .

ومن الأمثلة النموذجية لذلك كله فى نظرى محمد صبحى عبد الحكيم ، وهو من أعلام مصر فعلاً ، وممن عملوا عمرهم كله فى خدمة هذا الوطن ، وارتفعوا به إلى أعلى المناصب ، ثم تركها فى صمت ليعود إلى أحب الأعمال إلى نفسه ،وهو العمل العلمى الهادىء فى العلم فى صمت وتواضع .

ومن خصائص رجال هذا الجيل أيضاً أنك تجد الواحد منهم تظهر عليه علائم التقدم والسبق على غيره من صبوته وفجر شبابه ، لأن ذلك جزء من طبيعته وتركيبته النفسية .

ولد محمد صبحى عبد الحكيم فى القاهرة فى ٤ يونيو ١٩٢٨ ، وكان متقدماً فى كل مراحل دراسته حتى حصل فى مايو ١٩٤٩ على ليسانس الجغرافية من كلية آداب جامعة القاهرة ، وفى سنة ١٩٥٤ حصل على الماجستير فى الجغرافية ، وبعد هذا بقليل عرفته ، فقد كنت فيها بين سنتى ١٩٥٥ و ١٩٥٧ أتولى إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم ، وأنشأت مشروع الألف كتاب ، والكلام كثير عن هذا المشروع ، وقد عرفنا أنهم أنشئوا فى هيئة الكتاب الآن مشروع الألف كتاب ثانية ، وأحب أن بين هنا حقيقة هذا المشروع ، لعل الذين يشرفون اليوم على المشروع الثانى للألف كتاب يفيدون منه ، فقد كانت الدولة تعطينا فى إدارة الثقافة ، تسعين ألف جنيه لتزويد المكتبات المدرسية بالكتب ، وكنا نشترى مما فى السوق ، ولم يكن كله ممتازاً ، ففكرت فى أن أخصص خمسة وعشرين ألف جنيه من هذا المبلغ لتفصيل كتب لمكتبات المدارس ، ورسمت الخطة على أننا إذا نفذنا هذه الخطة فى خمس سنوات استطعنا أن نقدم لمكتبات المدارس مكتبة كاملة من ألف كتاب تضم كل فروع العلوم والثقافة مفصلة على مطالب مكتبات الوزارة ، وتكون فى الوقت نفسه دائرة معارف عربية ، وبعد أن رسمنا الخطة وكان معى فيها الأخ الأستاذ مصطفى الشهابى أعلنا المشروع ودعونا الناشرين للمشاركة معنا بنشر الكتب ، فيختار كل منهم خمسة كتب يتولى هو نشرها وإصدارها فى مظهر واحد رسمناه نحن ، وتعهدنا له بأن نشترى من كل كتاب يتم نشره ألفى نسخة لمكتبات المدارس بشرط أن يطبع الناشر أربعة آلاف نسخة من الكتاب طباعة جيدة ، ويعطى المؤلف أتعابه فى حدود مائة وخمسين جنيهاً ، وحيث إن الناشر كان ضامناً لبيع الفى نسخة للوزارة فقد أقبل الناشرون على الكتب ، واستطعنا بالفعل أن ننشر فى العام الأول حوالى ٢٥٠ كتاباً ، واهتمت الوزارة بهذا المشروع الذى أثار ضجة كبيرة فى مصر ، وطلب الوزير ، وكان كمال الدين حسين أن نزيد عدد الكتب التى تصدر كل عام إلى ٣٥٠ ، ولم تكن لدىَّ هيئة موظفين تستطيع الإشراف على هذا العدد الكبير من الكتب ، ولكننا اجتهدنا على أى حال وأصدرت فى مدة ثلاث سنوات حوالى ٨٠٠ كتاب قبل أن أترك العمل فى إدارة الثقافة ، وأعود إلى أستاذية الجامعة .

وأعود إلى صبحى عبد الحكيم فأقول إنه من بين الكتب التى وردت فى الخطة كتاب

فى جغرافية مصر ، ولاحظت أن كبار الجغرافيين يسببون لى متاعب كثيرة فى تأليف هذا الكتاب ، فمضيت أبحث عن جغرافى شاب يستطيع أن يتولى هذا الكتاب ، ووقع اختيارى على صبحى عبد الحكيم ، وكانت سنه إذ ذاك ثلاثا وعشرين سنة ، وهذا الشاب جمع ثلاثة من زملائه الشباب وألفوا الكتاب المطلوب ، وكان كتاباً ممتازاً ، ومازال إلى يومنا هذا من أحسن الكتب الجامعية فى جغرافية مصر ، وأظنه طبع أكثر من عشر مرات إلى الآن .

ومن هنا ترى أن صبحى عبد الحكيم كان نابهاً شغالاً مدركاً للمسئولية من شبابه المبكر . فقد ألف هذا الكتاب الذى فاق كتب الكبار فى بضعة شهور ، وظهر اسمه فى وسط علماء الجغرافية . وفى سنة ١٩٥٨ حصل على الدكتوراه فى الجغرافية ، وكان أستاذه الجغرافى والأديب العظيم الدكتور محمد عوض محمد .

وعمل صبحى عبد الحكيم فى قسم الجغرافية بكلية الآداب ، وتدرج فى الترقيات حتى أصبح رئيس القسم مع الأستاذية ، ثم انتخب وكيلاً لكلية الآداب ثم عميداً لها سنة ١٩٧٥ ، ويشهد كل من عرفوه أن قسم الجغرافية لم يعرف إلى قريب رئيساً شاباً يماثله نشاطاً وذكاء وحسن تدبير واتساع علم ، وكذلك نقرر جميعاً أنه كان خلال فترة عمادته لكلية الآداب (١٩٧٥ — ١٩٧٩) من خيرة عمداء هذه الكلية على طول تاريخها .

واتصل بحكم عمله بالرئيس السيد السادات الذى كان يعتمد عليه فى الكثير من مسائله العلمية والثقافية ، وقد أرسلوه ملحقاً ثم مستشاراً ثقافياً لمصر فى موسكو حيث ظل هناك أربع سنوات اكتسب فيها خبرة عظيمة ، وفى سنة ١٩٧٩ اختاره الرئيس محمد أنور السادات رئيساً لمجلس الشورى عندما أنشأه سنة ١٩٧٩ ، وكان فى الوقت نفسه رئيساً لمجلس الصحافة .

وكان كلا المجلسين جديداً ، فكان على صبحى عبد الحكيم أن يضع نظام مجلس الشورى وعمله واختيار أعضائه ، وإذا كنا اليوم نقول : إن مجلس الشورى يضم طائفة من أعظم علماء مصر وأفاضل الباحثين فيها ، وإن جلساته دروس قومية فى البحث

والإصلاح فإن الفضل فى ذلك يرجع إلى صبحى عبد الحكيم ، وقد شهدناه وعاصرناه فى المجلس الأعلى للصحافة ، ورأينا نظامه وحضور ذهنه وسعة علمه وحسن تصرفه فى كل الأمور التى كانت تطرح للمناقشة .

وكان صبحى عبد الحكيم قد اختير قبل رياسة مجلس الشورى رئيساً للجنة علمية كبرى تابعة لليونسكو ، وعمل فيها بذكاء وعلم واسع ، وكسب شهرة دولية ، وانتخب عضو شرف بالجمعية القبرصية الجغرافية ، وهو عضو جمعية أصدقاء العلميين المصريين بالخارج ، وعضو مجلس إدارة الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ، وهو كذلك عضو مجلس إدارة اتحاد الجغرافيين العرب ، وعضو مجلس إدارة وأمين صندوق الجمعية المصرية الجغرافية ، وعضو مجلس إدارة وأمين عام جمعية ومعهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة .

أقول إننا ينبغى أن نعلم أن هذه الجمعيات العلمية والثقافية هى فى الواقع أساس الحضارة المصرية اليوم ، وعضويتها ليست زينة ولا عملاً فارغاً ، وإنما هى فى الحقيقة أكبر أثراً من الحكومة نفسها فى تسيير أمور مصر وبناء مركزها الدولى .

وبعد ست سنوات من رياسة مجلس الشورى نجد أن صبحى عبد الحكيم يحن إلى العمل العلمى الهادىء ، فيستقيل من رياسة مجلس الشورى . وهى ثالثة الوظائف الرسمية فى مصر بعد رياسة الجمهورية ورياسة مجلس الشعب ، وينزوى فى الجمعية الجغرافية المصرية وأستاذية الجغرافية فى كلية الآداب حيث يعمل فى هدوء ، ومازال هناك إلى اليوم . وصبحى عبد الحكيم باحث بمركز البحوث السكانية بجامعة برنستون الأمريكية (١٩٥٨ ــ ١٩٥٩) وخبير بالمركز الديموغرافى بالقاهرة (١٩٦٥ — ١٩٦٧) ، وهو عضو فى الكثير جداً من الجمعيات العلمية الجغرافية فى مصر والعالم ، أما مؤلفاته فهى كثيرة جداً ، وتتميز بالعمق والشمول ، هذا بالإضافة إلى أنه منشىء علم الخرائط الجغرافية فى مصر ، وأستاذ لمادة الخرائط فى جامعة القاهرة . . وهو مؤلف واحد من أحسن أطالس مصر الجغرافية بالاشتراك مع السيدة قرينته د. إجلال السباعى ، وهى أيضاً من علماء الجغرافية فى مصر . وقد حصل صبحى عبد الحكيم

على أوسمة عالمية كبرى ، وفى سنة ١٩٨٤ حصل على جائزة الدولة التقديرية ، وفى سنة ١٩٨٥ حصل على وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى ، وعلى وشاح النيل وهو أعلى الأوسمة المصرية سنة ١٩٨٧ ، وحصل فى العام نفسه على الوشاح الأكبر لوسام الشمس المشرقة من اليابان .

أنت ترى إذن أن صبحى عبد الحكيم قاعدة من قواعد الحضارة فى مصر المعاصرة ، فهو رجل يعمل فى صبر وهدوء وإخلاص قومى ، وأنت تجده كل يوم فى الجمعية الجغرافية المصرية العلمية فى شارع قصر العينى يعمل بهدوء فى خدمة مصر والعروبة والعلم العالمى .

د. على لطفى :

الرجل الذى ترك رياسة الوزارة ورياسة مجلس الشورى ليتفرغ للعلم .

وننتقل الآن للكلام عن شخصية أخرى من شخصيات جيل الستينيات التى تبنى حضارة مصر وقوميتها اليوم فى هدوء وعلى أساس علمى وهو الدكتور على لطفى . . واسمه الكامل على لطفى محمود لطفى ، ولد فى القاهرة فى ٦ أكتوبر ١٩٣٥ وحصل على بكالوريوس تجارة من جامعة عين شمس سنة ١٩٥٦ .

ثم أرسل فى بعثة دراسية إلى سويسرا ، فدرس فى لوزان ، وهناك حصل على الدكتوراه ، وهو لهذا من كبار رجال مصر القلائل الذين يتقنون اللغة الفرنسية ، وكان حصوله على الدكتوراه سنة ١٩٦٣ ، وإذن فهو من رجال جيل الستينيات المخلصين الذين يبنون مصر فى هدوء وإيمان .

وبعد عودته من سويسرا عمل فى كلية التجارة بجامعة عين شمس . وأمثال على لطفى يتبين مستقبلهم الباهر من أولى سنوات عملهم ، فقد كانت سنه إذ ذاك ٢٨ سنة ، ولكن تجربته كانت واسعة ، وعلمه كان غزيراً ، وأعظم ما كان يميزه خلقه الكريم ، فإن على لطفى كريم الخلق فاضل الطباع ، يندر أن تبدر منه كلمة نابية وهو يتحدث فى هدوء وعقل ومنطق ، والمرات القليلة التى تحدثت فيها معه تمنيت ألا ينتهى الحديث قط .

ونجده بعد قليل رئيساً لقسم الاقتصاد فى كلية التجارة بجامعة عين شمس ، واشتهر أمره بسعة العلم والفضيلة فى مصر كلها ، ولهذا نجده وزيراً لمالية مصر فى أكتوبر ١٩٧٨ إلى مايو ١٩٨٠ ووجدت فيه وزارة المالية الوزير المرتقب منذ سنوات ، ومن الظواهر المعروفة فى السياسة المصرية أنك تجد فيها دائماً وزير مالية غير قادر ووزير داخلية مثل الجن ، فأثبت على لطفى أن مصر تستطيع إخراج وزراء مالية من الدرجة الأولى ، وفى وزارة المالية إلى يومنا هذا رجال يقولون لك إن على لطفى من أعاظم وزراء مالية مصر على طول تاريخها ، ثم أصبح عضو مجلس الإدارة المنتدب ببنك التجارة والتنمية .

لا غرابة إذن فى أن نجده رئيساً لمجلس وزراء مصر من ٥ سبتمبر ١٩٨٥ إلى ٩ نوفمبر ١٩٨٦ ، وكان بالفعل رئيس وزراء ممتازاً ، كان ديموقراطياً حقيقة ، وكنت تستطيع التحدث إليه على مهل ، وعنده صبر لكى يفهمك ما تريد فهمه ، وهو رجل نظيف جداً ، ولهذا بدأت التيارات الشريرة التحتية ـ وقاك الله منها ـ تعمل لإفساد مشروعاته ، وتحركت المشاكل فى طريقه بكل أساليب الخبث والدهاء ، والرجل لا يعرف هذه الأمور ، فتعب من المؤامرات والدسائس وسئمت نفسه هذا العمل مع رغبته الشديدة فى العمل ونيته الصادقة فى تحقيق آمال الرئيس مبارك فيه ، وأخيراً وبعد متاعب لا نهاية لها نجده يستقيل من رياسة مجلس الوزراء ليعمل فى العلم والخبرة الاقتصادية فى هدوء .

بعد ذلك اختاروه رئيساً لمجلس الشورى ، وقد قلنا إن مجلس الشورى هو فى الحقيقة مجلس شعب مصر الحقيقى ، فهو يضم العلماء والاختصاصيين ورجال الدولة الحقيقيين ، وعلى لطفى بذل أقصى جهده فى النهوض بهذا المجلس وتقويته وإيصال آرائه إلى المسئولين وحضهم على الأخذ بها . وكان يعمل هناك ليل نهار ، وهو صاحب الفضل فى المشهد المعمارى والحدائق التى يتميز بها مبنى هذا المجلس ، لأن على لطفى فنان عنده ذوق عظيم .

وفى الوقت نفسه كان على لطفى رئيساً لمجلس الصحافة ، وهذا المجلس مدين

لعلى لطفى بالتنظيم وإتقان العمل ، وكانت جلساته هناك مطولة وغنية بالمناقشات الرئيسية ، هذا إلى جانب أنه كان يعمل ساعات طويلة فى إدارة مجلس الصحافة فى مبنى الحزب الوطنى الديمقراطى ، وقد حدثنى الأخ المرحوم صبرى أبو المجد سكرتير عام هذا المجلس سابقاً عن صبره ودقته واهتمامه العظيم بأن يتحول المجلس الأعلى للصحافة إلى هيئة تشريعية للعمل الصحفى فى مصر ، تكمل عمل نقابة الصحفيين وتثبت أصول الحرية الصحفية فى مصر ، وهنا أيضاً نجد على لطفى يمل من العمل الإدارى فيميل إلى أن يترك رياسة مجلس الشورى ويعتزل ليتفرغ للبحث العلمى والفكر الثقافى ، وقد تم ذلك سنة ١٩٨٩ ، وأصبح على لطفى عضواً فى مجلس الشورى وعضواً بمجلس إدارة نقابة التجاريين ، وعضو مجلس إدارة الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع ، وهى من أعاظم الجمعيات العلمية فى مصر ، ولها دور كبير فى التاريخ القومى المصرى ، وكلنا نعرف أن سعد زغلول ألقى فيها سنة ١٩١٩ بيانه المشهور الذى أعلن فيه بطلان الحماية البريطانية على مصر ، وطالب بالاستقلال السياسى لمصر عن انجلترا ، ومعنى ذلك أن هذه الجمعية شهدت ميلاد ثورة سنة ١٩١٩ .

ويتمتع على لطفى بمركز علمى كبير فى أوروبا ، فهو زميل بمركز البحوث الاقتصادية فى أوربا ، وهو عضو كذلك بالمجالس القومية المتخصصة ورئيس اللجنة الاقتصادية بالحزب الوطنى الديموقراطى ، وقد شارك فى المؤتمر الاقتصادى برئاسة رئيس الجمهورية بالقاهرة سنة ١٩٨٢ ، وقد مثل مصر فى كثير من المؤتمرات الدولية ، وأشرف على إعداد الكثير من رسائل الماجستير والدكتوراه .

ومن أهم جوانب على لطفى التى يتبين فيها امتيازه ومدى خدمته الواسعة لمصر مؤلفاته الكثيرة ، ومنها كتب أفدت أنا منها أعظم الفائدة مثل كتاب « التطور الاقتصادى » وكتاب « التنمية الاقتصادية » و « دراسات فى تنمية المجتمع » وكلها كتب أساسية فى الاقتصاد يتعلم الإنسان منها الكثير . ومن أهم كتبه التى أعجب بها العالم كله كتاب « مشكلات التصنيع فى الدول النامية » . الذى يعتبر اليوم أساساً للتفكير فى الإصلاح الاقتصادى فى بلادنا وفى كل البلاد العربية وغير العربية التى تعانى من المصاعب نفسها ، وأنا شخصياً أفدت جداً من كتابه « مقدمة فى علم الاقتصاد » لأن

علم الاقتصاد علم يبدو بسيطاً ، وهو فى الحقيقة فى غاية التعقيد ، وفى ذلك الكتاب تحس أن على لطفى أستاذ بحق ، فهو يغوص فى أعماق مشاكل الاقتصاد ويأتيك بالحقائق ، وكذلك كتابه عن التنمية الاقتصادية الذى أعتبره كتاباً أساسياً فى مكتبتى ، وكتاب « دراسات فى تنمية المجتمع » والأساس هنا هو التنمية الاقتصادية ، وله حوالى ثلاثين بحثاً باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية . ولابد أن أشير هنا إلى أن الأبحاث ، وهى الدراسات القصيرة التى تتعمق فى نواح من العلم من أصعب الأشياء كتابة ، وكثير من الناس يخلطون بين البحث والمقال ، فالبحث مقال علمى فيه عمق وتخصص ، أما المقال فهو أى شىء تكتبه ، وليس من الضرورى أن يكون متعمقاً ، ولهذا فنحن نسمى ما ينشر فى الصحف كل يوم بالمقالات ، لأنها مجرد كلام ، أما إذا ألقينا مقالاً فى مجلس علمى ، وقلنا إن هذا بحث فذلك خطأ عظيم ، ومعظم ما يعقد فى مصر اليوم من ندوات علمية ويقولون لك إنه ألقى فيها كذا بحثاً غير صحيح ، لأن الذى ألقى ويلقى فى هذه المؤتمرات مقالات لا تقدم ولا تؤخر . على لطفى إذن من بناة مصر المعاصرة فعلاً ، وهو نجم من نجوم العمل العلمى والسياسى ، ونموذج من رجال الستينات الذين يبنون مصر فى هدوء وإيمان .

هذا رجل فريد فى بابه ، فقد نشأ عالماً ووصل إلى استاذية الاقتصاد فى جامعة الاسكندرية ، والتفتت إليه الأنظار بسبب ذكائه وسعة اطلاعه وإدراكه الواسع لمشاكل مصر ، فاصبح رئيساً للوزارة ، وقد نجح نجاحاً عظيماً فى رياسة الوزارة ، ولكنه هو نفسه لم يكن سعيداً بذلك .

- **د. حسين كامل بهاء الدين**

طبيب ومثقف وشخصية قومية متميزة

- **عبد المنعم عبد الحميد عمارة**

المحافظ المثالى ووزير الشباب

- **د. طبيب محمود محمد محفوظ**

طبيب ومصلح اجتماعى عالمى

- **د. طبيب ممدوح جبر**

طبيب نموذجى وعالم مجتهد مثالى

حسين كامل بهاء الدين
طبيب ومثقف وشخصية قومية متميزة.

تمتاز دراسة الطب فى العالم كله بأنها دراسة موسوعية ، فدارس الطب يدرس فى كليتة الكيمياء والطبيعة وعلم النفس والانسانية إلى جانب دراسة علوم الطب نفسها من التشريح والتشخيص والرياضة .

وعندما يفرغ الطالب من الدراسة يتخرج ويقوم بسنوات التدريب يكتسب خبرة كبرى فى فهم البشر والتعامل معهم ، ولهذا ترى أن الكثيرين جداً من الأطباء لديهم ثقافة إنسانية تمكنهم من تولى مسئوليات كبرى فى الحياة العامة والمسئوليات الانسانية ، وقد مهدنا فى هذه الدراسة بأطباء كثيرين تولوا مسئوليات قومية ونالوا فيها نجاحاً عظيماً .

ونضيف إليهم الآن الدكتور حسين كامل بهاء الدين كامل وزير التربية والتعليم فى مصر اليوم ، فهو طبيب أصلاً ، ولكنه أصاب حياته ثقافات وخبرات كبرى تجعله فعلاً من خيرة وزراء التربية والتعليم اللذين عرفناهم فى بلادنا .

ولد حسين كامل بهاء الدين فى ١٨ سبتمبر ١٩٣٢ بمحافظة الشرقية ، وقد حصل على بكالوريوس الطب والجراحة من جامعة القاهرة سنة ١٩٥٤ ، ثم حصل على دبلوم طب الأطفال سنة ١٩٥٦ ، ودبلوم أمراض باطنة ١٩٥٧ ، ودبلوم طب الأطفال سنة

١٩٥٩ ، ثم عين مدرساً بكلية الطب بجامعة القاهرة ، ووصل إلى الأستاذية فى الكلية سنة ١٩٧٤ وتخصصه طب الأطفال ، ثم عين مديراً لمستشفى الأطفال الجديد سنة ١٩٨٣ ، وهو أمين الجمعية المصرية لطب الأطفال من ١٩٧٤ ومستشار للاتحاد العالمى لطب الأطفال من سنة ١٩٨٣ ، ونائب رئيس الجمعية المصرية لصحة الأم والطفل من سنة ١٩٨٧ ، ومستشار ومقرر عام اتحاد جمعيات طب الأطفال لدول الشرق الأوسط والبحر المتوسط من سنة ١٩٨٧ ، ومقرر مشروع الوحدات الريفية من سنة ١٩٦٠ ، ومشروع الجفاف على مستوى الجمهورية سنة ١٩٧٦ . وبمثل هذا النشاط الواسع كان لابد أن يعظم قدر الدكتور حسين كامل بهاء الدين فى الحزب الوطنى ، وهو عضو فيه ، وكلنا أعضاء فيه ، فقد اختير أميناً عاماً للشباب فى الحزب . وفى سنة ١٩٦٥ انشأ أول مؤتمر للمبعوثين فى منظمة الشباب فى الحزب سنة ١٩٦٦ وكان مركزه فى الحزب دائماً كبيراً ، فقد اختير أول أمين للمهتمين بالاتحاد الاشتراكى سنة ١٩٦٨ . وابتداء من سنة ١٩٦٠ حضر فى مصر وفى الخارج كثيراً من المؤتمرات العربية والاقليمية وشاركه فى تأسيس المجلس العربى للطفولة فى عمان سنة ١٩٨٧ . وقد كسب ثقة الرياسة السياسية للاتحاد الاشتراكى ثم الحزب الوطنى ، وهذا هو الذى رشحه ليكون وزيراً للتربية والتعليم سنة ١٩٩١ .

ووزارة التربية والتعليم فى مصر اختبار لكل من يتولونها ، لأن الأخطاء ووجوه النقص موجودة فى كل شئون التعليم : فى المدرس والمدرسة والكتاب ، وبين يدى الآن كتاب التاريخ المقرر على السنة الثالثة الإعدادية ، وأنا اقلبه وأقرأ فيه وأقول فى نفسى : ما هذه الفوضى يا ناس ؟ كل هذه معلومات تريدون أن يحفظها التلميذ فى التاريخ وحده مع أنكم تعرفون أن التلميذ سينسى هذا كله بمجرد أن يفرغ من الامتحان ، وأنا من عادتى إذا ذهبت إلى فرنسا أو المانيا أو إيطاليا أن أشترى كتب التاريخ التى يدرسها التلاميذ هناك فى المدارس الوسطى والثانوية ، لأننى أجد فيها معلومات تنفعنى ، وأنا لا أجد فيها هذا (العك) الذى تجده فى الكتب المدرسية عندنا وأتعجب ، لأن تاريخ التعليم المدرسى المنتظم عرف فى مصر من أواخر القرن الماضى ، ولابد أن نكون قد كسبنا خبرة فى كل مسائل التعليم ، ولكن ها نحن اليوم نجد أنفسنا أمام مشاكل التعليم ، وكل

وزير يرجو أن يحقق المطلوب ولا يحققه ، ولكنى أعتقد أن حسين كامل بهاء الدين سيستطيع الإصلاح نظراً لخبرته الطويلة وتجاربه فى الأعمال العامة ، وقد بدأ بعلاج مشاكل المدرسين والكتب المدرسية وهو يهتم بهذه المسائل اهتماماً حقيقياً واعياً ، ويعرف أن التلميذ ليس بحاجة إلى الدروس فحسب ، بل يحتاج إلى أن يتكون ليصبح فى المستقبل رجلاً صالحاً ، والمشكلة النفسية مشكلة المقررات ، فالحقيقة أن الكتب عندنا محشوة بالمعلومات التى لا يفيد منها التلميذ كلها ، ولكن هذه المشكلة موجودة فى كل الكتب المدرسية فى الدنيا ، والعبرة الحقيقية فى المدرس ، فالحقيقة أن المدرس فى انجلترا وفرنسا والمانياوغيرها من الدول الناجحة وهى المتقدمة مدرس ممتاز ، وهو أحسن بكثير من المدرس لمصرى الذى يتخرج فى جامعات غير ممتازة ، فمشكلة التعليم الحقيقية فى مصر اليوم هى مشكلة الجامعات والمعاهد العليا التى هبطت هبوطاً مخيفاً ، وخريج الجامعة ، أصبح لا شىء ، فأما خريج الطب والهندسة فيقضى أكثر من عشر سنوات لكى يصبح طبيباً يعالج أو مهندساً ينشىء ، ولكن خريج كليات الآداب ومعاهدها يتخرج اليوم ويدرس غداً ، فهو تلميذ سيىء ، فكيف سيكوّن التلميذ ، وبطبيعة الحال فإن الكتاب المدرسى عندنا سيىء ومثقل بالمعلومات التى لا ينتفع بها التلميذ ، ولابد من إنشاء هيئة خاصة بالكتب المدرسية تتولى مسئولية تأليفها وتضع نظم تدريسها ، هكذا نجد الحال فى فرنسا مثلاً ، أما مراجعة الكتب واختصار ما فيها فليس بشىء ، لأن المدرس يستطيع أن يختصرها وهو يدرس ، ثم لماذا يختصرها ؟ إنه يستطيع أن يتصرف فى مادتها ،فالمشكلة الأساسية إذن هى مشكلة المدرس . أما المدرسة فان مسئوليتها على الحى نفسه ،لأن الحكومة لا تستطيع أن توجد أماكن لبناء المدارس فى كل حى ، وفى أيامنا هذه يقوم أهل الأحياء بانشاء المدارس .

وهذه كلها مجرد أفكار لان مشاكل التعليم أعقد من ذلك ، ومن حسن حظنا أن يتولاها اليوم الدكتور حسين كامل بهاء الدين بخبراته المتعددة واخلاصه وصدقه وفهمه الواسع لشئون الحياة . وفقه الله سبحانه وتعالى فى هذه المشاكل القومية المعقدة .

عبد المنعم عبد الحميد عمارة
المحافظ المثالى ووزير الشباب

■■ وظيفة المحافظ فى مصر أصعب منها فى أى بلد من بلاد الدنيا ، وأقصد بذلك وظيفة محافظ إقليم إدارى كبير مثل القاهرة أو الجيزة أو الدقهلية مثلاً ، لأن المحافظ فى غير مصر ــ فى أوربا مثلاً ــ لا يسأل إلا عن أمرين لا ثالث لهما ، هما الأمن والأمان ، فأما الأمن فهو الأمن العسكرى ، ففى كل محافظة توجد إدارات أو فرق عسكرية أو معسكرات أو مراكز لأمان الوطن ، وأما الأمان فهو أمان الناس على أنفسهم وأموالهم ، أو ما نسميه عادة بالأمن . عن هذين الأمرين يسأل المحافظ فى انجلترا مثلاً ، أما المصالح الحضارية : التعليم والصحة والمواصلات والتسلية فيسأل عنها المجلس البلدى المنتخب ، ولا يحمل المحافظ عنها أى مسئولية . وأعضاء المجالس البلدية ورئيسها ينتخبون انتخاباً ورئيس المجلس البلدى لا يقل مركزاً عن المحافظ .

أما فى مصر فإننا نضع على أكتاف المحافظ كل المسئوليات ، لأننا لم نتنبه إلى اليوم إلى اهمية المجالس البلدية وأهمية أنها انتخابية . . أى أن أعضاء المجلس البلدى فى أى

محافظة هم برلمانها الذى يتولى كل مصالحها الإدارية ، ومازلنا إلى الآن مستمرين فيها ورثناه عن نظام المحافظات أو المديريات عن النظام الاستعماري الذى مضى وانتهى أجله . معنى هذا أن المحافظ عندنا يسأل عن كل شيء فى المحافظة ، بل أن الحكومة تقسم المحافظة إلى أقسام إدارية : شمال وجنوب وغرب وشرق ووسط ، وتعين على كل قسم مديراً يكون فى الغالب ضابطاً سابقاً ، وهذا المدير نفترض أنه يدير كل شيء فى قسمه الإدارى ، وهو فى الغالب لا يقوم بواجباته مستقلاً ، كما ينبغى ، لأن هذه الإدارات تحتاج إلى دراسة وتخصص وعلم ، بل هو يتبع المحافظ وينفذ أوامره ، ومن هنا فإن مسئولية المحافظ كبيرة جداً ، ولهذا فإلى يومنا هذا لم ينجح فى وظيفة المحافظ بمسئولياتها المتعددة إلا قليلون ، أما معظم المحافظين فهم موظفون كبار ، ونادراً ما يكونون على مستوى المسئولية .

من المحافظين الناجحين فعلاً عبد المنعم عبد الحميد عمارة محافظ الإسماعيلية ، فهو فعلاً محافظ ناجح جداً على الرغم من صعوبة إدارة محافظة الإسماعيلية التى تمر فيها قناة السويس بكل مسئولياتها ، لأن قناة السويس هى الدنيا ، أقصد أن الدنيا كلها تمر فيها ، وهى شريان من أكبر شرايين المواصلات العالمية ، ومع أن القناة لها إدارة ضخمة ومؤسسات متعددة فإن محافظ الإسماعيلية يحمل أكبر جانب من المسئولية عنها ، فالإسماعيلية عاصمة القناة ، وفيها إدارتها وشركاتها ومنظماتها ، وقبل عبد المنعم عمارة كانت هناك دائماً منافسة أو شبه منافسة بين مدير القناة ومحافظ الإسماعيلية ، حتى جاء عبد المنعم عمارة فاختفت هذه المنافسة ، لأن الرجل ماهر جداً ، وبالغ اللباقة والذكاء وحسن التصرف ، ولهذا فقد قام الولاء بين شركة القناة ومحافظة الإسماعيلية مقام المنافسة ، ويبلغ الأمر أنك عندما تزور منطقة القناة لا تميز بالضبط بين مدير الشركة ومحافظ الإسماعيلية ، وكلاهما من حسن الحظ فى غاية الكفاءة والمقدرة .

ولد عبد المنعم عبد الحميد عمارة بمحافظة الإسماعيلية فى ٢ يونية ١٩٣٧ فهو إسماعيلى أصلاً ، وإلى هذا يرجع السبب فى نجاحه العظيم ، وقد كنت أظن أنه تخرج فى كلية الهندسة أو الاقتصاد ، ودهشت من أنه تخرج فى كلية الآداب فى الستينيات ، ولكنه اتجه بعد ذلك إلى دراسة العلوم السياسية ، وحصل على ماجستير العلوم السياسية سنة

١٩٨٩ . وبدأ حياته مدرساً فى وزارة التربية والتعليم ، ثم انتقل إلى إدارة رعاية الشباب فى القاهرة ، ومن القاهرة عاد إلى محافظة الإسماعيلية مسئولاً عن رعاية الشباب ، وكان لتكوينه الإنسانى فى كلية الآداب ، ثم السياسى فى الماجستير أكبر الأثر فى نجاحه فى وظيفته وهو فى الطريق إلى وظيفة المحافظ ثم بعد أن أصبح محافظاً .

وفى وظيفته الجديدة بدأت مواهبه تظهر ، فهو إسماعيلى أصلاً ورجل ثقافى يقرأ ويطلع ، ويعرف شئون المحافظات فى الدنيا وكيف تدار ، خاصة أن محافظة الإسماعيلية محافظة حضارية عالمية ، فقد وضع الفرنسيون أساسها ، وجعلوها عاصمتهم عندما كانت إدارة القناة بأيديهم ، ومازالت مظاهر ذلك باقية إلى اليوم . فإن مدينة الإسماعيلية من أجمل مدن مصر ، فهى مدينة حدائق ومتنزهات ، وعندما زرتها زرت إدارة القناة القديمة ، واطلعت على جانب من مذكرات فرديناند ديليسبس الذى لا نحبه نحن سياسياً ، ولكن ينبغى أن نسلم بأنه رجل حضارى وفنان وأديب ، فإن إنشاء قناة السويس من أعظم الأعمال الحضارية فى تاريخ البشر .

وبعد ذلك نجد عبد المنعم عمارة ينجح فى الانتخابات ، ويصبح عضواً فى مجلس الشعب عن الإسماعيلية ، وكان قبل ذلك قائداً للعمل السياسى فى قطاع الشباب هناك ، وإلى جانب عضوية مجلس الشعب يتولى عبد المنعم عمارة رئاسة مجلس إدارة شركة الإسماعيلية لنقل البضائع ، وهى إحدى شركات قناة السويس ، وشركة القناة عرفت من أيام مديرها السابق مشهور أحمد مشهور كيف تنشىء شركات لشتى مصالحها ، حتى إنها تملك الآن نحو إحدى عشرة شركة كلها من أغنى وأنجح شركات مصر . وفى ٢٦ نوفمبر ١٩٧٨ نجده يعين محافظاً للإسماعيلية وكانت هذه من أجل الخدمات التى قدمت لتلك المحافظة ، فإن شخصية عبد المنعم عمارة تكشف عن رجل إدارى حضارى ممتاز ، وعرف كيف يقود محافظةالإسماعيلية فى طريق من النجاح لم توفق إليه محافظة أخرى ، وأنت إذا ذهبت إلى هناك أدهشك النظام والنظافة والمستوى الحضارى الرفيع الذى يجتهد عبد المنعم عمارة فى المحافظة عليه والنهوض به ، فهو رجل ممتاز فعلاً فى كل الأعمال الإدارية والمالية والحضارية . حتى المدارس هناك تجدها أحسن نظاماً من المدارس فى غيرها ، وقد عمل عبد المنعم عمارة على إنشاء جامعة الإسماعيلية

التى تتخصص فى علوم المواصلات والإدارة المالية والحضارة العالمية والتخصصات العلمية . ومحافظة الإسماعيلية تتميز على غيرها بأنها فى تطور دائم ، ومنشآتها الجديدة مستمرة ، وأنت إذا زرتها استوقف انتباهك أنها محافظة عالمية فى مصر ، فهى فى غاية النظام وغاية النظافة وغاية الجمال أيضاً . وقد حصل هذا الرجل على أوسمة كثيرة ، ومع أنه مازال فى الثانية والخمسين من عمره إلا أنه من خيرة رجال جيل الستينات .

وقد بلغ الإعجاب به أنهم اختاروه فى مارس ١٩٩١وزيراً للشباب نظراًلمساهماته الكثيرة فى تربية الشباب . ولا شك أننا سنجد فيها وزيراً للشباب كنا فى أشد الحاجة إليه .

د. طبيب محمود محمد محفوظ

يتميز الظاهرون من جيل الستينيات بالإقبال الشديد على العمل ، ويبلغ إيمان بعضهم بالعمل درجة يخيل إلينا أنها مبالغ فيها ، ولكنهم هم يعرفون أن هذا العمل الكثير ضرورى ، لأن المطلوب منهم لمصر كثير جداً ، ونخذ مثالاً على ذلك **الدكتور محمود محمد محفوظ** الطبيب العلامة المشهور ، فقد ولد فى أسيوط فى ٢٠ يونيو ١٩٢٣ ودرس الطب فحصل على بكالوريوس الطب والجراحة ودبلوم الأشعة الطبية من جامعة القاهرة فيما بين سنتى ١٩٤٨ و ١٩٥١ ثم أرسلته الجامعة إلى لندن للتخصص فى العلاج الإشعاعى ، فذهب وحصل على دبلوم الإشعاع فى لندن سنة ١٩٥٦ وكان مدرساً للأشعة فى جامعة القاهرة منذ ١٩٥٢ وفى سنة ١٩٦٨ نجده أستاذ العلاج الإشعاعى والطب النووى .

وهنا اتسع مجال شهرته بالتخصص فى الإشعاع العلاجى حتى اشتهر فى مصر كلها ، وفى سنة ١٩٧٢ أصبح وزيراً للصحة ، وظل فى هذه الوظيفة إلى سنة ١٩٧٤ وبعد أن ترك وزارة الصحة نجده فى سنة ١٩٧٥ رئيس وحدة تطبيقات الحاسب الالكترونى بمعهد الإحصاء بجامعة القاهرة ، ثم رئيساً لمركز قصر العينى لعلاج الأورام والطب النووى سنة ١٩٧٩ ، ثم رئيساً لقسم الأشعة الطبية بكلية الطب بجامعة القاهرة سنة ١٩٨١ ،

ويصبح فى الوقت نفسه عضو مجلس كليات الطب لجامعة القاهرة وجامعة أسيوط ١٩٨٢ وجامعة المنيا سنة ١٩٨٣ ، وهذه كلها وظائف فنية وعلمية بالغة الأهمية ، والإنسان لا يصل إليها من تلقاء نفسه ، بل لابد من عمل علمى متصل ، وتلك هى الصفة الرئيسية التى تميز بها الدكتور محمود محمد محفوظ طول حياته ، فهو رجل مجتهد جداً ، وقلما نجده خارج معامله فى الجامعة أو مكتبه فى بيته ، وهذا العمل المتصل هو الذى جعله رجلاً عالمياً فى الأشعة الطبية النووية ، وهو تخصص دقيق وصعب جداً ، وقد أنشأ حول نفسه مركزاً واسع المدى لهذا التخصص ، فكثر تلاميذه من المصريين ، وكثرت كذلك مؤلفاته فى ذلك التخصص ، ودعى إلى أوربا للمحاضرة والعلاج بالأشعة ، ونجح فى ذلك نجاحاً عالمياً ، ولا غرابة والحالة هذه أن نجده عضواً فى مجلس إدارة مؤسسة الطاقة النووية ومجلس إدارة هيئة المحطات النووية ، ونائب رئيس مجلس بحوث الصحة والدواء ، ورئيس مجلس تكنولوجيا الأشعة بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا ، وكل هذه وظائف ومسئوليات تكلف صاحبها جهداً واسعاً فى البحث العلمى ، وبفضل جهوده اتسع اسم مصر فى العالم فى تلك الميادين العلمية البالغة الصعوبة ، ولو لم يكن للدكتور محفوظ هذا الاجتهاد لما وصل العلاج بالأشعة ، والأشعة النووية خاصة ، إلى المستوى الذى وصلت إليه مصر فى عالم الطب اليوم ، وما كان الرجل ليجتهد هكذا إلا إذا كانت شعلة الوطنية فى قلبه قضيته على الدوام ، وعلى الذين لا يكفون عن الحديث عن الأطباء الذين يبالغون فى تقدير أتعابهم ويجعلون الطب مجال كسب مالى أن يذكروا أن مصر فيها رجال مثل الدكتور محفوظ والدكتور ممدوح جبر والدكتور حيدر غالب وغيرهم من الأطباء الذين ينظرون إلى العلم أولاً ، ولا يكادون ينظرون إلى الكسب . وأقول لك بهذه المناسبة إن أولئك العباقرة لا يكاد الواحد منهم يأخذ أكثر من عشرة جنيهات فى الكشف إلا فيما ندر ، لأنهم ينتسبون إلى العائلة التى لا ترى فى الطب إلا مسئولية علمية ، ويبلغ الأمر أن الكثيرين منهم يعالجون المريض أو يجرون له العملية أولاً ، ثم يقبلون ما يقدم إليهم من الأتعاب دون نظر ، وفى أحيان كثيرة يقبلون على العلاج وهم واثقون من أنهم لن يتقاضوا من المريض أتعابا ، بل أن بعضهم ينفق على المريض الفقير من ماله هو ناظراً إلى الشفاء ، ومدركاً أن خير أتعاب له هى شفاء المريض ، والحكايات التى يقصونها عن الدكتور محفوظ بهذه المناسبة كثيرة

جداً ، فهذا رجل يعيش للطب لا من الطب ، وهو من هذه الناحية مفخرة لمصر ورجال الطب فيها ، فهو رجل هادىء الطبع خفيض الصوت ، لا يكاد يغضب ، ولا يعرف إلا الصدق ، ومع أنه عضو فى أكثر من عشر جمعيات علمية إلا أنه نشيط فيها كلها ، لأنه لا يدخل جمعية إلا إذا كان لديه ما يقدمه لها ، ويكفى أن تعلم أنه على كثرة الأعضاء فى مجلس الشورى فإن الدكتور محفوظ من أنشط أعضائه وأكثرهم إنتاجاً فى شتى الموضوعات القومية التى تتعلق بالطب والدراسات الطبية منه ، والمجلس يسعد بتقاريره ودراساته التى يقدمها ، وقد استلفت انتباهنا تقرير لجنة الخدمات فى المجلس ، والدكتور محفوظ رئيس لجنتها المشتركة عن الإدمان ، فقد تبين لنا بصورة علمية واضحة نواحى الخطر القومى للإدمان ، وكانت معلوماتنا عنه معلومات عامة تشبه أن تكون مقالات صحفية حتى نشر هذا التقرير فتبينا منه خطورة مشكلة الإدمان بصورة علمية إحصائية ، والمعلومات الواردة فى هذا التقرير أصبحت الأساس القومى الذى تسير عليه مصر اليوم لمقاومة الإدمان (وانظر مثلاً القسم الرابع من التقرير عن استراتيجية مواجهة المشكلة ص ١٧ وما بعدها ، وكذلك القسم الخامس الذى يتضمن الاقتراحات والتوصيات ص ٢٧ — ٢٩ من التقرير) فهذه فعلاً وثائق قومية أساسية بالنسبة لحاضر مصر ومستقبلها .

وقد نشر مجلس الشورى سنة ١٩٨٧ تقرير اللجنة نفسها (الخدمات) عن قضية العلاج فى مصر ، وهذا التقرير يعتبر بالفعل أساساً من أسس الصراع القومى مع الأمراض فى مصر ، وكان بودى أن أنقل لك هنا جزءاً من القسم الخامس من التقرير نفسه الذى يتضمن المقترحات والتوصيات الخاصة بمشاكل العلاج فى مصر ، وهى تتضمن ستة موضوعات أساسية خاصة بالنهوض بالعلاج فى مصر هى :

أولاً : النظرة التخطيطية والأفكار الحاكمة حول الرعاية الصحية علاجاً ووقاية وتأهيلاً .

ثانياً : تمويل خدمات الرعاية الصحية .

ثالثاً : رفع كفاءة أداء خدمات الرعاية الصحية .

رابعاً : رفع كفاءة أداء الخدمات العاجلة والإسعاف .

خامساً : السلوك الاجتماعى والثقافة الصحية .

سادساً : المشاركة الشعبية وإدارة الخدمات العلاجية (ص ٤٨ وما يليها من التقرير) . ولا يقتصر نشاط الدكتور محفوظ على الجمعيات الطبية الفنية الخاصة ، بل هو أيضاً رئيس مجلس إدارة جمعية الهلال الأحمر ، ورئيس مجلس إدارة دار الحرية للطباعة والنشر ، والجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية ، وجمعية الباجواش المصرية للعلوم والشئون العالمية ، ونائب رئيس الجمعية الأفريقية ، ومستشار شئون السرطان ومنظمة الصحة العالمية والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وجمعيات ومؤسسات أخرى مصرية وعالمية .

فنحن إذن أمام رجل يمكن أن تعتبره قوة قومية كبرى لنشر العلم والعلاج والنهوض بالروح القومية فى مصر ، وهو من خير النماذج التى لدينا عن أهمية جيل الستينيات بالنسبة للنهوض بهذا البلد وخدمته الإنسانية بصفة عامة .

□ الدكتور ممدوح كمال جبر
طبيب نموذجى وشخصية علمية نموذجية فى مصر وخارجها.

وقريب جداً من الدكتور محمود محفوظ فى قيادات عصرنا نجد الدكتور طبيب ممدوح كمال جبر ، وهو طبيب ومصلح اجتماعى وقائد حضارى يعتز به جيلنا ، وإذا نحن قسنا عمره بما قام به من جهود فى ميادين الطب وغيره ازداد إعجابنا به ، فهذا رجل لا يكف عن العمل ساعة واحدة من عمره ، فقد ولد فى القاهرة فى ٨ نوفمبر ١٩٢٥ ، وتخرج فى كلية الطب فى جامعة القاهرة سنة ١٩٤٧ أى فى الثالثة والعشرين عمره ، وهى سن صغيرة جدا للوصول إلى تلك الدرجة العلمية ، وبعد ثلاث سنوات (سنة ١٩٥٠) يحصل على الدكتوراه فى الجراحة وبعد ذلك بسنة (١٩٥١) يحصل على درجة الدكتوراه فى طب الأطفال من جامعة القاهرة ، وتعددت رحلاته العلمية إلى انجلترا والولايات المتحدة ، وارتفع مكانه العلمى واتسع صيته الدولى ، فقد كان عضواً فى هيئة التدريس بكلية الطب بجامعة القاهرة سنة ١٩٤٨ ، ومن هذه الكلية كانت رحلاته ودراساته وفتوحه فى عالم الطب والإصلاح الاجتماعى ، وفى سنة ١٩٦٥ أصبح أستاذاً لطب الأطفال فى جامعة القاهرة ، وهذا هو تخصصه الرئيسى فى الطب ، وفى سنة ١٩٨١ نجده زميل الكلية الطبية الملكية فى لندن ثم يعين مديراً لمستشفى الأطفال بجامعة القاهرة ، وعين وزيراً للصحة سنة ١٩٧٨ ، وظل فى الوزارة إلى سنة ١٩٨٢ ، ثم ترك الوزارة مكتفياً برياسة قسم الأطفال بكلية الطب بجامعة القاهرة ، ثم يختاره الأطباء

نقيباً لهم مرتين ، وينتخب عضواً فى مجلس الشعب وأمينا للمهنيين فى الحزب الوطنى الديموقراطى .

ونشاط الدكتور ممدوح جبر واسع جداً ، فهو فى الحقيقة يقود العمل الطبى فى السياسة المصرية ، ومن هنا نجده رئيساً لكثير من الجمعيات والهيئات الطبية فى البلاد ، فهو لا يكاد يدخر وقته أو يستريح ، لأن المسئوليات القومية التى يحملها واسعة المدى . وأحياناً يدهش الإنسان لقدرته على القيام بها ، والطريف أنه مع ذلك رجل هادىء الطبع جداً ، لا يكاد يرفع صوته فى مناقشة ، وقد زاد إعجابنا به عندما اطلعنا على الأسلوب المنظم الذى كان يمارس به عمله عندما كان وزيراً للصحة .

ومن الميزات الأساسية للعمل بالطب أنه يجعل صاحبه يعمل فى المجال العالمى بنفس القوة والنشاط اللذين يعمل بهما فى المجال المحلى ، ومن هنا نجد أن نشاط الدكتور ممدوح كمال جبر خارج مصر عظيم ، مما يرفع قيمة مصر الدولية ، فمن ذلك أنه كان فيما بين سنتى ١٩٧٥ ، و ١٩٧٨ رئيساً للجنة أمراض سوء التغذية بالاتحاد العالمى لعلوم التغذية ، وفى سنتى ١٩٧٦ و ١٩٧٧ نجده عضواً بالمجلس الاستشارى للبرنامج العالمى لمكافحة المجاعة بالأمم المتحدة ، وهنا استطاع أن يقوم بخدمات جليلة للطب العالمى ، مما جعلهم ينتخبونه عضواً بالجمعية الدولية لطب الأطفال ، وعضواً بأكاديمية التغذية بالولايات المتحدة ، وعضواً بكل من هيئة تحرير جريدة البيئة الاستوائية والصحة (طب الأطفال بلندن) وعضواً فى هيئة التحزير الاستشارية للمجلة الدولية لأبحاث التغذية (الولايات المتحدة الأمريكية) ، ومن هنا فقد استطاع الدكتور ممدوح جبر أن يرفع الاسم العالمى للطب المصرى ، ومصر كانت دائماً فى مركز دولى رفيع فى ميدان الطب ، وللدكتور ممدوح كمال جبر فضل عظيم فى ذلك ، وقد أتيح لى أكثر من مرة أن أشهد الدور العظيم الذى يقوم به الدكتور ممدوح كمال جبر فى ميدان الطب العالمى ، وهذا بدوره يؤثر تأثيراً عظيماً فى مستوى الطب فى مصر ، وغير خاف أننا فى مصر اليوم فى حاجة إلى جهد عظيم فى هذا الميدان ، خاصة أن مستوى الدراسات الطبية ينخفض فى بلادنا بصفة عامة نتيجة الإكثار من الجامعات والتساهل فى تعيين أعضاء هيئات التدريس ، وأظن أننى لا أكشف سراً عندما أقول إن مستوى الطب فى مصر اليوم إذا

كان لايزال على مستواه الرفيع التقليدى فإن الفضل فى ذلك يرجع إلى أطباء جيل الستينات وما قبلها ، لأن الأجيال التى جاءت بعد ذلك لا تكاد تحافظ على مركز الطب فى مصر ، نظراً لأن مستوى الطب العالمى قد تغير وتطور تطوراً بعيداً ، بسبب الارتفاع العام فى مستوى العلم بعد أن دخلت الدنيا فى طور الكومبيوتر ، ومن أسف أننا فى مصر لم نهتم بأن نعرف أصول العلم النووى ، ومعظم ما نسمعه من كلام عن الكومبيوتر عندنا مجرد كلام لا يعتمد على فهم صحيح لأساسيات الفكر العلمى والرياضى النووى ، وهذا فى ذاته يدلنا على دَيْننا لرجال مثل الدكتور ممدوح كمال جبر الذين يبذلون جهداً عظيماً للمحافظة على مستوى الطب فى بلادنا وخارجها ، والتفكير العلمى فى بلد مثل مصر اشتهر دائماً بارتفاع مستواه الطبى والعلمى ، ومن هنا نفهم لماذا نجد الدكتور ممدوح كمال جبر فى رحلات متصلة إلى خارج مصر ، وهذه كلها خدمات لمصر وللطب فيها ، وهذا يعطينا فكرة واضحة عن المركز القومى العظيم الذى يحتله الدكتور ممدوح كمال جبر فى مصر اليوم .

- **د. طبيب حمدى السيد**

جراح عالمى وسياسى مثالى

- **د. طبيب خليفة كمالى**

رائد عالمى من رواد طب العيون فى عصرنا

- **ثروت أباظة**

قصاص مصر الأكبر بعد نجيب محفوظ

د. طبيب حمدى السيد
جراح عالمى وسياسى مثالى

■■ يمتاز جيل الستينيات بوفرة النابهين من رجاله فى ميدان الطب ، وهذا من حسن حظ مصر ، لأن الطب ، من العلوم التى تحلق فى عصرنا تحليقاً واسعاً ، حتى إننا نستطيع القول إننا نعيش بالفعل فى عصرنا مرحلة جديدة من مراحل التطور الشامل فى ميدان الطب ، والطب كما هو معروف ليس علماً محدود الآفاق ، بل هو علم مركب ، يعتمد أساساً على الرياضيات والكيماويات والصيدليات ، ومن ثم فإن التميز فى الطب ليس معناه التميز فى علم واحد ، بل فى مجال علمى واسع . والدكتور حمدى السيد من النابغين فى ذلك الميدان الخطير الواسع ، وهو واحد من أجلاء هذا الجيل المصرى الذى غزا انجلترا ، وهذا هو الدكتور مجدى يعقوب المصرى المتكون فى مصر يحتل مكاناً رئيساً فى الطب العالمى ، والدكتور حمدى السيد من نفس الجيل والمستوى ، فقد تخرجا فى كلية الطب فى نفس السنة والتخصص ، وكان فى استطاعة حمدى السيد أنْ يحتل نفس المكانة الطبية فى انجلترا لو أراد ، ومن حسن حظنا أنه لم يرد ، وفضل أن يكون جهده وعمله فى مصر .

ولد الدكتور حمدى محمود السيد فى ٢٣ ابريل ١٩٣٠ بمحافظة دمياط ، وهو على هذا واحد من العباقرة الذين أخرجتهم دمياط ، تلك المدينة الصغيرة « حجما » فى شمال شرقى مصر التى قدمت وتقدم لمصر على طول العصور عباقرة من الطراز الأول لا فى ميدان النبوغ الفردى ، بل فى ميدان النبوغ الجماعى ، وكلنا نعرف المكانة القومية التى يحتلها الدمايطة فى تاريخ هذا البلد واقتصاده وتاريخ العلم فيه .

وقد حصل دكتور حمدى السيد على بكالوريوس الطب والجراحة سنة ١٩٥٢ أى فى سن الثانية والعشرين ، وهى سن صغيرة جداً بالنسبة لبكالوريوس الطب بامتياز ، وبعد ذلك بثلاث سنوات (١٩٥٥) حصل على دبلوم الجراحة . وفى سنة ١٩٥٧ يسافر إلى انجلترا للتوسع فى دراسة الجراحة ، فقضى هناك خمس سنوات تنتهى سنة ١٩٦٢ ، ثم يعود إلى مصر حيث تجده أستاذاً ورئيس قسم جراحة القلب والصدر بكلية الطب بجامعة عين شمس . وفى سنة ١٩٨٠ ينتخب عضوا بمجلس الكلية الملكية للباطنيين فى أدنبرة ، وينتخب بعد ذلك عضواً فى الجمعية الأوربية لجراحى القلب والأوعية الدموية وعضواً بالجمعية المصرية لأمراض القلب ، ثم عضواً منتخباً بمجلس النقابة العامة للأطباء دورتين (سنة ١٩٦٩ و ١٩٧٦) ثم يصبح نقيباً لأطباء مصر ورئيساً لاتحاد المهن الطبية لدورتين متتاليتين (من ١٩٧٦ إلى ١٩٨٤) وعضواً بالمجالس الطبية المتخصصة وعضواً بالمجلس الوطنى لأكاديمية البحث العلمى وعضواً بالهيئة العامة للرعاية التأمينية وعضواً بمجلس الصحة .

وهذا النشاط العلمى يقوم أساساً على ما يمتاز به الدكتور حمدى السيد من مهارة فى الجراحة ، وجراحة القلب بصفة خاصة ، فلا يكاد يمر يوم إلا ويجرى فيه عملية أو أكثر من أعقد عمليات جراحة القلب . والطريقة التى يجرى بها عملياته بالغة الدقة والإتقان والسرعة ، ومن هنا فإن الدكتور حمدى السيد نموذج ممتاز لجراحى عصرنا فى مصر وخارجها ، والشباب بالذات يفيد من مشاهدة عملياته فائدة كبرى ، لأنه كما قلنا أستاذ جراحة القلب بجامعة عين شمس ، والأطباء الشبان يشهدون عملياته ، وهذا من حظنا لأنه يتيح لشبابنا أن يدرس على يديه ويتعلم منه ، ومن هنا فإن هذا الرجل مدرسة

جراحية وعملياته تدرس فى مصر وخارجها ، وهو يسجل عملياته ويبلغ نظراءه الجراحين عن كل جديد يصادفه فى أثناء عمله ، لأن الجراحة بالذات علم عملى ، والجراح النابغة يكتشف كل يوم جديداً ويسجله ، وأحياناً ينشره فى أبحاث علمية ، ومن حسن الحظ أن الرجل له ميل إلى العمل السياسى مما يضاعف الفائدة منه ، وهو هنا يختلف عن الكثيرين من المتميزين فى الجراحة الذين ينصرفون انصرافاً تاماً إلى العمل الجراحى فتقتصر الفائدة منهم على تلك الناحية ، وهى ليست بالقليلة ، ولكن الأحسن طبعاً أن يكون الطبيب الممتاز ذا ميل إلى العمل العام أو العمل السياسى ، لأن معنى ذلك أن عنده حباً عظيماً لوطنه ، وهذه الوطنية التى تجعله يتحمل العمل السياسى ومتاعبه مع قلة فائدته لصاحبه . ومن هنا فإن الدكتور حمدى السيد عضو مؤسس بالحزب الوطنى ، وعضو منتخب فى مجلس الشعب فى دورات ١٩٧٩ و ١٩٨٤ و١٩٨٧ ،ورئيس اللجنة الصحية فى دورتى ١٩٧٩ و ١٩٨٤، هذا إلى جانب مشاركته فى الكثير من المؤتمرات المحلية بداخل مصر وخارجها ، وقد نشر نحو خمسين بحثاً علمياً ، وبعض أبحاثه دراسات ألقيت فى المؤتمرات الدولية والمجلات الطبية العالمية . وقد حصل على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى سنة ١٩٧٠ ووسام الجمهورية من الدرجة الأولى سنة ١٩٨٠ .

نحن إذن أمام طبيب وجراح عظيم ومدرسة طبية مصرية وعالمية فى الوقت نفسه ، وإذا نحن أردنا أن نتبين القيمة العظيمة لجيل الستينيات فى تاريخ مصر المعاصرة فأمامنا الدكتور حمدى السيد .

□ الدكتور خليفة كمالى
رائد من رواد طب العيون فى عصرنا.

ومن نوابغ جيل الستينيات فى الطب الدكتور خليفة عبد اللطيف كمالى من عظماء أطباء العيون فى مصر فى عصرنا ، وقد ولد فى ١٦ نوفمبر ١٩٢١ بطهطا محافظة سوهاج . حصل على بكالوريوس الطب والجراحة من جامعة القاهرة (١٩٤٦) وتخصص فى طب العيون وحصل سنة ١٩٥١ على دبلوم طب وجراحة العين ، وفى سنة ١٩٥٦ يحصل على الدكتوراه فى طب وجراحة العين ، ثم عين مدرساً ، ثم أستاذاً مساعداً لجراحة العيون بكلية الطب بجامعة عين شمس (١٩٥٦ إلى ١٩٦٢) ثم انتقل أستاذاً ورئيساً لقسم جراحة العيون بكلية الطب بجامعة الأزهر ، وفى سنة ١٩٧٩ يصبح عميداً لكلية الطب فى الجامعة نفسها (١٩٧٩ — ١٩٨١) وفى سنة ١٩٨٠ كان رئيساً لمجلس إدارة الجمعية الرمدية المصرية .

نحن إذن أمام رائد من رواد الطب فى مصر اليوم ، نحن أمام رجل مجتهد موهوب يقوم فى مصر المعاصرة بدور أستاذ طب العيون وجراحتها ، وهو ــ مثله فى ذلك مثل من مررنا بهم من أطباء جيل الستينيات ــ رجل لا يكف عن العمل ، فهو دائماً فى غرفة العمليات أو قاعة المحاضرات أو اجتماعات مؤتمرات الرمد والفوائد منه جليلة جداً فى بلد تميز على طول تاريخه بالتفوق فى طب العيون .

□ ثروت أباظة ..
قصاص مصر الأكبر بعد نجيب محفوظ .

قليلون جداً هم الذين عرفتهم من المصريين يقاربون محمد ثروت أباظة فى الالتزام والصدق والأمانة والمحافظة على الكرامة ، هذا إلى جانب امتيازه فى الأدب ، فهو اليوم قصاص مصر الأول بعد نجيب محفوظ ، والحقيقة أن تاريخه الأدبى حافل ، بل هو نموذج لجهد الأديب الملتزم الذى شق طريقه بجهده الشخصى من البداية إلى القمة ، بل يمكن أن يقال إنه ورث حب الأدب عن أبيه إبراهيم دسوقى أباظة ، وكان أديباً حافظاً للشعر ، وإلى جانب عمله فى السياسة ووصوله إلى درجة الوزارة أكثر من مرة ، فقد كان دائماً يجد وقتاً لدراسة الأدب العربى وحفظ الشعر والاستماع له ، وأذكر أننى أول مرة رأيته فيها ذهبت لأرى وزير المواصلات فلقيت أديباً من أعظم أدباء مصر ، ونسيت الوزارة والسياسة واشتغلت بالأديب حافظ الشعر الذى بهرنى بدقة حفظه وجمال إلقائه ، وطبيعى والحالة هذه أن يعنى عناية كبيرة بابنه محمد ثروت إبراهيم دسوقى أباظة الذى ولد فى ٢٨ يوليو ١٩٢٧ ، وليس معنى ذلك أن الوالد دفع بابنه فى طريق الأدب ، بل معناه أن الابن وجد فى أبيه صدى لما كان يدور فى نفسه من حب الأدب ورغبة فى الإنتاج الأدبى ، فسار فيه وحده واعتمد على نفسه فحسب حتى وصل إلى القمة .

درس ثروت أباظة فى المدارس المصرية ، وفرغ من دراسته الثانوية ، من مدرستى

فاروق الأول وفؤاد الأول الثانويتين سنة ١٩٤٦ ، ثم تخرج فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة سنة ١٩٥٠ ، ولم أجد فيما قرأت من تاريخ حياته أنه اشتغل بالحقوق أو المحاماة ، بل إننا نجده يتجه إلى الأدب منذ البداية أى منذ صبوته ، وقبل أن يتخرج فى كلية الحقوق كان قد قرأ كتب كامل كيلانى للأطفال وأعمال أدباء مصر فى عصر العمالقة ، وكان خاله عزيز أباظة آخر شعراء مصر فى ذلك العصر ، ومحمد ثروت أباظة كان يقوم بتصحيح تجارب الطبع لمسرحياته ، ثم اتجه بكل حماسه إلى قراءة أعمال القصاصين الغربيين :

ستاندال وبلزاك وديكنز ، وأعجبه بصفة خاصة جون شتاينبك من أعلام القصاصين الأمريكيين ، فترجم له قصة « فى مغيب القمر » وجدير بالذكر أننى أنا أيضاً ترجمت نفس الرواية فى صورتها المسرحية التى شهدتها فى سويسرا ونشرتها بعنوان « ثم غاب القمر » وهى رواية قصيرة غاية فى العمق والإبداع وجمال الأسلوب .

وبدأ ثروت أباظة فى نشر إنتاجه القصصى من سنه الباكرة ، وما عرفت من كتاب عصرنا رجلاً بذل فى التأليف والكتابة ما بذل ثروت أباظة ، فقد نشر فى مجلات عصر العباقرة الرسالة والثقافة ونشر فى جرائد المصرى والجمهورية والأهرام ومجلات المصور والجيل الجديد وآخر ساعة والهلال وأخبار اليوم والقصة والإذاعة والتليفزيون . ثم بدأ بعد ذلك فى كتابة رواياته التى أوسعت له مكاناً رحباً فى عالم الأدب مبتدئاً برواية عن الشاعر الأندلسى أبى بكر بن عمار سنة ١٩٥٤ ، وقد أخرجت هذه الرواية فى التليفزيون ، وكان لها نجاح كبير ، أما روايته التى تبنت اسمه كروائى له شخصية ممتازة فهى رواية « هارب من الأيام » التى قرأناها وأعجبنا بها جميعاً ، وفى هذه الرواية نجد بداية اهتمام ثروت أباظة الأدبى بالقرية المصرية وما يجرى فيها، وجدير بالذكر أن القرية المصرية لم تعرف فى أدباء مصر أديباً كتب عنها وعن أحوالها ومشاكلها ودرس حقائقها كما فعل ثروت أباظة الذى مازلنا نستمتع برواياته عن ريف مصر إلى اليوم ، وإذا كانت رواياته تلقى ضوءاً باهراً على ريف مصر فإن العناوين والأسلوب يدلان على اقتراب عظيم من القرآن الكريم وبلاغته حتى إنه أحياناً يأخذ عنوان الرواية من القرآن الكريم

مثل « شيء من الخوف » ، وهى رواية ممتازة فعلاً وحوادثها تترابط فى دقة وإحكام ، وشخصياتها ريفية صادقة أما المشاكل الرئيسة فى تلك الرواية فمن أمتع ما قرأنا من روايات الريف المصرى ، وأذكر أننى أول ما قرأتها وجدت نفسى مع أول كاتب عربى يقف إلى جانب المرأة ويبين فضلها وعقلها وشجاعتها وما إلى ذلك مما تعود المصريون والعرب عموماً على إنكاره على المرأة .

ونظراً لهذا الجهد المتصل فى عالم الكتابة والرواية بصورة خاصة تجد ثروت أباظة يتنقل صاعداً فى عالم الصحافة والأدب ، ومن أهم الوظائف التى شغلها رياسة تحرير مجلة الإذاعة والتليفزيون فى ١٢ سبتمبر ١٩٧٥ وفى سنة ١٩٧٦ نجده يتولى واحدة من أكبر المسئوليات فى عالم الأدب والفكر فى مصر ، وهى رياسة تحرير القسم الأدبى بجريدة الأهرام ، ومازال يشغل هذه الوظيفة الرئيسة إلى اليوم .

* * * * *

ومن هنا نجد ثروت أباظة يتولى عدداً من الوظائف الرئيسية فى عالم الأدب والفكر فى مصر ، فهو عضو بالمجلس الأعلى للثقافة ، وعضو فى المجلس الأعلى للصحافة ، وعضو بالمجالس القومية المتخصصة ، وفى سنة ١٩٨٤ انتخبه كتاب مصر رئيساً لاتحادهم ، وأعيد انتخابه لنفس المسئولية كل سنتين إلى يومنا هذا ، ونحن الكتاب نقرر بالإجماع أننا لم نعرف رئيساً لاتحادنا مثل ثروت أباظة ، فقد أنشأ لنا ميزانية محترمة ، وقدر للمحتاجين من الكتاب معونات مالية مشكورة ، ونظم للكتاب تأميناً ومازال يحمل مسئولية اتحاد الكتاب إلى يومنا هذا ، وفى الوقت نفسه تجده يدخل مجلس الشورى ، ونظراً لما امتاز به من الالتزام والارتباط بالمسئولية والواجب ينتخب وكيلاً لمجلس الشورى ، وهى وظيفة قومية محترمة جداً نظراً لما نعرف من أهمية مجلس الشورى وبما يقوم به أعضاؤه من دور جليل فى بناء الوطن ، ووكالة هذه المجالس القومية الكبرى لا تقتصر على رياسة الجلسات فى حالات غياب الرئيس ، بل إننا نجد أن العمل الأكبر فى داخل المجلس نفسه فى تسجيل كلمات الأعضاء ومناقشاتهم وتنظيم علاقاتهم بالرأى العام ، ونشر ما لابد من نشره من تقارير المجلس ، ومع أن مجلس الشورى ليس مجلساً تنفيذياً فإن جهد أعضائه وعلمهم الغزير واهتمامهم بتقديم أحسن ما لديهم إلى الوطن

فرض هذا المجلس على البلاد فرضاً ، ونحن اليوم لا نتناول أى بحث إلا قلنا : فلننظر ماذا يقول مجلس الشورى فى هذا الموضوع ، وقد حاول الإداريون فى الدولة إهمال آراء المجلس فلم يستطيعوا ، لأن مشاكل البلاد كثيرة ومعقدة والإدارة وحدها لا تستطيع الحل ، ولابد من الرأى أو الآراء ، وهذا هو الذى يقدمه مجلس الشورى ويفرضه ، خاصة أن الادارة عندنا ضعيفة وعاجزة ، ونادراً ما تقرر الدولة شيئاً وتستطيع تنفيذه .

وهذه كلها حقائق تكشف لك عن أهمية الدور الذى يقوم به ثروت أباظة فى مجلس الشورى ، فهو يقوم بالجانب الأكبر من مساعدة الدولة على الإفادة من ذلك المجلس العظيم وما يجريه رجاله من أبحاث ودراسات ، وعمله هنا لا يقل أهمية ولا صعوبة عن عمله فى الناحية الأدبية ، ومن هنا ندرك أهمية المسئوليات التى يقوم بها ثروت أباظة فى هذا البلد الذى يبذل غاية جهده فى عصرنا هذا لإعادة البناء والسير إلى الأمام .

- **أنيس منصور**

أديب مصر وصحفيها الأول من جيل الستينيات

- **د. محمد عبد الفتاح القصاص**

أستاذ عالمى فى علوم النبات

- **السيدة فرخندة محمد حسن يوسف**

رئيسة أقسام العلوم والهندسة بالجامعة الأمريكية
وعضو أمانة المرأة على مستوى الجمهورية

- **د. حمدية محمود زهران**

أستاذة مصر الأولى فى التجارة الخارجية

أنيس منصور
أديب مصر وصحفيها الأول من جيل الستينيات

■■ عرفت أنيس منصور فى السنوات الأولى من تخرجه فى قسم الفلسفة بجامعة عين شمس ، وكان شاباً نشيطاً مفرحاً ظاهر النشاط والطموح ، ولكن نشاطه الأكبر كان متجهاً إلى الصحافة ، وأظن أنه كان إذ ذاك الوقت محرراً فى جريدة الزمان ، وكان فيها أظن يرجو أن يجمع بين العملين : هيئة التدريس الجامعية والصحافة . . ولكنه تبين بعد قليل أنه لابد أن يختار واحداً من العملين يتفرغ له ، لأن الجمع بين الاثنين عسير جداً ، وقد تعرضت أنا نفسى لهذا الاختيار ، فأما أنيس منصور فقد اختار الصحافة ، وأما أنا فقد اخترت السلك الأكاديمى .

وقد بذل أنيس منصور فى الصحافة والأدب جهدا بالغا ، وانتقل إلى «الأخبار» ، وهناك عرف الأخوين على ومصطفى أمين ، وتبين امتيازه فصعد السلم الصحفى سريعا ، فنجده وهو بعد فى طليعة الشباب رئيسا لتحرير مجلة الجيل الجديد ، ثم رئيسا لتحرير مجلة آخر ساعة ، وهنا تجلى امتيازه فنهضت هذه المجلة بفضله ونجحت نجاحا عظيما ، واستمر فى الوقت نفسه يعمل فى الفلسفة والأدب ، وتبين امتيازه الأدبى فى نشاطه الواسع ثم فى أسلوبه الجميل البديع الذى عرف كيف يعرض به الموضوعات عرضا أدبيا وعلميا وفلسفيا فى بلاغة وأسلوب متميز ، وفى سنة ١٩٧٦ عين رئيسا لدار

المعارف ولمجلة أكتوبر ، وهو الذى أنشأ هذه المجلة ووضع نظامها ورسم خطتها التى وصلت بها إلى أن تكون اليوم . . ومنذ سنوات ـ فى طليعة المجلات الأسبوعية المصرية ، ونهض أنيس منصور فى الوقت نفسه بالمجلات الأسبوعية المصرية ، ونهض فى الوقت نفسه بدار المعارف ـ وهى أكبر دار نشر فى العالم العربى ـ نهضة واسعة ، وقد تميز فى العملين بالابتكار والحسم وحسن الإدارة . هذا إلى جهده الواسع فى الكتابة . فهو يكتب عددا من المقالات كل أسبوع ، وكلها ممتازة تتجلى فيها سعة الاطلاع والنظرة الأدبية مع جمال الأسلوب وخفة الظل ، وأنيس منصور من القلائل الذين يتقنون بالفعل أكثر من ثلاث لغات أوروبية ، وهو يقرأ فى الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية إلى جانب العربية طبعاً ويتجلى امتيازه الأدبى بصفة خاصة فى عموده اليومى فى جريدة الأهرام « مواقف » الذى يكتبه بنجاح عظيم من سنوات فى جريدة الأهرام ، وقد وصل به فى أيامنا هذه إلى مستوى أدبى وفلسفى وفكرى فريد فى بابه ، خاصة إذا عرفنا أن كل إتجاهه الفلسفى هذا لم يمنعه من أن يكون واقعياً فى الوقت نفسه ، والواقعية من أسس النجاح فى العمل الصحفى . وإليك نموذجاً اخترته من « مواقفه » يجمع بين هذه الخصائص كلها ، وقد أخذته عن جريدة الأهرام (٥ يونيو ١٩٩٠) « المؤتمر الذى ينعقد فى أية عاصمة عربية بين زعماء العرب ولا ينتهى بالإجابة عن هذين السؤالين لم ينعقد .

السؤال الأول : بعد ٤٢ سنة ازدهرت فيها إسرائيل وازدادت قوة فى الداخل والخارج وازددنا ضعفا وتمزقا . . ما هى الخطة المؤكدة لحل المشكلة الفلسطينية ؟

السؤال الثانى :مادام الإنسان المتحضر هو الذى يتعلم من التاريخ ويجلس لدراسته ويضيف إليه فماذا نحن فاعلون اليوم أو غدا هل نفتح الحدود بين كل الدول العربية بلا خوف من أحد على أحد ـ وأمامنا أوروبا غربا وأوروبا شرقا ؟

ومعنى السؤالين : هو أننا نريد أن نحقق السلام طريقاً إلى الرخاء ـ وهل كان الغرض من مؤتمر القمة أن نقول : نحن غلطانون ؟ نعم نحن غلطانون فى حق بعضنا البعض ونبوس القدم ، ونبدى الندم على غلطتنا فى حق القمم! انتهى . فماذا بعد ذلك ؟

بعد ذلك يشعر كل واحد منا أنه انتصر . . على من ؟ على واحد آخر ! فليكن ، ثم ماذا بعد ذلك ؟ بعد ذلك يؤكد كل زعيم لشعبه أنه كان على حق . فليكن ! فماذا بعد ذلك !

بعد ذلك ينفض المولد ونستريح من وجع قلب الزعماء والمؤتمرات والطبل والزمر فى كل وسائل الإعلام . وبالروح ، وبالدم . . نفديك يا أى أحد . . ثم ماذا بعد ذلك !

لا شيء ! إذن لم ينعقد مؤتمر ؟ وكأن بعض الذين حضروه لم يكونوا قمما عالية . . وإنما هم أناس قرروا أن يكونو عاديين لا حول لهم ولا قوة ــ مع أنهم يملكون الحل والحول والطول العرفى . . وهكذا نكون قد أضعنا على أنفسنا وقتا ثمينا . وفرصة نؤكد فيها لأنفسنا أننا ندرى تماما ماحدث فى أوروبا غربا وشرقا . . وأننا أضعنا أنفسنا على أنفسنا . . بينما إسرائيل كسبت فى كل الميادين والمجالات .

فأرجو أيها السادة القمم ألا تقولوا لنا ماذا قلتم ، وإنما ما الذى قلتم سرا لتعملوه سرا من أجل قضية يلعنها ويلعننا معها مجهولون فى أيديهم حجارة !

ــ وهذه كلمة فيها عمق وفلسفة وواقعية وجرأة وفهم تام لأوضاع العرب اليوم ومشاكلهم ، وفيها كذلك تلك الواقعية التى تميز بها أنيس منصور ، فهو لا يكتب هنا لمجرد الكتابة ، بل إن فى ذهنه آراء بعيدة وفهما عميقا وشاملا لطبيعة رؤساء العرب واتجاههم «غير المستقيم» فى العمل وهو اتجاه ــ كما ترى فى هذه الكلمة ــ ليس بسليم ولا مشكور ، ولايمكن أن يؤدى بنا إلى خير . وأنيس منصور يكتب مثل هذه الكلمة يوميا ، وبتصور الإنسان أنها تأتيه عفوا أو ببساطة ، مع أنك لو تأملت فيها لرأيت أنها لايمكن أن ترتسم فى الذهن على هذه الطريقة المبدعة إلا بعد جهد ذهنى بالغ واطلاع حقيقى على واقع الأمور ، ثم إن التعبير فى ذاته هنا نوع من الامتياز الفنى والفكرى لا يصل إليه الكاتب إلا بعد تجارب السنين .

ومؤلفات أنيس منصور كثيرة جدا وبعضها وصل إلى مرتبة الصدارة فى المكتبة العربية مثل كتابه عن صالون العقاد الذى يعتبر وثيقة فكرية كبرى ، ولا أظن أننى قرأت مايماثله غنى ووفرة معلومات وقربا من عباس محمود العقاد ، ولم يكن الرجل باليسير . ولا كان

من السهل الاقتراب منه وفهمه . ولكن أنيس منصور استطاع ذلك بتفوق عظيم ، وقد طبع هذا الكتاب أكثر من مرة ولابد أنه سيطبع فى المستقبل أكثر مما طبع فى الماضى . أما كتابه «حول العالم فى ٢٠٠ يوم » فهو من كلاسيكيات الأدب العربى المعاصر منذ ظهوره ومازلنا نعجب بالكثير من كتبه ، ونعود إلى قراءتها ، وأنا لا أزال أعود إلى كتبه : «غريب فى بلاد غريبة» ، و«أطيب تحياتى من موسكو» و«الذين هبطوا من السماء» و «وداعا أيها الملل» و «كرسى على الشمال» وغيرها كثير . هذا إلى قصصه الكثيرة ، وكلها ناجحة ، ولايزال الناس يعودون إليها ويخرجونها للسينما والتليفزيون .

وأنيس منصور ولد سنة ١٩٢٤ فى المنصورة ومازال إلى يومنا هذا يتميز بالإقبال الشديد على العمل مع وفرة الإنتاج الأدبى مع خفة الظل وحضور البديهة وطرافة النكتة ، ولاشك فى أنه من عباقرة جيل الستينيات مع الاهتمام الشديد بالمنصورة (أهله) وأهلها والعمل فيها . . والمنصورة من أنجح بلاد مصر .

د. محمد عبد الفتاح القصاص أستاذ عالمى فى علوم النباتات ونموذج رفيع للمواطن فى أعلى مستوى خلقى.

يتميز جيل الستينيات بتنوع صور العبقرية فيه . والدكتور محمد عبد الفتاح القصاص من أرفع نماذجه وأكثرها تميزا فى الإبداع العلمى والجمال والأخلاقى ، فقد ولد فى برج البرلس (محافظة كفر الشيخ) فى ٦ يولية ١٩٢١ ، وحصل على بكالوريوس العلوم من جامعة القاهرة سنة ١٩٤٤ ، ثم حصل على الماچستير فى علوم البيئة النباتية من الجامعة نفسها ، ثم سافر إلى انجلترا فى بعثة دراسية وحصل على الدكتوراه فى البيئة النباتية من جامعة كيمبردج فى سنة ١٩٥٠ وعاد إلى مصر حيث دخل فى هيئة التدريس فى كلية العلوم بجامعة القاهرة ، ووصل إلى الأستاذية فى النبات التطبيقى سنة ١٩٦٥ . وهنا بدأت شهرته العالمية تظهر بما كان ينشر من أبحاث علمية وما كان يلقيه من محاضرات فى المؤتمرات الدولية فى مصر وأوربا . وهو عضو بالمجمع العلمى المصرى ، ثم أصبح أمينا عاما للشعبة القومية المصرية لليونسكو سنة ١٩٨١ ، وقد استوقف النظر أنه لم يكن يتقاضى أتعابا لا عن الجلسات أو الأبحاث أو عن أى عمل يقوم به فى الدولة ، وكأنه كان يحس أنه كسب الكفاية مما حصل عليه فى أسفاره الكثيرة السابقة . وهنا نقطة جديرة بالنظر ، فإن الشعور بالكفاية المالية أمر نادر ، وفى الغالب نجد الإنسان فى مصر وخارجها إلى جانب تميزه وسعة نشاطه لايكاد يترك مليما مما يستحق ، وأنا أعتقد أن هذه الناحية فى الدكتور القصاص ناحية امتياز جديرة بالإعجاب ،

وخاصة إذا أضفنا إليها ما تميز به الرجل من هدوء ورحابة صدر وجمال أخلاق ، فأنت لاتجده ــ رغم عمله الضخم ــ إلا هادئا مبتسما كريم النفس حلو الكلام ، وماعرفه إنسان إلا مالت نفسه للاستزادة منه والعودة إلى الاجتماع به والعمل معه .

ومن الميزات الكبرى للدكتور القصاص اتساع أفقه الدولى ووصوله إلى الرياسة الفعلية لكثير من المؤسسات الدولية مثل رئاسته سنة ١٩٧٨ للاتحاد الدولى لفنون الطبيعة والموارد الطبيعية ، وقد استمر فى هذه الرياسة إلى سنة ١٩٨٤ وانتخابه عضوا فى الأكاديمية الهندسية للعلوم فى سنة ١٩٨١ . والدكتور القصاص من أوائل المصريين الذين تناولوا قضايا البيئة فى مصر ، وأثاروا الاهتمام العالمى والقومى بها ، فهو لهذا صاحب مدرسة للبحوث والدراسات الصحراوية والبيئة فى مصر والعالم العربى ، وقد أسهم فى تخطيط وتنفيذ الكثير من المشروعات فى مجال البيئة مثل مشروع حماية مياه البحر الأحمر من التلوث وموارده من التدهور ، كما أسهم فى العديد من البرامج العلمية الدولية فى مجالات البيئة منها : برنامج اليونسكو لدراسات الأراضى الجافة ، وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة . وقد مثل مصر فى العديد من المؤتمرات الدولية ، وقدم الكثير من الأبحاث فى مجال حياة النبات فى الصحارى والكساء النباتى وظروف البيئة الصحراوية . وقد حصل على عدد من الأوسمة الرفيعة الدولية والمصرية .

نحن إذن أمام شخصية ممتازة من شخصيات المشتغلين بالعلوم فى مصر وخارجها ، وقد كسب مكانة علمية دولية رفيعة ، وكسب بذلك لمصر مكانة دولية عظمى ، واجتهد فى المحافظة على المستوى العلمى فى مصر ، وأمثال هذا الرجل يوفقون بجهدهم وبإخلاصهم وعلمهم فى المحافظة على المستوى العلمى الرفيع لمصر ، وإذا كان بعضنا يأسى لما يعمله بعض المصريين فى عصرنا هذا ، فإن رجالا مثل محمد عبد الفتاح القصاص يحافظون على التقاليد المصرية التاريخية فى ميادين العلوم والفضيلة والإنسانية والعلمية ، ويساعدوننا على المحافظة على الأمل فى المستقبل .

السيدة فرخندة محمد حسن يوسف، رئيس أقسام العلوم والهندسة بالجامعة الأمريكية، وعضو أمانة المرأة على مستوى الجمهورية.

من الخصائص التى رفعت اسم مصر وميزته فى العالمين الإسلامى والشرقى عموما امتياز مركز المرأة فيها حتى قبل أن يصدر قاسم أمين كتابه المعروف عن المرأة وضرورة تحريرها وفتح أبواب العمل والتقدم أمامها سنة ١٩٠٤ . ومن بنات جيل الستينات المتميزات فى مجالات العلوم والخدمة الاجتماعية السيدة الدكتورة فرخندة محمد حسن يوسف المولودة فى ٢٩ أغسطس ١٩٣٠ بالقاهرة ، وهى سيدة جليلة متزوجة قد حصلت على بكالوريوس العلوم ــ تخصص كيمياء بيولوجية ــ من جامعة القاهرة سنة ١٩٥٢ ، وحصلت فى السنة نفسها على دبلوم علم النفس والتربية ، ثم حصلت فى سنة ١٩٦٦ على الماجستير فى الجيولوجيا من الجامعة الأمريكية ، ثم سافرت فى بعثة إلى الولايات المتحدة حيث حصلت من جامعة بتسبرج بالولايات المتحدة على دكتوراه الجيولوجيا ، وبعد عودتها لمصر بدأت من البداية فعملت مدرسة علوم بالمدارس الثانوية من ١٩٥٣ إلى ١٩٦٣ ، ثم دخلت فى هيئة التدريس بالجامعة الأمريكية وتدرجت فى الدرجات العلمية هناك حتى عينت أستاذ الجيولوجيا ثم رئيس أقسام العلوم والهندسة بالجامعة الأمريكية سنة ١٩٦٣ وهنا تفتحت أمامها أبواب البحث والعمل فى ميدان العلوم فى العالم كله . وظهر امتيازها واشتهر أمرها فى مصر والعالم كله ، فنجدها فى الكثير من اللجان المعنية بالتنمية الشاملة والتنمية العلمية والتكنولوجيا والجهود التى تهدف إلى

تنمية المرأة والنهوض بمستواها فى مصر ، وقد عينت عضوا فى مجلس الشعب فيما بين سنتى ١٩٧٩ و ١٩٨٤ ، ثم أصبحت عضوا فى مجلس الشورى من ١٩٨٦ ، وهى أمينة المرأة بمحافظة الجيزة وعضو أمانة المرأة على مستوى الجمهورية . ومؤلفاتها كثيرة وضخمة فى مجال الچولوچيا إلى جانب برنامجها التليفزيونى المعروف «عصر العلم» الذى تقدمه من ٢٥ سنة . فهذه إذن سيدة ممتازة وفخر نسائى لجيل الستينيات ، وإذا كانت المرأة المصرية قد حافظت على مركزها فى عصرنا هذا فإن جانبا كبيرا من الفضل يرجع إلى هذه العالمة الجليلة التى تفخر بها مصر كلها .

السيدة الدكتورة حمدية محمود زهران
أستاذة مصر الأولى فى التجارة الخارجية .

ومادمنا قد ذكرنا السيدة فرخندة فلا بد أن نذكر الأستاذة الدكتورة حمدية محمود زهران ، وهى من أجل علماء الاقتصاد فى مصر ، وقد ولدت سنة ١٩٣٣ بمحافظة الغربية ، وهى متزوجة ، وقد درست الاقتصاد فى جامعة القاهرة فحصلت على الليسانس ثم الماجستير ثم الدكتوراه فى الاقتصاد والمالية العامة من كلية الحقوق بجامعة القاهرة سنة ١٩٧٠ ، ثم تدرجت فى السلك الجامعى حتى شغلت وظيفة أستاذ ورئيس لقسم الاقتصاد بجامعة حلوان . وقد تولت الدكتورة حمدية مسئوليات مركزية فى جامعة كبرى هى جامعة حلوان . واشتهر أمرها فى مصر كلها بالامياز فى ميدان الاقتصاد ، وهى تتميز بفهم حقيقى لمشاكل الاقتصاد المصرى ، وإذا هى تحدثت فى مسائل اقتصاد مصر فأنت تفهم ماتقول وإن لم يكن لك تخصص فى الاقتصاد ، وهى رئيس شعبة التجارة بالحزب الوطنى ، وما من مرة سمعتها تتحدث فى التجارة والاقتصاد إلا قلت فى نفسى : وما لهم لايعينون هذه السيدة فى إحدى المسئوليات الحكومية الكبرى فى ميدان الاقتصاد والتجارة ؟ وماداموا لايستطيعون إفهامنا مشاكل الاقتصاد ولايتمكنون من علاج مشاكلنا الاقتصادية فلماذا لايجربون فى أن يعهدوا بمسئوليات كبرى فى وزارة التجارة أو الاقتصاد لهذه السيدة الممتازة ؟ . وأقول هذا لأننا إلى يومنا هذا لم نعثر على وزير اقتصاد يستطيع أن يعالج مشاكلنا المالية والاقتصادية التى لاتنتهى علاجا ناجعاً ويكاد اليأس يشمل نفوسنا منها .

- **مصطفى وعلى أمين**

وبناء عصر جديد فى تاريخ الصحافة العربية

- **صلاح جلال**

صحفى ممتاز يدخل الصحافة من باب العلوم .

- **مكرم محمد أحمد**

صحفى مجتهد يعتمد على الصدق والعمل المتصل .

مصطفى وعلى أمين
وبناء عصر جديد فى تاريخ الصحافة العربية

■■ تتميز بعض نواحى نشاطاتنا بأنها لا يقبل عليها ويستمر فيها إلا صاحب الهواية ، لأن الميدان فى ذاته ميدان هواية مثل الصحافة والتمثيل والتصوير ، حقا إن هناك معاهد يتعلم الناس فيها الصحافة والإذاعة وفنون التمثيل والتصوير ، ولكن الهواية أساسية هنا ، وإذا كان الإنسان يستطيع أن يكون مهندسا مثلا بالعلم وحده فإنه لا يستطيع أن يكون صحفياً رئيسا وقائدا إلا بالموهبة أولا ، ولدينا فى مصر فى عالم الصحافة رجل موهوب حقا بحيث لا يمكن تصور الصحافة العربية إلا باسمه ونشاطه ، وهذا هو مصطفى أمين كبير الصحفيين المصريين المعروفين منذ سنة ١٩٤٤ وهى السنة التى أنشأ فيها مع أخيه على أمين رحمه الله مجلة أخبار اليوم ، وكان ذلك فتحا فى تاريخ الصحافة العربية .

ونحن الذين عملنا فى الصحافة قبله ومعه وبعده نستطيع أن نقول إن الصحفى المصرى لم يعرف العمل المنظم الذى يتقاضى عنه أتعابا مجزية وثابتة ــ بل وفى زيادة ــ إلا مع الأخوين مصطفى وعلى أمين يوسف ، وهما توءمان وأبوهما دبلوماسى مصرى هو أمين يوسف ، ولكن الأخوين درسا فى لندن ولا نظر لهما إلا على الصحافة ، والكثيرون

من أهل هذه المهنة بدءوا الكتابة والنشر وهم طلبة فى المدارس الثانوية واستمروا بعد ذلك ، ولكن الأخوين مصطفى وعلى أمين نشآ صحفيين بالموهبة والرغبة والاتجاه فى الحياة ، وقد ولدا فى القاهرة فى ٢١ فبراير ١٩١٤ وبدآ حياتهما الصحفية فى الرابعة عشرة من العمر واستمرا بعد ذلك فى دراستهما الصحفية بالجامعة المصرية بالقاهرة ، وفى جامعة چورچ تاون فى الولايات المتحدة وبعد العودة إلى مصر تنقل مصطفى مع أخيه بين صحف الرغائب وروزا اليوسف ، وفى سنة ١٩٣٤ وصل مصطفى أمين إلى نائب رئيس تحرير مجلة آخر ساعة (وبعد أربع سنوات أصبح مصطفى رئيسا لتحرير آخر ساعة وكان صاحبها ورئيس تحريرها محمد التابعى) وبعد ذلك بسنة (١٩٣٩) نجده محرر الأنباء المحلية لجريدة الأهرام ، ويظل فى ذلك العمل إلى سنة ١٩٤٤ ، ثم يصبح رئيسا لتحرير مجلة الاثنين (فى دار الهلال) وكان ذلك تمهيدا للخطوة الحاسمة فى تاريخ الأخوين وتاريخ الصحافة أيضا لأن الأخوين ينشئان معا سنة ١٩٤٤ مجلة أخبار اليوم ويفتحان بذلك عصرا جديدا فى تاريخ الصحافة المصرية .

ذلك العصر هو عصر العمل الصحفى المنظم الذى يتقاضى فيه صاحبه راتبا محترما وأحيانا أكثر من محترم ومنتظما ومتزايدا مع الزمن لأننا كنا نعمل فى الصحافة قبل مصطفى وعلى أمين وكانوا فى دار الهلال والأهرام والمقطم يعطوننا مرتبات منتظمة ، ولكنها كانت أقل من المستوى ، والصحفيون وفيما عدا كبار الرؤساء من أمثال محمد توفيق دياب وأحمد حافظ عوض وعبد القادر حمزة وفكرى أباظة كانوا لايتقاضون أتعابا جديرة بأن تسمى مرتبات ، والصحفى كان معدودا دائما رجلا فقيرا محتاجا ، فلما دخل الميدان الأخوان مصطفى وعلى أمين تغير كل شىء . عرفنا الصحافة الممتازة الجذابة التى تتمتع بحب الجمهور وإقباله ، وعرفنا الصحفى الذى يتقاضى مرتبا يغطى حاجاته عن وسع ، بل عرفنا فنونا جديدة كثيرة فى الكتابة لأن أخبار اليوم «كانت فتحا صحفيا من كل ناحية » ومصطفى أمين نفسه مازال يقول إن أخبار اليوم أعظم منشآته ، فهذه المجلة أنشأت جريدة الأخبار وما زالت متفوقه عليها ، وأنشأت الجيل الجديد ، ونهضت بآخر ساعة ومازالت إلى يومنا هذا من أنجح المنشآت الصحفية فى مصر والعالم العربى كله ، وكان من الممكن أن ينشىء ما يماثلها لولا أن الثورة أممت الصحافة ، ووضعت

يدها على كل الصحف وكانت هذه خطوة للوراء بالصحافة كلها لأن أصحاب الصحف كانوا سائرين بصحفهم بنجاح ، فالأهرام ودار الهلال ودار الأخبار بكل مؤسساتها كانت سائرة بنجاح ثم جئنا ووضعنا يدنا على الكل فكان ، ولابد ، أن تحصل هناك خسائر خاصة أن التشغيل فى دور الصحف لم يعد يسير على قواعد صحفية بل حكومية ، فكثر الموظفون فى الصحف كثرة زائدة والكثيرون من هؤلاء لم يكونوا صحفيين ، ثم إنه لم يكن من الصواب ولا من العدل أن تأخذ دارا بأسرها من صاحبها بعد الذى بذل فى إنشائها لتعطيها لناس تعتقد أنهم من ناسك لأننا نسأل هنا : ومصطفى وعلى أمين أليسا من ناسك وإذا لم يكونا من ناسك ؟ فماذا يكونان إذن ؟ على أى الأحوال كان ذلك التأميم ضربة آذت الصحافة كلها من الناحية الفنية الصحفية ، فاتجهت الى الخسارة بعد أن كانت تكسب ، فدار الهلال مثلا كانت دارا صحفية ناجحة حتى ذلك التاريخ ثم بدأت تخسر وتزايدت خسارتها مع الزمن لأن الذين تولوا إدارتها كانوا بعيدين عن الروح الصحفية إلى حد كبير ، ثم إن هذه المؤسسات الكبرى سواء أكانت صحفية أم غير صحفية لا يفهم إدارتها ولا يعرف أسرارها إلا أصحابها ، ثم إننا لا نفهم السبب فى أن تأخذ منشأة اقتصادية مصرية من مصريين وتعطيها لمصريين آخرين وتتصور أن هؤلاء من رجالك وأولئك ليسوا من رجالك ، لأن الحقيقة هى أن أهل مصر جميعا كانوا مع الثورة عندما قامت ، ولكن الصف الثانى من الضباط أخذ الثورة على أنها فرصة تتيح لهم الاستيلاء على أموال الناس فاقتحموا المنشآت اقتحاما وأساءوا التصرف طبعا ، وقد لقيت ـ مثلا ـ ضابطا صغيرا فى مدريد ، ودهشت عندما علمت منه أنهم عهدوا إليه فى إدارة شركة الرشيدى للحلويات ، وكانت مؤسسة ناجحة جدا أنشأها آل الرشيدى فلما أُبعِدَ عنها أصحابها وتولاها مثل هذا الرجل كان لابد أن تخسر ، ومثل هذا حدث فى دور الصحافة ، وإذا كانت دار الأهرام قد نجت من المأساة المالية فإن ذلك يرجع إلى عوامل غير صحفية ، ثم إن الأستاذ محمد حسنين هيكل عندما تولى إدارتها سنة ١٩٦٠ بدأ فى تاريخها عهدا جديدا سعيدا . ومع ذلك فإن إعجابنا بعلى ومصطفى أمين زاد بهذه المناسبة فهما لم يغضبا ولم ينكمشا مع أن الثورة أتعبتهما تعبا شديدا دون مبرر عادل ، بل إن رئيس الثورة وضع مصطفى أمين فى السجن بتهمة لم يصدقها أحد ولا يمكن أن

تصدق عليه وهى الخيانة ، وقد تحمل مصطفى أمين الحكم الظالم فى صبر وكمال ، وأخوه على هرب إلى انجلترا وقد شعرت الثورة بخطئها فى حق الأخوين وأرادت تعويضهما فعهدت إليهما فى رياسة مجلس إدارة الأخبار من سنة ١٩٧٤ إلى ١٩٧٦ .

وبعد أن توفى على أمين نجد مصطفى أمين يترك رياسات مجالس الإدارة والتحرير تماما ويكتفى بالقيام بدوره كصحفى كاتب فواصل كتابة عموده فكرة الذى كان أخوه قد أنشأه فى جريدة الأخبار ، وهنا نجد مصطفى أمين يتألق تألقا بعيدا من ركنه الصغير مما يدلك على أن الصحافة أو الإعلام كله موهبة قبل كل شىء . ثم إن فى قلوب المصريين وفاء أصيلا للمخلصين لمصر ، «وفكرة» مصطفى أمين غزت العالم العربى كله وأصبحت الفكرة موضع إعجاب وحب للأخوين العزيزين . والأعمدة كثيرة جدا فى عالم الصحافة ولكن «عمود» مصطفى أمين يتميز بنظرة بعيدة صادقة ، وإخلاص للحق جميل ، ولا أحد يمسك بجريدة الأخبار إلا بدأ بقراءتها من آخر عمود فيها ـ وهو عمود « فكرة » لأن القارىء يجد هنا عمقا لا يعرفه إلا الذى يبحث عن الحق ، بل إن دار الشرق الأوسط السعودية أخذت « الفكرة » وهى تنشرها مع الأخبار كل يوم .
وفى دار « الأخبار » أنشأ مصطفى وعلى أمين « ليلة القدر » وهى مؤسسة خيرية تتلقى أموال الخير من الناس وتوزعها على المحتاجين بغاية العدل والإنسانية ، وقد تزايد إقبال الناس على «ليلة القدر» حتى أصبح لديها الملايين ، ومصطفى أمين يوزع منها بغاية العدل والإنصاف ، وهذا فضل من أفضاله لاينكره أحد ، ونحن نعرف أن تلك المهام تفرض على صاحبها جهدا كبيرا إلى جانب الأمانة المطلقة ، والرجل اليوم فى السادسة والسبعين من عمره ولكنه يعمل فى دار الأخبار وفى بيته ساعات طويلة كل يوم بغاية الهمة ، وقد أنشأ فى دار الأخبار مؤسسات لذلك العمل الخيرى ، هذا إلى أن عموده اليومى مازال إلى يومنا هذا أنجح عمود يومى فى الصحافة العربية .

هذا وقد أنشأ الأخوان مصطفى وعلى أمين أجيالا جديدة من الصحفيين تميزت بالبراعة الصحفية والبلاغة فى الكتابة واتساع الأفق ، وهؤلاء الصحفيون الجدد منتشرون فى مصر والعالم العربى كله ، وقد ذكرت منهم أنيس منصور ، وسأذكر آخرين فيما بعد ، ولاشك أن الصحافة العربية قبل الأخوين على ومصطفى أمين تختلف عنها

تماما بعدهما ، والسبب فى ذلك راجع أساسا إلى عبقريتهما الصحفية وسيطرتهما تماما على الفن الصحفى ، وقد كتُبت كتب كثيرة عن ذلك الموضوع ، ومع أن الأخوين مصطفى وعلى ليسا من جيل الستينات فانهما ينتميان إلى طراز من الناس لا تستطيع أن تنسبهم إلى جيل معين ، فإن مواهبهما متسعة جدا وأثرهما لاينتهى ، هذا ولم يتسع الكلام للإحاطة بمؤلفات مصطفى أمين ، ورواياته ، وهو هنا غنى جدا ورواياته ناجحة نجاحا واسعا أدام الله بقاءه وزاده صحة وعافية .

صلاح جلال
صحفى ممتاز يدخل الصحافة من باب العلوم

ومادمنا قد بدأنا هذه الحلقة من السلسلة بالكلام عن الأخوين على ومصطفى أمين ، فنكمل الحلقة بالكلام عن بعض أعلام الصحفيين من جيل الستينات ، فقد أنجب هذا الجيل عددا استطاعوا بمواهبهم أن ينقلوا الصحافة فى مصر والعالم العربى إلى مستوى العصر ، لأن عصر الصحف التى كانت تعتمد على اسم كاتب معين مثل توفيق دياب أو عبد القادر حمزة انتهى وجاء بفضل الأخوين على ومصطفى أمين ـ العصر الذى تصبح فيه الصحافة نفسها هى نجمة الصحيفة أو المجلة ، وهنا نجد أنفسنا أمام جيل جديد من الصحفيين الممتازين الذين نهضوا بالصحافة العربية إلى المستوى الراهن ، وإذا كنت أبدأ هنا بالكلام عن صلاح جلال فليس ذلك لأنه أول هؤلاء أو أفضلهم فالحقيقة أنهم متساوون وكلهم ممتازون ، بل ربما كان السبب أنه أسبقهم ميلادا ، فقد ولد بالقاهرة فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٦ وحصل على بكالوريوس كلية العلوم سنة ١٩٥٢ وهو مثال الإعلامى الموهوب الذى تتجه مواهبه وجهده كله وحياته كلها إلى الإعلام ، وبعد تجارب شتى يدخل دار أخبار اليوم سنة ١٩٥٢ محرراً علميا فى الأخبار وأخبار اليوم وآخر ساعة ، وهنا تتجلى مواهبه الصحفية فينتشر اسمه ويكثر قراؤه فى عصرنا هذا ، وهو عصر العلوم فنجده رئيسا لنوادى العلوم فى مصر سنة ١٩٦٧ ثم رئيسا للاتحاد العربى لنوادى العلوم ، ثم سكرتيراً عاما لجمعية أصدقاء العلميين المصريين بالخارج ، ويصبح

فيما بين سنتى ١٩٧١ و ١٩٧٣ رئيسا لتحرير مجلة الشباب وعلوم المستقبل بدار الأهرام وفى سنة ١٩٨١ يرشح نفسه نقيبا للصحفيين وينجح مرتين (سنة ١٩٨١ و ١٩٨٥) وهنا تتجلى مواهبه كمصلح صحفى ، ثم يتولى رئاسة تحرير مجلة عصر العلوم ومجلة الناس والطب ومجلة التنمية والبيئة ، وكل هذه مجلات علمية ، تتطلب فى المشرف عليها مواهب صحفية وعلمية . ثم يتولى رياسة مجلة الصحفى الأفريقى ، ويدخل المجلس الأعلى للصحافة وينتخب رئيسا للجنة الرئيسية فيه ، وهناك يقوم بعمل أساسى فى المجلس الأعلى للصحافة . . وهو هيئة رفيعة من أهل الصحافة والإعلام تنوب عن الحكومة فى الولاية على الصحافة ، لأن الصحافة مستقلة فى مصر اليوم والحكومة لا تتدخل فى شئونها ، بما فى ذلك المحافظة على حريتها ، والدور الذى يقوم به صلاح جلال فى ذلك المجلس لا يقل أهمية عن الدور الذى كان يقوم به أيام كان نقيبا للصحفيين . والرجل واسع النشاط بشكل واضح ، فهو عضو عامل ونشيط فى جمعيات علمية مصرية ودولية ، وهو منذ سنة ١٩٧٢ مستشار اليونسكو لشئون تبسيط العلوم فى الوطن العربى ، وله العديد من المؤلفات العلمية الواسعة الانتشار ، ووظيفته الأساسية فى كل مايشترك فيه من المؤسسات الصحفية العلمية هى تبسيط العلوم ونشرها على أوسع مستوى ، وهى وظيفة عسيرة ، ويكفى أن ننظر إلى باب «علوم» الذى ينشره يوميا فى جريدة الأهرام ، وهو وإن كان بابا صغيرا جدا فإنه عظيم الفائدة جدا ومن كتبه التى لا أنساها كتابه البديع : حول العالم مع الطب والأطباء . وقد توفى صلاح جلال سنة ١٩٩١ .

مكرم محمد أحمد
صحفى مجتهد يعتمد على الصدق والعمل المتصل

الصحافة موهبة مثل الشعر يولد بها الإنسان ويعيش بها ، وهكذا الحال مع مكرم محمد أحمد فقد ولد فى ١٥ يونيو ١٩٣٥ فى منوف بمحافظة المنوفية ودرس فى الكتاب ثم فى المدارس الابتدائية والثانوية ثم التحق بكلية الآداب (قسم الفلسفة) بجامعة القاهرة وبدلا من أن يبحث عن وظيفة تدريس أو أى عمل آخر نجده يتجه بطبعه إلى عالم الصحافة ، وبعد محاولات شتى يدخل جريدة الأهرام محررا للحوادث ثم بقسم التحقيقات الصحفية من ١٩٥٨ إلى ١٩٥٩ ويستلفت الأنظار بعمله المتصل ومواهبه الصحفية ، فنجده فى سنة ١٩٦١ مراسلا لجريدة الأهرام من دمشق ثم يعود إلى القاهرة رئيسا لقسم التحقيقات الصحفية وعضوا فى السكرتارية المركزية لجريدة الأهرام ، ونظرا لأهمية الأهرام كجريدة ، وخاصة بعد محمد حسنين هيكل نجد أن المسئوليات هناك كبيرة وخطيرة جدا ، وقد اتصلت به فى دار الهلال واستوقف نظرى اهتمامه العظيم بالعمل وملازمته له ودقته فيما كان يعطينا من معلومات وتعليمات . وفى يوم من الأيام لم تكن أمامنا فى الأهرام أسماء تعدل أسماء صلاح منتصر ومكرم محمد أحمد إذا احتجنا إلى شىء فى الأهرام . . وهذا يدلك على الاجتهاد والإخلاص فى العمل والإقبال عليه .

وفى سنة ١٩٨١ ينقل مكرم محمد أحمد إلى دار الهلال رئيسا لمجلس الإدارة ورئيسا لتحرير مجلة المصور ، وهى مسئولية صحفية كبرى تلقاها هذا الرجل وهو بعد فى

السادسة والأربعين من عمره ، ودار الهلال مسئولية كبرى لأنها تضم إلى جانب المصور مجلات أخرى كثيرة مثل حواء والكواكب ومجلة الهلال وروايات الهلال وكتاب الهلال ، وكلها كانت فى مشاكل قبل أن يتولى مكرم محمد أحمد مسئولياتها ، ولكنه أقبل على العمل بإقبال كبير وتفاؤل عظيم ، وقد استطاع أن ينهض بالمصور ، وهى مجلة مصرية عريقة لها تاريخ طويل منذ أن كان يتولى رياسة تحريرها فكرى أباظة الكاتب الصحفى والسياسى المصرى المعروف ، ولكن التأميم ألحق بدار الهلال أضرارا جسيمة ، فإن أميل زيدان كان ماهرا جدا فى إدارة هذه الدار والمحافظة على حب الناس لها وإقبالهم عليها ، وقد بذلت السيدة أمينة السعيد أقصى ما استطاعت للمحافظة على المصور ، ولكن المنافسة من جانب مجلة «آخر ساعة» ثم مجلة أكتوبر كانت ومازالت عظيمة . ولكن مكرم محمد أحمد كاتب ماهر وصحفى كبير وعنده إحساس مرهف بالفكر المصرى ، وهو كل أسبوع يكتب مقالا رئيسيا فيه حيوية وجرأة وشجاعة ، وهو ينجح فى غالبية الأسابيع فى اختيار الموضوع الذى يشغل بال الجماهير وينجح فى علاجه ، وتعمل معه فى المصور مجموعة ممتازة من الصحفيين المجربين كان على رأسهم الأستاذ الصحفى القديم ــ نوعا ــ صبرى أبو المجد رحمه الله ، وأنا عندما أريد أن أعرف الموضوع الرئيسى الذى يشغل بال المصريين فإننى أقرأ مقال مكرم محمد أحمد وأنظر فى موضوعات المصور وقد توفى صبرى أبو المجد فى أغسطس ١٩٩١ .

وفى سنة ١٩٨٩ ينتخب مكرم محمد أحمد نقيبا للصحفيين ، وهى مسئولية كبرى ولكنه ينهض بها بنجاح كبير ، هذا إلى جانب عضويته للمجلس الأعلى للصحافة وهذه أيضا مسئولية كبرى تدلك على أن العمل الصحفى فى مصر يستغرق صاحبه استغراقا تاما ويتطلب منه عملا متصلا ، وذلك يسر الصحفى ويسعده ، ولكنه كذلك يثقل كاهله بالمسئوليات ويرهقه .

- **عبد العزيز صادق**

رجل موهوب فى الفن الصحفى

ورجل إعلام واسع النشاط والعمل

- **عبد المنعم أبو العزم**

ومستقبلنا الصناعى

- **على الراعى**

أساس من أسس المستقبل السعيد لمصر

- **صلاح منتصر**

رجل ولد ليكون صحفيا

عبد العزيز صادق
رجل موهوب فى الفن الصحفى ورجل اعلام واسع النشاط والعمل

وأختتم هذا الفصل من تلك الدراسة بالكلام عن صحفى رئيسى يشغل اليوم مسئولية مدير تحرير مجلة أكتوبر ، وأنا أتخيره لكى أقول للقارىء إن المسئولية فى أى مجال من مجالات الصحافة تعتمد أساسا على رئيس التحرير ، ولكن رئيس التحرير فى حاجة إلى معاونين معه ممن يتقنون العمل الصحفى أولا ، ويملكون القدرة الإدارية والتنظيمية ثانيا لأن العمل الداخلى فى أية مجلة يحتاج إلى جهد عظيم وموهبة أصيلة فى الترتيب ، لأن الصحفيين يعمل كل منهم فى دائرته ، وجهودهم كلها تنصب فى إدارة التحرير ، وإدارة التحرير هى التى تقرأ وتختار وتنظم وتتفاهم فى كل خطوة مع رئيس التحرير ، وعبد العزيز صادق من خيرة من يقومون بهذه المهمة .

فإن تجربته الإدارية والصحفية طويلة متنوعة ، فقد ولد بمحافظة الدقهلية ١٤ أكتوبر ١٩٢١ وبعد محاولات لدراسة الفنون يدخل الكلية العسكرية ويتخرج فيها سنة ١٩٤٠ ثم يحصل على ماجستير العلوم العسكرية سنة ١٩٥٢ ، ثم يدرس القانون ويحصل على ماجستير العلوم السياسية سنة ١٩٥٥ من حقوق القاهرة ، ويعمل بسلاح المدرعات منذ تخرجه فى الكلية العسكرية إلى سنة ١٩٥٥ .

ثم يتجه إلى الصحافة فيعمل مديرا للتحرير ثم رئيسا للتحرير فى مجلة التحرير . ثم ينتقل إلى دار الجمهورية حيث يعمل محررا سياسيا إلى سنة ١٩٦٣ ، ويتولى مسئوليات صحفية كثيرة حتى ينتهى إلى مجلة أكتوبر حيث يحتل مسئولية مدير التحرير منذ إنشائها عام ١٩٧٦ ، وهو يقوم بهذه المهمة بترتيب عظيم وتوازن فكرى ظاهر ، وقد عملت سنوات طويلة فى الصحافة ونادرا ماعرفت رجلا مركزا حاضر الذهن ماهرا فى الإدارة مثله . وهو يحمل مسئوليات إعلامية كثيرة أخرى إلى جانب ذلك ، ومن أسف فإن المجال لايسمح بذكرها كلها ، ثم إنها كلها معروفة به ، وهو معروف بها ، ولكن لابد من الإشارة إلى المسئوليات الكثيرة الأخرى التى يفرضها عليه عمله فى الصحافة والإعلام ، لأن الصحافة عمل مستبد يستغرق جهد صاحبه ووقته تماما ، فالرجل دخل البرلمان نائبا مرة عام ١٩٥٧ وأخرى عام ١٩٦٠ وهو عضو فى نقابة الصحفيين ومساعد للأمين العام لاتحاد الأدباء العرب وسكرتير عام اتحاد كتاب مصر ، وكاتب إذاعى له برنامج منتظم ومتصل منذ سنة ١٩٦٨وهو برنامج ممتع يقبل عليه الناس. ومن هذا كله ترى أن عبد العزيز صادق مجهد جدا مثله فى ذلك مثل كل الصحفيين الأساسيين .

عبد المنعم أبو العزم
ومستقبلنا الصناعى

عبد المنعم أبو العزم ، عالم يعمل وينظر دائما إلى بناء الصناعة فى مصر على أساس علمى ، واضح أن مصر تعانى فى عصرنا الحالى أزمة مالية مرهقة ولابد أن نضيف هنا أن العالم كله بما فى ذلك الدول التى استكملت وسائل النمو والدول التى نسميها بالكبرى تعانى نفس الأزمة ، ولكن الأزمة تتناسب فى كل بلد من هذه مع مركزها فى الدنيا ومطالبها منها ونظرتها إلى المستقبل ، فانجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا والروسيا والولايات المتحدة كلها تعانى ، ولكن طبيعة المعاناة تختلف من بلد إلى بلد وكذلك يختلف حجمها ، والولايات المتحدة كلها تعانى ولكن طبيعة المعاناة تختلف من بلد إلى بلد ، وكذلك يختلف حجمها ، والولايات المتحدة بصفتها الدولة الكبرى فى العالم اليوم تعانى أكثر من غيرها لأن مطامعها أكثر من مطامع غيرها خاصة أن منافستها روسيا دخلت فى تطور شامل يقوده جورباتشوف ، وغرضه من ذلك التطوير هو الخروج بالاتحاد السوفيتى من نطاق الشيوعية الذى وضع روسيا فى موضع الاتهام من الدنيا كلها ، ثم إن أكثر من عشرة من الجمهوريات التى يتكون منها الاتحاد السوفيتى وعددها خمس عشرة جمهورية تكلف الاتحاد السوفيتى أكثر مما تعطيه ، وهى من هذه الناحية عبء لاقوة ، وعندما تخلى الاتحاد السوفيتى عن دول شرق أوربا ومنها ألمانيا الشرقية كان يقصد التخلص من عبء هذه الدول وتركيز الاهتمام أساسا على

الجمهوريات الروسية الثلاث ، وهى : روسيا وروسيا البيضاء والأوكرانيين ، وإزالة العوائق التى تمنع الاتحاد الروسى المكون من هذه الجمهوريات الثلاث من دخول اتحاد غربى أوروبا المتحالف مع الولايات المتحدة ـ لأن جورباتشوف قدر وهو على حق أن روسيا لن تستطيع مواجهة غرب أوروبا والولايات المتحدة معها خاصة أن الاثنتى عشرة جمهورية سوفياتية المضافة إلى جمهوريات روسيا الثلاث تكلفها أكثر مما تعطيها ، وفى المعركة الحاسمة القادمة لا تضمن روسيا النصر إذا استمرت تحمل على أكتافها هذه الجمهوريات ، ومن بينها جمهورية ألمانيا الشرقية ـ وكانت هذه الجمهوريات تمثل فيما مضى مساحة جغرافية رئيسية فى الصراع وجاءت الحرب النووية وهبطت بأهمية المساحات الأرضية فى الصراع أو قل ألغتها .

وما كان جورباتشوف ليصل إلى هذا التفكير البالغ الجرأة إلا إذا كان عبقريا واسع الذهن جرىء القلب ، وهو بلا شك أوسع ذهنا وأجرأ قلبا من أجيال السوفييت التى سبقته وعاصرته وأرادت أن تسير الاتحاد السوفيتى إلى الأبد فى خط لينين وستالين ، مثل هذا الكلام أريد أن أقوله عن مصر فإننا ماكنا لنستطيع السير إلى الأبد فى خط عبد الناصر أو خط السادات ، وكل من هذين الزعيمين قام بدوره فى عصره ، والعصران أفادا مصر فى وقتهما ولكنهما خلفا لنا هذا العبء الباهظ من الديون ، وقد تخلص السادات من روسيا لكى يضمن النصر فى حرب ١٩٧٣ وارتمى بين ذراعى الولايات المتحدة . والولايات المتحدة رحبت بذلك وقدمت إلى مصر المال ، والمال قد حل بعض مشاكل مصر ، ولكنه لم يمس مشاكل أخرى ، ثم إنه يتحول مع الزمن إلى عبء ثقيل ولابد من التخلص منه إذا أردنا الاستمرار فى النهوض ، وهذه هى مهمة جيل الستينيات ، لان مصر بلد رئيسى من بلاد العالم ، ثم إن موقعنا الجغرافى خطير ، ولكن المشكلة الكبرى تأتى من ناحية إسرائيل ، هذه الدولة غير الطبيعية التى قامت على أرض فلسطين وخطتها هى التوسع فى البلاد العربية والتوسع فى الأراضى العربية يقضى نهائيا على كل ميزات مصر الجغرافية والتاريخية والقومية ، فعلى الرغم من صلح كامب ديفيد فإن هذه هى النية الواضحة والمعلنة أيضا لإسرائيل .

وجيل الستينيات الذى أتحدث عنه يشعر بذلك ويعمل على النجاة بمصر من أخطاره ، وكل الذين ذكرتهم إلى الآن يعملون لتخليص مصر وعالم العرب من هذا الخطر ، كل على طريقته ، واليوم أتحدث عن زعيم كبير من زعماء الستينيات وهو عبد المنعم أبو العزم على أبو العزم ، وهو رجل علوم وصناعة وجهده موجه إلى الناحيتين اللتين تعتبران سلاحين فى المعركة وهما العلم والصناعة .

ولد عبد المنعم أبو العزم بمحافظة الغربية فى ١٧ فبراير ١٩٢٢ وتخرج فى كلية العلوم بجامعة القاهرة سنة ١٩٤٤ ، وفى سنة ١٩٥١ حصل على الدكتوراه فى العلوم ، ولكن اتجاهه الرئيسى كان الصناعة ، وكل دراساته التى ذكرناها إلى الآن كانت غايتها التأهل لخوض ميدان الصناعة ، ولهذا فبعد أن حصل على دكتوراه العلوم سافر إلى انجلترا ودرس التكنولوچيا وحصل على الدكتوراه فيها من كلية الهندسة بجامعة شفيلد فى انجلترا ، وكان بعد تخرجه فى كلية العلوم سنة ١٩٤٤ قد شغل وظيفة معيد للعلوم بجامعة الإسكندرية ، ووظيفة المعيد هنا بالنسبة له كما هى بالنسبة لغيره ممن هم على مثاله خطوة طبيعية وبدونها كان لا يستطيع السفر فى بعثة إلى انجلترا ، واستمر فى هيئة التدريس بجامعة الإسكندرية حتى انتدب سنة ١٩٤٦ كيميائيا بمصانع النحاس ومدير المعمل بمصانع ياسين للزجاج (١٩٤٦ ـ١٩٤٩) وبذلك يكون قد وضع قدمه فى عالم الصناعة ، وسافر إلى انجلترا ، كما قلنا وعاد إلى مصر سنة ١٩٥٤ فبدأ يسير فى عالم الصناعة علما وعملا ، ومن ١٩٥٤ إلى ١٩٦٢ كان مشرفا على البحوث فأستاذا مساعدا بالمركز القومى للبحوث ، ومن ١٩٦٢ كان أستاذا ورئيس قسم بالمركز القومى للبحوث واتجاهه فى أثناء ذلك كله مركز على صناعة الزجاج فى مصر ، وفيما بين سنتى ١٩٦٨ و ١٩٧١ كان مديرا لمعهد بحوث البناء ، وتقلب فى وظائف العلوم ومسئولياتها حتى أصبح فيما بين سنتى ١٩٧٣ و ١٩٧٩ رئيسا لأكاديمية البحث العلمى والتكنولوچيا ، وهى أكبر وظيفة علمية صناعية فى مصر ، وفيها حقق الدكتور عبد المنعم أبو العزم أقصى ما استطاع تحقيقه فى عالم العلوم الصناعية المصرية لولا أن اعترضته أحيانا صعوبات المسئوليات الحكومية فى مصر . ومن حسن حظنا أنه عين فى سنة ١٩٧٩ أمين شئون البحث العلمى والتكنولوچيا بالمجالس القومية المتخصصة وهى من أكبر

المسئوليات العلمية والصناعية فى مصر ، ومن وظيفته تلك يستطيع الدكتور أبو العزم أن يقدم لمصر خدمات كبرى ، خاصة وهو من أوسع أهل مصر ثقافة وعلما ، وإذا كانت المجالس القومية لاتملك سلطة التنفيذ فإنها تملك قوة إبداء الرأى والتوجيهات فى شئون الدولة ، وهو رجل عامل نشيط وناجح فى هذا الاتجاه القومى الحيوى ، وقد نشر إلى الآن فى مصر وخارجها أربعين بحثا فى مجال الزجاج والسيراميك ومواد البناء . ونظره متجه دائما إلى الصناعة فى مصر وبنائها على أساس علمى .

علي الراعي
أديب ومفكر مصرى من الطراز الأول

يتميز الرجال والنساء الذين اخترهم من جيل الستينيات وأعتقد أنهم هم الذين يكتبون تاريخ مصر اليوم والغد بالثبات والجهد المتصل على طول الحياة ، فالواحد منهم نجده ثابتا متوازنا ملتزما من ساعة التخرج فى الدراسة إلى يومنا هذا ، ولابد أن أضيف هنا أننى عندما أقول جيل الستينيات فليس معنى ذلك أن الرجل لابد أن يكون قد فرغ من دراسته وبدأ معركة الحياة فيها بين سنتى ١٩٦٠ و ١٩٧٠ ، فمن الممكن أن يكون قد ولد حوالى ١٩٢٠ وتخرج فى النصف الثانى من الخمسينات أو أوائل السبعينيات ، لأن حياة البشر لاتحتمل هذا التفريق الدقيق فى تواريخ الأجيال ، فأجيالنا كلها متلاحقة متداخلة ، ولكن مصطلح الستينيات جرى على الألسنة وأخذ به الناس فى بعض الميادين مثل الأدب والمسرح ، وعندما نظرت فى تاريخ مصر فى عصرنا وجدت أن مفهوم الستينيات موجود وفعال فى كافة الميادين الأخرى ، وتبينت إلى جانب ذلك أن الصالحين من أبناء هذا الجيل يصنعون مصر اليوم ، ومصر الغد ، وكان فى ذهنى دائما من أبناء ذلك الجيل على الراعى وأمثاله من المؤمنين بمصر الصادقين من ذوى القلب الأبيض والأيادى البيضاء ، وهذا الرجل على وجه التحديد أستاذ أدب وناقد أدبى ومسرحى ، وقد تخصص فى الأدب الإنجليزى ، ولكن هذا التخصص لايمنع من القول إنه متخصص أيضا فى الفكر العربى ، بل فى الفكر الإنسانى كله ، وفى أحاديثى معه لا أذكر

أن الكلام تناول موضوعا يجهله هو تماما . لأن على الراعى مواطن مصرى أولا ، ولكنه فى نفس الوقت مواطن فى الدنيا كلها ، وهذا هو طراز الرجال الذين لاتستغنى عنهم مصر ، لأن مصر تحتل موقعا خطيرا ، فى هذا الكوكب ، وإذا كانت حدود تفكير الحكومة المصرية لاتتجاوز حدودنا الجغرافية فإن حدود تفكير الشعب المصرى لابد أن تشمل الدنيا كلها ، لأننا بالفعل نعيش فى خطر دائم ، لا نستطيع اليوم أن نعيش كما كان أجدادنا يعيشون ، أى نغلق عيوننا وندع الحوادث تجرى ، لأن العالم تغير تغيرا خطيراً والإنسانية أصابها نوع من الوحشية يجعل الشعوب يعتدى بعضها على بعض عدوانا خطيرا مخربا ، وهذه هى شعوب مثل أفغانستان وكوريا وتايلاند ولاوس والفيتنام تجتاز مراحل صراع بين الوجود واللاوجود ، والأطفال هناك لم يعودوا أطفالا ، لأن الخطر يشمل الشعب كله بكل أعماره ، وإذا كان الكبار يقاتلون فإن الصغار أيضا لابد أن يقاتلوا ، وهذا هو الذى نسير نحن نحوه لأننا لم نعرف فى تاريخنا عدوا مثل اسرائيل ، أى عدو يريد أن يلتهم ويفترس ، وقد تحصن بتسلح خطير ، وبهذا التسليح يظن أنه لابد أن يخرب المنطقة العربية كلها ، وعلى أساس الحرب والتوسع والقضاء على جيرانه يبنى نفسه ، ومن هنا فمهما كانت توقعات المسئولين عندنا فإن حرب التخريب هذه قادمة ولاشك . والشعب المصرى ينبغى أن يكون مستعدا لها على نفس المستوى الذى استعده الرئيس السادات للخروج من اللاحرب واللا سلم الذى كان يهددنا بأسوأ الأخطار ، فقام السادات بتجنيد كل ملكات المصريين وتعليم الشعب كله كيف يدخل حالة الحرب ويخرج منها منتصرا ، ومن النصر انتقل إلى مرحلة السلام ، وهذا هو الذى خرجت به من القراءة الدقيقة لمذكرات الفريق الجمسى ، وهى بلا شك وثيقة لابد أن يعيها كل مصرى مسئول أو غير مسئول . وعلى الراعى من المصريين الذين لايتولون اليوم وظيفة حكومية ولكنهم يحملون دائما مسئولية قومية مصرية ، وهكذا كان ، وهكذا سيكون عمره كله .

وبعد أن حصل على الراعى على درجة الدكتوراه من جامعة برمنجهام ١٩٥٥ عاد إلى مصر ودخل جامعة عين شمس مدرسا للأدب الإنجليزى ، وكان قد انتدب قبل ذلك إلى الإذاعة مذيعا ، ثم أصبح كبيرا للمذيعين ومخرجا إذاعيا (١٩٤٣ ـ ١٩٥٠) وكان

لهذه الفترة أثر بعيد جدا فى حياته لأنها جعلته فى مركز المسئولية القومية ، وفيها نما شعوره بالمسئولية ، ودخل عالم الصحافة وأصبح رئيسا لتحرير مجلة المجلة ، وكانت إذ ذاك المجلة الأدبية الأولى فى مصر ، وإن كانت تبعتها للحكومة قد أضعفتها وقضت عليها فى النهاية . وفيما بين سنتى ١٩٥٩ و١٩٦٨ كان على الراعى رئيسا لمؤسسة المسرح والموسيقى ، وكانت إذ ذاك من أخطر المسئوليات المصرية ، لأننا كنا نجتاز إذ ذاك مرحلة التوسع المسرحى الواسع الذى يتحدث عنه كل الناس إلى يومنا هذا ، وخلال هذه الفترة عرفته وجذب انتباهى بثباته وكياسته وقدرته على حمل المسئولية القومية .

ومن هناك ينتقل على الراعى أستاذا لمادة الأدب المسرحى فى جامعة الكويت ، وهذا العمل أعطاه الفرصة ليعود إلى أستاذية الأدب الإنجليزى ، فقد تولى رياسة قسم اللغة الإنجليزية هناك وقاده قيادة موفقة ، وعندما انتهى عمله فى الكويت وعاد إلى مصر سنة ١٩٨٢ لم يعد إلى خدمة الحكومة ، ولكنه ظل خادما لمصر كلها لا فى ميدان الأدب وحده بل فى كل ميادين المسئولية القومية ، لأن التجربة الواسعة التى خاضها أعطته شعورا قوميا واسع المدى ، ومازال الرجل إلى يومنا هذا عمادا أساسيا من عمد المسئولية القومية فى بلادنا ، يتحدث فى شتى الموضوعات عن علم وثقة فى النفس واطلاع واسع وهدوء ، وهذا هو الذى يجعل له مكانا هنا بين المسئولين عن بناء مصر والعالم العربى اليوم وغدا .

ومعظم مؤلفات على الراعى ــ وهى كثيرة ــ تقع فى ميادين الأدب والأدب المسرحى والمسرح ، وفيها تحس أنك مع رجل يعرف الدنيا كلها معرفة مباشرة ، وهذه المعرفة تجعله مسئولا أو واحدا من المسئولين عن هذا الوطن مسئولية مباشرة ، أيضا عن مصر وحاضرها ومستقبلها .

وإذا أردنا أن نعبر عن المركز الذى يحتله على الراعى فى مصر اليوم شبهناه بمسئولية العباقرة المصريين فى جيل العباقرة ، أى أنها مسئولية مصرية وعربية مطلقة .

صلاح منتصر
رجل ولد ليكون صحفيا

فى عصرنا هذا ظهرت وظائف لم تكن تخطر على بال أحد فى الماضى : الصحافة مثلا ، التى تعتبر من أعاظم الأعمال والتخصصات فى عصرنا لم تكن تخطر على بال أحد . كل الناس تعشق الأخبار وناقل الأخبار ، ولكن أحدا لم يفكر فى أن يكون هناك ناس وظيفتهم الأساسية هى نقل الأخبار، ولم يكن أحد يفكر طبعا فى أن يكون هناك فى يوم من الأيام معهد صحافة ، أى مدرسة عليا وظيفتها تخريج أولئك الرجال الذين سيكون عملهم فى الحياة هو نقل الأخبار أو تحليلها .

ونحن فى مصر عرفنا فى عصرنا الحديث رجلا خلقه الله ليكون صحفيا ، وهو عبد الرحمن الجبرتى الذى عاش للأخبار ، ومات بسبب الأخبار ، كانت وظيفته فى الحياة هى جمع الأخبار وتدوينها . ومن حظه أن الفرنسيين غزوا مصر فى أيامه وتنبهوا له وحاولوا كسبه إلى جانبهم فرفض . وعندما تولى محمد على أمر مصر تنبه له وحاول كسبه إلى جانبه ولكنه لم يستجب ، والرجل كتب لنا تاريخ مصر الحديث فى دقة لا تصدق ، ومحمد على لم يغفر له قول الحق فقتله . قتل الجبرتى وهو عائد إلى القاهرة من قصر شبرا .

ومن أوائل المصريين الذين تنبهوا للصحافة وحاولوا أن يكونوا صحفيين محمد صلاح

منتصر ، من مواليد القاهرة فى أغسطس ١٩٣٣ ، وكان شابا مجتهدا من أسرة متوسطة فى دمياط ، وأسرته كانت تريد أن يدرس الطب ، وربما الهندسة ، ووالده صارحه بذلك ، ولكنه دخل كلية الحقوق فى جامعة عين شمس وتخرج سنة ١٩٥٦ ، وبدلا من أن يلتحق بمكتب محام أو بالنيابة العامة نجده يمارس العمل الصحفى فى مجلة آخر ساعة ، لأن الصحافة كانت تجرى فى دمه . ومن أول دخوله كلية الحقوق نجده يدون الأخبار ويجمع المقالات ويسجلها فى دفاتر . ويختصر المقالات التى تعجبه ويدونها فى دفاتر أخرى ، وقد عرفنا فيما بعد أنه كان يمارس العمل الصحفى فى بيته منذ المرحلة الثانوية ولدينا أخبار دونها وعمره ١٤ سنة ، واتخذ الصحافة مهنة وعمره عشرون عاما ، أى وهو فى أواخر الدراسة فى كلية الحقوق وعندما أنشأ الأخوان على ومصطفى أمين مجلة أخبار اليوم أخذاه معهما وسنه كانت عشرين سنة ، كان ذلك سنة ١٩٥٣ ، وقد تبين الأخوان على ومصطفى أمين أنهما أخذا مؤسسة صحفية لا مجرد صحفى . كان يعرف كل شيء ويراجع دفاتره عن كل شيء واشتهر اسمه فى الأسرة الصحفية ، وأخذته جريدة الأهرام سنة ١٩٥٨ رئيسا لقسم التحقيقات الصحفية ، ثم أصبح سكرتيرا للتحرير فمساعداً لرئيس لتحرير ، وكان آخر مناصبه فى الأهرام وظيفة مدير للتحرير منذ عام ١٩٧٩ . وأنا عندما كنت أحتاج إلى شيء من جريدة الأهرام لم يكن أمامى إلا صلاح منتصر ، وكنت أذهب إليه فأجده مشغولاً ولا يستطيع أن يجلس معى ، لأن كل الاقسام تطلبه ولكنه كان يأتينى بما أريد ويمضى إلى حيث كانوا يطلبونه ، وأنا أقرأ ما أعطانى وأنقل منه ما أحتاج إليه وانتظر حتى إذا عاد طلبت منه شيئا آخر . واعطيته ما كان أعطانى ، ويذهب ويعود إلىَّ بما طلبت ويعطينى اياه ويمضى ، وأمضى فى القراءة وأنا واثق أن هذا هو الحق .

وهو أول صحفى مصرى يتخصص فى أخبار البترول ودراساته وتستطيع أن تتبين ذلك من كتابه القيم «حرب البترول الأولى» فبراير ١٩٧٥ وهو على صغر حجمه دائرة معارف عن البترول . ولا أعرف فى العربية دراسة عن البترول مثل الفصل الأول من هذا الكتاب وعنوانه «عالم من البترول» وهو يقول فى تقديمه : «فجأة اكتشف العالم نفسه : عالم من البترول ٤٠٠٠ منتج يخرج من البترول ـ وآبار ملح الطعام تقود إلى

كشف البترول أول اكتشاف للبترول وأول استخدام له ــ إنتاج البترول بدأ بسبب الكيروسين ــ محرك جديد يكشف الحاجة إلى البنزين ــ مليون طن من مائة سنة واليوم ٢٨٠٠ مليون طن» ، وهذه كلها ليست مجرد عناوين بل دراسات ، وأنا قرأتها أكثر من مرة وأخذت منها فوائد لا تقدر ، لأن الرجل دقيق جدا فى كل شىء . ومن كلامه فيه (ص ٨) ذلك أن البترول يعنى السيارة والقطار والطائرة والدبابة والسفينة وفرن البوتاجاز ، والسخان والجرار الزراعى . وقد كان الكثيرون يجهلون العلاقة بين البترول والكهرباء . ثم كما لو أنهم اكتشفوا فجأة تلك العلاقة وعرفوا ان ٦٠ ٪ من محطات توليد الكهرباء تدار بالبترول ، وأنه ليس هناك كهرباء بدون بترول . وبقية الكتاب على هذا الأسلوب الممتع . وابتداء من الفصل الثالث (ص ٣٩ ومابعدها) يدخل الكتاب فى تاريخ البترول فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ويصبح كتاب تاريخ اساسياً بالنسبة للعرب . وهو يعرف بهذا الفصل بقوله : « البترول يدخل الحرب : يعرض هذا الفصل لكل الاجتماعات والاتصالات التى دارت منذ يوم ١٧ اكتوبر سنة ١٩٧٣ بين الدول العربية ، والمواقف المختلفة لهذه الدول فى اطار استخدام بترولها فى المعركة . إنه وثيقة البترول العربى فى الحرب البترولية الأولى» وكل هذا الفصل وثائق وخاصة فيما يتعلق بأول اجتماع رئيسى لوزارة بترول الدول البترولية العشر فى الكويت ، وقد حضره أحمد زكى يمانى وزير بترول السعودية . وعبد الرحمن العتيقى وزير بترول ومالية دولة الكويت ، وعز الدين المبروك وزير بترول ليبيا وبلعبد عبد السلام (الجزائر) ومانع سعيد العتيبة (وزير بترول دولة الإمارات العربية) وعبد العزيز الخليفة (قطر) ويوسف شيراوى (وزير التنمية فى دولة البحرين) وسعدون حماد (وزير بترول العراق) وأحمد عز الدين هلال (وزير بترول مصر) وجابر الكفرى (سوريا) .

وصلاح منتصر دمياطى ، وفيه لمسة العبقرية التى نجدها فى الكثير من الدمياطيين وقد درس المرحلة الابتدائية فى دمياط والمرحلة الثانوية فى المدرسة التوفيقية فى القاهرة واكمل دراسته فى كلية الحقوق وقد اشتغل فى كل المجالات الصحفية وأنشأ فى كل دار صحفية عمل فيها بابا ناجحا ، ومن أشهر أبوابه : عالم من بترول ، ومجرد نصيحة ، ومجرد رأى (فى جريدة الأهرام) ومجرد سياسة .

وهو يكتب فى الأهرام يوميا مقالا صغيرا فى باب مجرد رأى ويتولى مجلة أكتوبر أنجح مجلات العالم العربى من فبراير ١٩٨٥ وهو رئيس تحرير المجلة ورئيس مجلس إدارة دار المعارف والمؤسستان من أنجح المؤسسات الثقافية والصحفية فى مصر ، وأمثال هذا الرجل يزينون الصحافة العربية لا بالعلم والخبر فى الصحافة فحسب بل بالأخلاق الكريمة والصدق والشهامة والوطنية .

وكان متزوجا من صحفية جليلة هى السيدة نادية عبد الحميد التى كانت من أنجح الصحفيين فى جريدة الأهرام ومصر كلها ولكنها مرضت واختارها الله إلى جواره وهى فى زهرة شبابها فى فبراير ١٩٩١ رحمها الله رحمة واسعة ، وأنا أدعو لها هنا وأشيد بها إشادة بكل صحفيات مصر والعالم العربى .

- **مصطفى الفقى**

رجل يحمل مسئولية قومية كبرى

تعتمد على علم غزير

- **زكى مصطفى زغلول**

أستاذ فى الجيولوجيا عالم بكل ما تضمه أرضنا ، وحماية لمستقبلنا من الأخطار.

- **محسن محمد**

صحفى كبير ومؤرخ أكبر

د. مصطفى الفقى
رجل يحمل مسئولية قومية كبرى تعتمد على علم غزير

عندما تجد مواطنا يحمل مسئولية خطيرة مثل سكرتارية السيد رئيس الدولة للمعلومات والمتابعة فإن ذهنك يتجه بالطبيعة إلى حياته قبل الوصول إلى هذا المركز الكبير ، فليس من السهل أن يصل الإنسان إلى مثل هذه الوظيفة . ثم إن البقاء فيها وحمل مسئوليتها بنجاح أصعب من الوصول إليها ، ولهذا فإننى عندما رأيت أن مصطفى الفقى لابد أن يعد فى الظاهرين من أصحاب المسئوليات فى جيل الستينات كان ذلك معتمدا على معرفتى بماضيه لأن ماضيه هو الذى وصل به إلى مركز المسئولية وهو الذى يعينه على القيام بمسئولياتها اليوم .

ولد مصطفى محمد الفقى فى ١٤ نوفمبر ١٩٤٤ فى محافظة البحيرة وتخرج فى كلية الاقتصاد والعلوم الاقتصادية بجامعة القاهرة سنة ١٩٦٦ ونلاحظ أنه كان يتمتع بقيادة شبابية بين إخوانه الطلاب فى سنوات الدراسة ، وهذه القيادة تغرس فى صاحبها شعورا بالمسئولية العامة إذا مارسها صاحبها عن صدق وإيمان وإخلاص ، وهى حالتنا هذه ، وهذا لاشك كان له أثر فى دخوله السلك السياسى ، فنجده سنة ١٩٦٦ ملحقا

دبلوماسيا فى وزارة الخارجية ، وخدم فى سفارتنا فى لندن واستمرت دراسته هناك حتى حصل على دكتوراه فى الاقتصاد والعلوم السياسية من مدرسة الأبحاث الشرقية والأفريقية بجامعة لندن سنة ١٩٧٧ .

وهذه الدرجة العلمية الكبيرة رشحته للعمل فى شتى إدارات وزارة الخارجية ، وكان قد تولى أثناء عمله فى لندن قنصليتنا فى لندن سنة ١٩٧١ حتى سنة ١٩٧٦ وكان سكرتيرا ثانيا لسفارة مصر فى لندن ، ولكن العمل الذى ساعده مساعدة مركزة ومباشرة على تكوينه السياسى هو عمله مستشارا لسفارة مصر فى نيودلهى بالهند (١٩٧٩ ـ ١٩٨٣) لأن الهند دولة كبرى حجما ولكن مشاكلها كثيرة جدا لأن نيتها حول جارتها باكستان وسيلان (وهى اليوم سيريلانكا) سيئة جدا ، فأما باكستان فقد انتزعت منها فى فترة انقسام شبه الجزيرة بينهما منطقة جموكشمير ، مع أن كشمير فى نظام التقسيم نفسه داخلة فى الباكستان وحرف الكاف فى اسم باكستان يشير إلى كشمير ، ثم إن الغالبية العظمى من أهل كشمير مسلمون ، ولكن الهند وضعت يدها عليها بالقوة ، ووقعت الحرب بسببها بين الجانبين وتوقفت الحرب باتفاقية هدنة مازالت سارية إلى اليوم ، ثم إن الهند استعملت الخلاف بين قسمى باكستان الشرقى والغربى واستغلته استغلالا سيئا ، فإن الباكستان لم تحسن سياسة القسم الشرقى من بلادها ، وبمسعى الهند وقعت الحرب بين الجانبين وقامت بنجلاديش وهى بلد مسكين منذ ميلاده ، وأما سيرى لانكا فكانت تقاسى منذ سنوات طويلة مأساة أقلية هندية تاميلية الأصل فى شمالها ، والتاميل كانوا هنودا فى الأصل ولكنهم أخذوا جنسية سيرى لانكا ، ثم اتجهوا بعد ذلك إلى الانفصال عن حكومة كولومبو ، وطالبوا بالاستقلال وإنشاء حكومة تاميلية مستقلة قاعدتها ترينكومالى ، ولاشك فى أن الهند ساعدت على ذلك أول الأمر ولكنها عندما وجدت أنه لا أمل فى قيام دولة تاميل المستقلة سعت فى معاونة سيرى لانكا لعقد صلح بين الجانبين يضمن سلامة التاميل .

والمهم بالنسبة لكلامنا عن مصطفى الفقى أن نقول إن العمل فى نيودلهى أعطاه فكرة طيبة جدا عن الأقليات ، ومايمكن أن تسببه من المتاعب لنفسها والحكومة المركزية إذا هى أساءت التفكير واتجهت إلى الخلاف ، وهذا واضح من كتابه عن الأقباط والسياسة

المصرية الذى نشرته دار الشروق وكتابه التالى عن الشعب الواحد والوطن الواحد الذى نشرته الأهرام وهو من أنفع مايقرأ المصرى اليوم عن مصر وأهمية الوحدة بالنسبة لبقائها قوية وسط الأمم ، ورجل يكتب مثل هذا الكلام الممتاز جدير حقا بأن يكون سكرتيرا لرئيس الجمهورية للمعلومات والمتابعة لأن رياسة مصر اليوم مسئولية خطيرة جدا بالنسبة لمصر والعالم العربى أولا ، بالنسبة للسياسة العالمية فى مجموعها وبالنسبة لأفريقيا بصورة خاصة ، وينبغى ألا نظن أن المسئولية قليلة بسبب مايتميز به الرئيس حسنى مبارك من الهدوء والثبات فى التفكير والكلام والتصرف فهذا طبعه ، وهذا الطبع نعمة علينا ولكنه يعتمد أساسا على ثقته فى نفسه ومعلوماته ، وهنا تتبين لنا أهمية سكرتاريته للمعلومات والمتابعة ، وهى المسئولية الخطيرة التى يتولاها بنجاح كبير مصطفى الفقى .

وإلى جانب هذه المسئولية الكبيرة وما تلمسه فى كتبه من علم غزير فإن الرجل يحمل مسئوليات أكاديمية كثيرة ، فهو محاضر متمكن فى عدد من الجامعات ومشارك فى لجان مناقشات رسائل الدكتوراه إلى جانب قيامه حاليا بالتدريس فى مادة العلوم السياسية فى الجامعة الأمريكية فى القاهرة ، هذا وجدير بالذكر أن وظيفة سكرتير الرئيس تتيح لصاحبها فرصا عظيمة لحضور المؤتمرات وخاصة مؤتمرات القمة فهو يحضرها منذ سنة ١٩٨٥ وهذه المؤتمرات تضيف إلى علم صاحبها وتزيد من كفاياته وتصقل مواهبه وتزيد ثقتنا فيه .

د. زكى محمد مصطفى زغلول
علامة فى الچيولوچيا عالم بكل ما تضمه أرضنا، وكل ما يحمى مستقبلنا من الأخطار

من خصائص الأجيال المعاصرة ، ومنها جيل الستينات الاهتمام الكبير بالعلوم فقد ثبت أن القوة فى العلوم هى أساس القوة فى معظم النواحى القومية اليوم . وقد كان الاهتمام فى الأجيال الماضية موجها إلى نواح عملية معينة من العلوم كالطب والهندسة بفروعهما ، ولكن اتضح اليوم أن الاهتمام بالعلوم ومنها الچيولوچيا مثلا أساس رئيس فى القوة فى الطب والهندسة والآثار وغيرها من نواحى النشاط القومى . والدكتور **زكى محمد مصطفى زغلول** واحد من الذين تخصصوا فى الچيولوچيا وخدموا بعلمهم الواسع فيها التقدم فى كل نواحى النهوض القومى . وقد ولد الدكتور زكى زغلول فى ٢٧ يوليو ١٩٢٥ فى دقادوس مركز ميت غمر بمديرية الدقهلية . وحصل على بكالوريوس كيمياء وچيولوچيا سنة ١٩٤٨ ثم ذهب فى بعثة علوم إلى انجلترا وحصل من جامعة بريستول بانجلترا على الدكتوراه فى الچيولوچيا ١٩٥٨ .

ولعل القارىء لايعلم أن الچيولوچيا أصبحت اليوم أساسا من أسس النهوض العلمى كله ، فهى أساسية مثلا فى دراسة باطن الأرض والعثور ــ مثلا ــ على البترول ، وفى بلد مثل مصر أنشأها نهر النيل بغرينه ومائه اللذين يأتى بهما من قلب أفريقية يهمنا أن نعرف مايكمن تحت هذا الغرين وذلك الماء ، وزكى زغلول ــ إلى جانب وظائفه الكثيرة التى سنذكر بعضها ــ أسهم بجهود بارزة فى تأسيس مدرسة علمية

متخصصة فى چيولوچيا الدلتا ورواسب الحقبة الرابعة الممثلة للمرحلة المتأخرة من التاريخ الچيولوچى لمصر ، وهذه دراسة هامة جدا لمصر ، فهناك من يقولون مثلا إن الدلتا كلها تتراجع أمام البحر وأنه يغزو أراضيها ، ولاعلاج لهذا إلا بأن نبنى سدودا على شاطىء البحر المتوسط كتلك التى بناها الهولنديون وحموا بها أرض بلادهم من غزو البحر ، ومن حسن الحظ أن دراسات الدكتور زكى زغلول طمأنتنا من هذه الناحية ، وحتى إذا كان هناك خطر من هذه الناحية فإننا نعرفه من الآن ونستعد لمواجهته .

وكما قلنا بالنسبة لأمثاله من أعضاء البعثات الذين يعودون بعد الفراغ من الدراسة فى الخارج فإن هذا الرجل التحق مدرسا بكلية العلوم بجامعة المنصورة . واستمر بعد ذلك يعلم الأجيال فى تلك الجامعة ويوجهها التوجيه العلمى الصحيح إلى جانب جهوده العلمية التى يقوم بها ، وفى سنة ١٩٦٨ اصبح أستاذا للچيولوچيا ورئيسا لقسم الچيولوچيا بالمنصورة ، ومن هذه الوظيفة الرئيسية يذهب أستاذا للچيولوچيا فى جامعات أوربية مثل بلغراد فى يوغوسلافيا (١٩٧٦) وجامعة كولونيا فى ألمانيا الغربية (١٩٧٨) وينتخب عضوا بمجلس بحوث الثروة المعدنية وعضوا باللجنة القومية للچيولوچيا فى مصر .

وهى من أهم لجان أكاديمية البحث العلمى فى مصر وهو عضو فى لجان علمية رئيسية كثيرة فى مصر ، ومن هذه الناحية لابد أن نعتبر رجلا كهذا أمانا لحاضر مصر ومستقبلها خاصة وهو رجل نشيط دائم العمل ومؤلفاته المنشورة فى مصر ثروة قومية . ومنها كتاب «الچيولوچيا الاقتصادية وثروة مصر المعدنية» (١٩٨٣) وهو كتاب ممتاز يثنى عليه كل المشتغلين بالعلم فى مصر . وتلاميذ زكى مصطفى زغلول كثيرون جدا ، ولهذا يمكن اعتباره وجهوده العلمية ثروة بالنسبة لبناء مصر اليوم وأساسا لتقدمنا فى كل فروع العلم وخاصة الطب والهندسة ، ويكفى أن نعلم أن علمه الواسع بالچيولوجيا يجعلنا على علم بكل مايجرى تحتنا من عيون الثروة والقوة كالبترول مثلا .

محسن محمد
صحفى كبير ومؤرخ أكبر

أرجو القارىء ألايدهش لكثرة من يرد ذكرهم فى هذه الفصول من الصحفيين ، فإن الصحافة فى عصرنا هذا مدخل واسع جدا إلى ميادين شتى ، ومن يدخل الحياة من باب الصحافة قد يستمر فيها ويصل إلى ما تمكنه منه ملكاته من قوة ومركز صحفى ، وقد تكون الصحافة بالنسبة له مجرد باب محترم يصل منه إلى مايحلم به من القوة والسلطان فى أى ميدان آخر ، ولنضرب هنا مثلا بجورج كليمانصو ، وكان واحدا من أكبر السياسيين ورؤساء الوزارات الفرنسيين فى العصر الحديث ، وكان رجلا ذكيا طموحا حاسما بعيد النظر ، درس الطب ، ولكنه لم يعمل طبيبا ، ولكنه دخل السياسة من الصحافة ، وفى السياسة قام بدور ضخم ، ولكن معظم الناس يجمعون على أنه قام بدور سيىء ، فقد كان الرجل فرنسى القومية ولكنه لم يكن فرنسى الأخلاق ، فقد كان لئيما خبيثا قاسيا حقودا ، وقد أنشأ لنفسه عدة صحف ، وكان إذا انهزم فى إحدى معاركه السياسية ارتد إلى الصحافة وبدأ منها الصراع ، وقد رأس وزارة فرنسا ، وقام بدور كبير جدا فى رسم الصلح فى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ولكنه اعتزل العمل السياسى بعد هزيمة سياسية سنة ١٩٢٠ ، وتوفى سنة ١٩٢٩ ، وطلب أن يدفن واقفا لأنه كما قال ــ ظل واقفا كل حياته ، ويجب أن يظل كذلك بعد مماته ، وهذا يدلك على قدر غروره بنفسه ، ولكن فرنسا خسرت مع الزمن ، لأن كيلما نصو انتصر بالعنف والخديعة والطمع ، وقد دفعت

فرنسا ثمن ذلك كله فى الحرب العالمية الثانية ، لأن أحقاد كليمانصو وزملائه وخاصة ديفيد لويد جورج رئيس وزارء انجلترا هى التى أنشأت فيها بعد أحقاد أدولف هتلر الذى عرف خلال الحرب كيف يذل فرنسا وانجلترا معا قبل أن تهزمه روسيا والولايات المتحدة . من هنا نستطيع أن نقول إن كليمانصو كان صحفيا سيئا ، ولكن الصحفى الذى أحدثك عنه اليوم مواطن وصحفى ممتاز ، إنه محسن محمد الذى ولد فى الإسكندرية فى أول يناير ١٩٢٨ وتخرج فى قسم اللغة الإنجليزية بجامعة الإسكندرية ، ولكنه لم يعمل فى اللغة الإنجليزية ، بل اتجه من أول حياته إلى الصحافة ، وظل فيها عمره كله بنجاح كبير ، وكان فى الوقت نفسه مؤرخا ، فلم يقصر يوما فى دراسة تاريخ مصر والتأليف فيه تأليفا جيدا ، لأن تاريخ مصر الحديث ظل زمانا طويلا يعانى فى الجامعة من حكومات الإنجليز والقصور والباشوات ، وكان الميدان الحر هو الميدان السليم للتفكير فى التاريخ المصرى الحديث والكتابة فيه ، ونحن نضرب المثل بعبد الرحمن الرافعى ، وهو مؤرخ ممتاز ، وجاء محسن محمد فسار فى طريق الرافعى ، ولكن عن طريق أكثر جدا ، ومؤلفاته فى التاريخ وهى كثيرة تمتع القارىء بالتفاصيل الدقيقة الصادقة والكشوف الكبيرة التى تستوقف الذهن ، وتدعو الإنسان إلى إعادة النظر فى تاريخ مصر الحديث كله ، وجدير بالذكر أن التفاصيل الصغيرة فى التاريخ لاتقل أهمية عن الكبيرة ، لأنك فى الواقع لاتستطيع أن تقول ما هو الكبير فى حياتنا وماهو الصغير ؟ فكل شىء فى حياتك كبير بالنسبة لك وصغير بالنسبة للآخرين ، وماذا يهم الناس مثلا فيما تتناوله أنت فى الإفطار ؟ ولكنى عرفت ناسا يقيمون الدنيا ويقعدونها إذا لم يجدوا فى الإفطار شيئا مثل الفول ، وإذا لم يجدوا «شطة» فيما يتناولون من طعام ، وربما لايكون محسن محمد قد تعرض لهذه النقطة الصغيرة الكبيرة وأمثالها فى تاريخه ، ولكنه مهتم جدا بالتفاصيل ، وهذه مسألة على أكبر جانب من الأهمية ، لأن تفاصيل تاريخ مصر قبل الحرب العالمية الأولى معقد جدا ، فقد كان هناك الأتراك ، وكانوا عقبة فى كل شىء دخلوا فيه ، وكان هناك المصريون الأتراك مثل حسين فخرى باشا مثلا ، وهؤلاء لم يكونوا مصريين أو أتراكا ، وكان هناك الإنجليز فى دار المندوب السامى ، وكانوا مع إنجليزيتهم المفرطة مختلفين جدا فيما بين بعضهم وبعض ، وأما المصريون فكان هؤلاء

ينكرون وجودهم ، والقصر بالذات لم يكن يريد أن يعرف عنهم شيئا ، ومع ذلك فهو لم يكن يحبهم أو يريدهم خاصة بعد ظهور محمد عبده وإنشائه جيلا من المصريين من أهل الطموح والجرأة ، وهنا يبدو لنا أن ظهور سعد زغلول وهو مصرى صميم كان أمرا خطيرا جدا ، وقد ظل احتمال تعيينه وزيرا للمعارف مجالا عنيفا للخصومات والخلافات ، ولكنه بهر الناس بسلوكه واستقامته وقوة إرادته ، واللورد كرومر رأى أن إدخاله وزيرا للمعارف بعد أربع عشرة سنة فى القضاء قد يفتح له ـ أى لكرومر ـ الباب إلى قلوب المصريين .

وكان كتشنر يعمل فى دار المندوب السامى فى القاهرة ، وكان يكوِّن شخصيته ويعدها لمستقبل كبير ، وكان يعتمد على الاعتزال والصمت والبعد عن النساء ، وكان أيضا يرى فى سعد زغلول معينا له على تقوية مركزه ، وهذه كلها حقائق تبدت لى وأنا أقرأ كتاب سعد زغلول مولد ثورة لمحسن محمد ، وأنا أعرف أن جمع هذه التفاصيل من أصعب مايتعرض له المؤرخ ، وأنا أهتم بها لأنها تكشف عن حقائق لاتؤدى إليها المفهومات الكبيرة ، فنحن مثلا نقول إن سعدا تحدى الإنجليز ، فهل هذا صحيح ؟ وهل كان من صالح سعد ومن صالح المصريين أن يتحدى سعد الإنجليز ؟ لقد كان محمد عبده لايرى تحدى الإنجليز ، ويرى أن تحدى القصر أكثر فائدة لمصر ، وسعد وصل إلى الوزارة بمعاونة رجال مثل كرومر وكتشنر لأنهم كانوا عقلاء ، أما القصر فلم يكن فيه عقلاء ، وكرومر يرى فى الخديو عباس طفلا أو غلاما ، والغالب أنه كان كذلك ، والطريق الذى فقد به العرش يدل على أنه كان غبيا ، لأنه عول على الأترك ، والأتراك كما قلت كانوا عقبة فى كل سكة ساروا فيها ، وليس معنى ذلك أننا نؤيد الخروج عليهم وحربهم كما فعل الشريف حسين ، فقد كانت هذه جريمة فعلا ، والقرآن الكريم يحرم على المسلم أن يخون المسلم وينضم لغير المسلم فى حربه ، وهذه كلها أفكار تملأ ذهنك وأنت تقرأ مؤلفات محسن محمد ، فهو فى كل سطر من سطور كتبه الكثيرة مصرى صادق ومؤرخ مخلص ، وإذا أردت أن تعرف مثالا آخر لذلك فاقرأ كتابه عن «سرقة واحة مصرية» ، وفى هذا الكتاب تحقيق دقيق جدا للطريق الملتوى الذى سارت فيه السياسة المصرية أيام الاحتلال ، وهذا التحقيق يريك كيف إن أحمد زيور ـ وكان

مصريا بالاسم فقط ــ سلم بما كانت مصر وانجلترا وتركيا تعارض فيه من تسليم واحة الجغبوب إلى إيطاليا لكى تستطيع هذه القضاء على السنوسيين ، وأحمد زيور تولى رياسة وزارة مصر فى ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤ بعد استقالة سعد زغلول بعد قتل السير لى ستاك سردار الجيش المصرى ، وكانت استقالة سعد زغلول بإرغام من الإنجليز . وزيور باشا قضى فى رياسة الوزارة أحد عشر شهرا فقط ، سلم فيها الجغبوب لإيطاليا بمعاونة الملك فؤاد وصدقى باشا ، وسمى ذلك إنقاذ مايمكن إنقاذه .

ونحن نأسف على مثل هذا التصرف ، وإن كان الأمر لايؤلمنا الآن بقدر ما كان يؤلمنا فى الماضى ، لأن إيطاليا خرجت من ليبيا ، وليبيا أصبحت بلدا عربيا إسلاميا ، ولكن الطريقة التى اتبعها محسن محمد فى تحقيقه تدل أولا على أنه مصرى صادق أصيل ، وتدل ثانيا على صبر بالغ ، وتدل ثالثا على ملكة تاريخية متميزة . وهذه الصفات الثلاث ــ وصفات جميلة أخرى ــ هى التى تجعل لهذا الرجل مكانا ممتازا فى جيل الستينيات الذى يبنى مصر اليوم والغد .

- **مصطفى شوقى**

مهندس موهوب ومنشىء جليل

- **محمد حسام الدين مصطفى**

طبيب موهوب يفتح الباب للموهوبين

- **محمد حسن الزيات**

دبلوماسى ممتاز ودمياطى رائد

- **لويس بشارة**

وإنتاج الملابس الجاهزة الممتازة

مصطفى شوقى

مهندس موهوب ومنشئ جليل

المندسة من التخصصات العلمية والفنية التى يمكن أن تكون سهلة جدا أو صعبة جدا على دارسها ، فهى سهلة لمن يحبها ، لمن أوجد الله فى قلبه حبا للرياضة والعلوم والإنشاء وميلا حقيقيا للعمل ، وهى صعبة على كل من لم يهبه الله شيئا فى هذه الميادين ولكنه مع ذلك يريد أن يكون مهندسا ، وإن الهندسة فى الغالب مصدر رزق كثير ، وكلما أوغل الإنسان فيها زاد رزقه وساء عمله إذا لم تكن لديه موهبة هندسية ، ونحن نرى فى بلادنا اليوم عشرات العمائر تظهر كل يوم ولكنها ليست مساكن مريحة ، أو منشآت باهرة بل هى أبراج ميتة من الأسمنت وحديد التسليح والطوب ، وما رأيت فى حياتى إنسانا يعجب بهذه « الخوازيق » حتى الذين يسكنون فيها تجدهم يعيشون فيها دون محبة أو حتى راحة .

ولكن المهندس الذى يحب الهندسة تجده قليل الإنتاج ، ولكن منشآته جليلة وعظيمة وباهرة ، أو أحياناً نجد المهندس الموهوب ينشىء دون أن يدخل مدرسة ، إنما هى الموهبة هى التى تنشىء ، وإلا فقل لى أين تعلم أولئك العظماء الذين أنشئوا معابد الكرنك ؟ تلك القاعات الهائلة فى الهواء تزينها الأعمدة الفخمة التى يتعجب الإنسان كيف أنشأها هؤلاء الموهوبون ، وتزداد دهشتك إذا أنت وقفت وسطها وأدرت النظر

فيها ، هنا نؤمن فعلا بأن هناك شيئا جليلا يسمى الموهبة يقوم على الإلهام ! هل تتصور مثلا أن امنحتب الثالث رسم لمهندسيه أشكال الأعمدة البديعة فى قاعته فى معبد الأقصر ؟ لقد أضيفت إليها أعمدة من المستوى نفسه فى أيام رمسيس الثانى ، وهذا يدلنا على أن الإلهام هنا قومى لا فردى ، وحتى رأس نفرتيتى المحفوظ فى برلين ، إن صانعه فنان واحد ، ولكن الجمال والدقة فيه تدل على أن هذا الفنان يقف على رأس سلسلة طويلة سابقة عليه من الملهمين .

وأكتفى بلفت النظر هنا إلى هذه النواحى من الهندسة ، لأننى أمهد بهذا الكلام لدراسة مهندس مصرى معاصر موهوب هو **مصطفى شوقى** الذى ولد فى يناير سنة ١٩١٥ ودرس الهندسة المعمارية وحصل على الماچستير فيها سنة ١٩٤٧ وهو كما ترى ليس من جيل الستينيات إذا أخذنا بتواريخ الميلاد والتخرج والماچستير ، ولكنه لايزال ينتج إلى يومنا هذا ، وهو متميز بالإنشاء المعمارى العظيم الذى لاينظر إلى المكسب قط ، بل هو ينظر إلى الإبداع المعمارى ، وهو هنا تلميذ المهندس الفنان الموهوب حسن فتحى الذى ظل حياته كلها وإلى وفاته موضع إعجاب الدنيا كلها ، وربما كان دافعى إلى وضع مصطفى شوقى فى جيل الستينيات أنه ترك خدمة الحكومة سنة ١٩٦٠ ووهب نفسه للإبداع الهندسى وحده ، وهنا تجده ينشىء أعمالا هندسية صعبة جدا ، ولكنه يجيد فيها ويبدع مثل منشأة استاد القاهرة ومطار القاهرة الدولى ومستشفى منشية البكرى ، ومستشفى المنشاوية ، وفندق سفير بالدقى ، ومصنع شندلر للمصاعد بمصر الجديدة ، والمقر الدائم لوكالة أنباء الشرق الأوسط بالقاهرة ، والتخطيط الابتدائى لمدينة العاشر من رمضان .

ولم أذكر هنا المنشآت الصغيرة الحجم نسبيا كالفيلات السكنية ، ولكنى أذكر عمارة مراد وهبة بالقاهرة ، والبرج السكنى لجمعية القناة للإسكان ، ولابد أن نقف طويلا عند مساهمته العظيمة فى إنقاذ معبد فيلة فى أسوان وهو عمل عسير ومعقد ، وقد ظل مصطفى شوقى مشاركا فى الإشراف على تنفيذ هذه المنشآت حتى تم افتتاحها عام ١٩٨٠ .

وقد فاز الكثير مما ذكرناه من منشآته بجوائز كبيرة ، مثل مطار القاهرة الدولى ،

ومعهد ناصر للبحوث والعلاج ، واستاد القاهرة الرياضى . ونتيجة لهذا العمل المتصل الواسع المساحة أصبح مصطفى شوقى صاحب مدرسة تضم جيلا من المهندسين المعماريين الأكفاء أو الموهوبين داخل الجمهورية وخارجها ، ومن حسن الحظ أنه اهتم باستقبال من قصده من طلبة أقسام العمارة بالجامعات لقضاء فترة التمرين العملى بمكتبه ، ولا نكاد نجد مؤتمرا أو ندوة فى الهندسة فى مصر أو معظم نواحى العالم إلا وجدنا فيها المهندس مصطفى شوقى ، لأن الرجل فعلا مهندس موهوب ومعمارى له نواحى امتيازه ، ومنشآته تتميز بالبهاء والجلال ، لأنه يضع موهبته فى كل تفاصيل العمل ، من التصور العام للمبنى أو التصميم الرفيع لكل مظاهر الإنشاء مع الاهتمام بالعظمة والجلال فى المظهر ، وهذه ظاهرة تغيب عن معظم المهندسين المعماريين فى عصرنا ، وانظر مثلا إلى المبنى الجديد لوزارة الخارجية فى القاهرة ، فهذا مبنى ضخم فعلا ، ولكن فات المنشئين أن مثل هذا المبنى يحتاج إلى مدخل جليل ذى أعمدة فخمة ضخمة كتلك التى يزدان بها مبنى دار القضاء العالى بالقاهرة ، بل إن المهندسين الفرنسيين الذى وضعوا تصميمات جامعة القاهرة وضعوا هذه الأعمدة الفخمة فى مدخل مبنى الجامعة وقاعة محاضراتها الكبرى وفى مدخل كليتى الآداب والحقوق ، وعندما أراد المهندسون المعاصرون إنشاء ملحق لكلية الآداب أنشئوا مبنى ضخما تكلف فيما يقال خمسة عشر مليونا ، ولكن المداخل صغيرة لاتبهر ، بل فيها نقائص مثل السلالم الكثيرة دون «تربزينات» مع أن هذه ليست مجرد مساعدات على الصعود والهبوط ، بل هى يمكن أن يدخل فيها الرخام والنحاس وهذه التصورات المعمارية الفنية الباهرة لابد أن تكون راقدة فى قلب المعمارى الذى ينشىء ، ويرسم ، وهى تخرج من قلبه إلى الواقع المرئى عندما ينشىء وانظر مثلا إلى مبنى الساكركير فى مونمارتر فى باريس أو مبنى اللوفر فى حدائق التويلرى أو برج إيفل أو قوس النصر أو قاعدة المسلة المصرية فى ميدان الكونكورد ، وكل هذه فى باريس ، انظر إليها وقل لى أين كانت قبل أن تبنى ، والجواب : فى قلوب المهندسين الذين أنشئوها ، والإلهام أخرجها من القلوب إلى عالم الواقع والهندسة ــ وهى هنا الرياضيات والكيماويات ــ هى التى صورتها فى هذه الهيئات الجميلة التى تبهر العين .

وقبل أن أترك المهندس مصطفى شوقى أقول للمهندسين الشباب : انظروا إلى العظمة والجلال دائما ، وأنا لا أزور باريس مرة إلا ذهبت لأتأمل وأملأ بصرى من كنيسة المادلين بأعمدتها الجليلة البديعة وسقفها الإغريقى المحدب وبقية المبانى الجميلة فهى تلك القطعة الفنية الإنسانية من مدينة باريس ، وأسأل نفسى دائما : وماذا كانت تكون باريس لولا هذه المنشآت ؟

د. طبيب حبيب محمد حسام الدين مصطفى
طبيب موهوب يفتح الباب للموهوبين.

أكتب هذه المرة عن طبيب أعرف أنه واحد من الأطباء المثالبين الذين أعتقد أنهم يشاركون فى بناء مصر اليوم بالإخلاص والصدق المهنى والصدق القومى . وأنا لا أكتب عنه لأنه خير الموجودين من طرازه ، ولا لأنه أحسن من غيره ، فمصر بلد غنى جداً فى الرجال الأفاضل ، ولا يتسع المجال للكتابة عن أفاضل الأطباء كلهم ، وإنما أنا أكتب عن واحد أعرفه ، والباقون يعرفون أنفسهم ويستطيعون أن يطبقوا الأحكام والمدائح على أنفسهم .

وأنا عندما ألتقى بطبيب مثل هذا فإن أول ما أستفهم عنه هو موقفه من المال ، لأن جمع المال سهل على أى طبيب جاد ، لأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق من الأحياء أكثر من الأمراض ، فكل مخلوق له عشرات الأمراض ، حتى النملة الصغيرة ، لأنها إذا كانت صغيرة فى نظرنا فهى كبيرة فى نظر مخلوقات أخرى تريد ــ وتستطيع ــ أن تعيش عليها (وهذا هو المرض) وهذه المخلوقات أصغر من النملة بكثير ، وهناك مخلوقات أصغر منها وتستطيع أن تعيش عليها ، وهناك أصغر من هذه المخلوقات الصغيرة جداً ، وهكذا ، وهذه كلها يعيش بعضها على بعض ، والمخلوق الذى يعيش على غيره لايريد به شراً ، ولا يريد قطعاً أن يقتله ، ولكنه يريد أن يعيش ، وحياته فى ذاتها موت لغيره ، وهذه ناحية من نواحى العجب فى الحياة وطبيعتها .

وأقول إن الدكتور محمد حسام الدين مصطفى لم ينظر إلى المال فى حياته ، ولكن المال جرى وراءه كما يجرى وراء كل طبيب ناجح ، والطبيب الأكثر نجاحاً هو الذى لايخرجه المال عن طريقه ، بل هو يسير فى طريقه ، والمال من ورائه ، وهذه هى حالة الدكتور حسام مصطفى ، فقد ولد فى القاهرة فى ٣ يناير ١٩٣٦ وتخرج فى كلية طب جامعة القاهرة سنة ١٩٥٨ ، ثم سافر فى بعثة طبية إلى لندن ، وحصل على زمالة كلية الجراحين F.E.C.S فى لندن فى جراحة المسالك البولية وفى سنة ١٩٧٠ سافر إلى كندا ، وهناك حصل على زمالة كلية الجراحين الكنديين ـ تخصص جراحة وأمراض بولية ـ فى السنة نفسها ـ واضطرد نجاحه هناك حتى بلغ أكبر المناصب الجراحية وعلا صيته ، ولكنه وجد أن بناته الأربع يكبرن ويبلغنْ مع الزمن سن الزواج . ومهما فعل فهو لن يستطيع أن يمنعهن من النمو والعيش كنديات ، وفى هذه الحالة لابد أن يغمض عينيه إذا تزوجن كنديين وأصبحن مسيحيات كما فعل الكثيرون جداً ، ومنهم رئيس دولة إسلامية تزوج بغير مسلمة وأنجبت بنتين فتركهما تتزوجان مسيحيين وأصبحتا مسيحيتين .

مثل هذا لم يرض عنه الدكتور حسام مصطفى لنفسه أو لبناته ، فترك كندا وهو فى أعلى درجات نجاحه ، وعاد إلى مصر بأسرته سنة ١٩٨٦ ليبدأ من جديد ، وبدأ فعلاً فى مستشفى النيل البدراوى . ونجح فى جراحة المجارى البولية نجاحاً عظيماً ، لأنه يتميز بأنواع عسيرة من هذه الجراحات فى مصر ، فاختارته جامعة بنها أستاذاً غير متفرغ لجراحة المسالك البولية فى كلية الطب بجامعتها ، ثم انتقل بالتخصص نفسه إلى كلية الطب بجامعة أسيوط وانتظمت حياته واطمأنت أسرته واطمأن إلى إسلامها فى بلادها ، وكانت سمعته وشهرته تزداد مع الزمن ، وكذلك مهارته فى الطب ، وهو اليوم من أعظم جراحى مصر فى الأمراض البولية ، وقد اشتهر بأنواع معينة من العمليات جعلته واحداً من أطباء مصر المعدودين ، ولو أن الرجل لم يكترث لمستقبل أسرته لزاد نجاحه المالى والوظيفى فى كندا ، ولكنه هو نفسه كان يشعر فى هذه الحالة أنه انهزم ، ولكن تحمسه لعقيدته وتمسكه بها يدل على أنه طبيب عظيم فعلاً ، لأن الجراحة ليست مهارة فى القطع والوصل والبتر فحسب ، بل هى البحث قبل كل شىء عما ينفع المريض ويعرضه

لأقل الأخطار دون نظر إلى مال أو كسب ، لأن المال وفير جداً للجراحين ، والكسب موفور للأطباء الذين يتمتعون بسمعة كبيرة ، ولكن المريض يهمه قبل كل شيء أن يضع نفسه بين يدى جراح حريص عليه وعلى صحته ، ولايتردد فى سبيل ذلك بأقصى مجهود دون نظر إلى زيادة فى المال ، وإذا كنا نبحث اليوم فى بلادنا عن الأطباء الذين يبنون مستقبلنا الطبى . . فهذا الدكتور محمد حسام الدين مصطفى أمامنا حى ورمز لمثات الأطباء أمثاله ، ونرجو أن ننبه أذهان شباب الأطباء إلى هذا المثال الفذ من حب الطب وممارسته وحب الأسرة والعقيدة والوطن والأخلاق الإسلامية والمحافظة عليها .

محمد حسن الزيات
دبلوماسى ممتاز ودمياطى رائد

محمد حسن الزيات ، دبلوماسى ممتاز ودمياطى رائد . الدكتور الزيات من مواليد دمياط ، وهو يمتاز بما نعرف جميعاً من اجتهاد الدمايطة وإخلاصهم لعملهم ، فقد ولد فى دمياط فى ١٤ فبراير ١٩١٥ ، ودخل كلية الآداب بجامعة القاهرة متخصصاً فى الدراسات الشرقية ، وتخرج فيها سنة ١٩٣٩ ، ثم ذهب إلى بعثة دراسية ودرس بنجاح فى جامعة أكسفورد ١٩٤٧ ، وكان من الممكن أن يستمر فى دراسة اللغات والعلوم الشرقية طول عمره فى انجلترا ومصر ، ولكنه انتقل إلى عالم السياسة الخارجية ، وفيما بين سنتى ١٩٥٠ و ١٩٥٥ كان سكرتيراً ومستشاراً بسفارة مصر فى واشنطون ، وأصبح ميدان السياسة الدولية ميدان نشاطه ونجاحه طول حياته ، ولهذا فقد حسبته فى جيل الستينات لأن حياته الحقيقية وميدان خدمته لمصر والعالم العربى والبلاد الشرقية بدأت كلها فى النصف الثانى من الخمسينيات ثم الستينات .

وقد نجح الدكتور الزيات فى عمله السياسى ــ أو الدبلوماسى ــ نجاحاً عظيماً ، لأنه رجل مجتهد لايكل عن العمل ، فقد أصبح مديراً للإدارة العامة فى وزارة الخارجية المصرية ومندوباً دائماً لمصر لدى الأمم المتحدة (١٩٦٢ ــ ١٩٦٤) وفيما بين ١٩٦٧ و ١٩٦٩ نجده رئيس الهيئة العامة للاستعلامات فى مصر ، ثم عاد مندوباً لمصر لدى

الأمم المتحدة (١٩٦٩ ــ ١٩٧٢) وفى سنة ١٩٧٢ أصبح وزيراً للإعلام فى مصر ، وكانت تلك أيام الرئيس السادات المضطربة المتغيرة ، ولهذا نجد الدكتور الزيات بعد قليل يترك خدمة الحكومة ويصبح عضو مجلس الشعب عن دمياط (١٩٨٤ ــ ١٩٨٧) ، وهنا يتجلى عن دمياطى مخلص عامل ، وينتقل إلى مسئوليات أخرى بالمجلس حتى يصبح رئيس لجنة الشئون العربية بالمجلس سنة ١٩٨٧ مع اهتمامه الدائم بدمياط وشئونها ، ومع كثرة المسئوليات التى توضع على كتفيه إلا أن دمياط تحتل الاهتمام الأول فى نفسه وحياته ، وهذا أمر يعجبنى لأننى عشت فى دمياط طويلاً ، وأعرف ميزات الدمياطيين ، وأومن بأننا لو أعطينا دمياط كل ماتطلب لأصبحت مدينة مصر الأولى فى التجارة والصناعة ، لأن الدمايطة شغالون ومخلصون ويتميزون بمهارة فريدة فى الصناعة والتجارة وأعمال المال .

لويس بشارة ومصانعه
وإنتاج الملابس الجاهزة الممتازة

ومن المصانع التى بهرت نفسى فى العاشر من رمضان مصانع الملابس الجاهزة التى تنتجها مصانع لويس بشارة التى يرمز إليها بحروف B.T.M والذى يستوقف النظر ويستحق الإعجاب فى عصرنا هذا هو أن رجال الصناعة لم يعودوا يقنعون بنصف صناعات أو بصناعات تجميع ، بل هم يصنعون الأشياء من الألف إلى الياء . فلويس بشارة ينسج الأقمشة التى يحتاج إليها بالضبط كما يريدها ، ويرسم أنواع القمصان والبنطلونات التى تقدمها مصانعه ويبيعها بعد ذلك كله بنصف ثمن الصناعات المماثلة فى أوربا ، وفى كثير من الأحيان بثلثها فقميص لويس بشارة يباع بسعر خمسين جنيهاً تقريباً فى الوقت الذى يباع فيه مثيله الذى ينتج فى فرنسا أو بلچيكا بمائة وخمسين جنيهاً ، والمصانع الأوربية نفسها تشترى كل ما تستطيع شراءه من منتجات لويس بشارة وتشطب اسمه وتكتب اسمها عليها لأنها تكسب منها أضعاف ماتكسب من منتجاتها . ثم إنها أدق وأكثر إتقاناً من المنتجات الأوربية .

وقد أطلت التجول فى المصانع وأصغيت إلى كل ما ألقى إلىَّ من الكلام ، وتأملت الصناعات تأملاً دقيقاً وتتبعت تطورها ، ووقفت طويلاً أمام آخر المنتجات وهى البنطلونات ، وخرجت من ذلك كله بأننى أمام مصرى منتج ممتاز ورجل صناعة من

الطراز الأول ، ولكن عبثاً حاولت أن أحصل على معلومات عن لويس بشارة نفسه ، وكأن ألذين كنت أسألهم كانوا يحسبون أن عدم معرفة الكثير عن الرجل تواضع ، وعبثاً حاولت أن أفهمهم أن هذا الذى أكتبه تاريخ ، وكل ماخرجت به هو أن الرجل من جيل الستينيات فقد تخرج فى الجامعة كما فهمت حوالى ١٩٦٣ واتجه إلى الصناعة رأساً ، وذهب إلى أوروبا وعاد وفى ذهنه صناعة الملابس الجاهزة وقد اختار أن تكون مصانعه فى العاشر من رمضان لكى يبتعد عن الأراضى الزراعية ويجد المساحة أمامه منبسطة دون تحديد . . وحسناً فعل فقد أضاف إلى مصر فعلاً إضافة ممتازة من كل ناحية . وأختتم كلامى عنه بأن أقول : ياسبحان الله ! ناس تستحى من خيالها وناس لاتستحى من الشيطان .

- **فريد خميس**

والإبداع العالمى فى صناعة السجاد

- **مصانع « تاكى »**

(تقى الدين محمود حلمى)

وإنشاء مدينة صناعية كاملة

فريد خميس

والابداع العالمى فى صناعة السجاد

أبدأ حديثى هذه المرة عن مواطن تستطيع أن تعتبره فعلاً وعملاً رمزاً لحاضر مصر كما نتمناه ولمستقبلنا كما نتمنى أن يكون ، هو محمد فريد خميس صاحب ومدير شركة النساجين الشرقيين للسجاد .

فنحن جميعاً فى مصر نقول اليوم إن مستقبل مصر يقع خارج الحزام الأخضر الذى يحيط بضفتى النيل ، أى نحو ٣ ٪ من مساحة مصر ، فهذا الحزام صغير جداً بالنسبة لعدد سكاننا ، ومهما حددنا أعداد السكان فإن المساحة تظل دائماً أقل من أن تفى بحاجاتهم ، ثم إن أرض الحزام الخصبة تتآكل وتستهلك ، فهى تزرع من آلاف السنين ، وفى الثلاثين سنة الأخيرة نحن نزرعها مرتين فى العام ، فمهما كانت درجة خصوبتها ، ومهما أضفنا إليها من أسمدة ومخصبات فلابد أن يجىء يوم تتوقف فيه عن إنتاج ما نريد .

ثم إن الزراعة كلها أصبحت فى عصرنا مصدر رزق من الدرجة الثالثة أو الرابعة . والبشر اليوم ــ فى مصر وغيرها ــ لايكتفون بإيرادات الزراعة فلابد إذن من الصناعة ، والصناعة لاتشمل فحسب تصنيع الأشياء أى تحويلها إلى الصناع الذين يجتهدون بعقليتهم الصناعية فى أن يستخرجوا المياه من الأرض وينقوها ،وهم يستطيعون أيضاً

استصلاح المياه المستعملة ، وإعادة استعمال الماء من جديد بعد إصلاحه ، ثم إن العقلية الصناعية تستطيع تحديد استخدام الماء بصورة أدق وأكثر نظاماً من العقلية الزراعية التى تعودت التساهل وعدم التدقيق فى استخدام المياه .

هذا المواطن الذى أحدثك عنه الآن استطاع أن يحقق بفكره وعقله وقلبه كل هذه الأمانى القومية والأفكار الإنسانية والاتجاهات الصناعية .

وهو السيد محمد فؤاد خميس

ولد محمد فريد فؤاد خميس فى القاهرة فى ١٤ أبريل ١٩٤٠ وتخرج فى كلية تجارة عين شمس سنة ١٩٦١ ، فهو على هذا مثال حى من أمثلة جيل الستينات ، فقد بدأ جهده الصناعى بعد تخرجه وحصوله على البكالوريوس وقد تبين بعد قليل أن نفسه تطمح إلى الاستقلال ، وأن فى نفسه أفكارا واسعة المدى تريد أن تتحقق ، وفى عصرنا هذا لاتنصقل الأفكار وتجود وتجدد إلا بالعلم ، فما زال الرجل يجتهد حتى وجد وسيلة للسفر إلى إطلانطا بولاية كاليفورنيا فى الولايات المتحدة لدراسة تكنولوچيا النسيج ، وكان إذ ذاك يعمل فى البنك الأهلى المصرى وهو أعظم البنوك المصرية ، وهو مدرسة للأذكياء ممن يعملون فيه ، فدرس محمد فريد فؤاد خميس فى أمريكا وعاد إلى البنك الأهلى ، ثم أتيحت له الفرصة للسفر إلى الكويت للعمل ، وكانت الكويت إذ ذاك ميداناً خصباً واسعاً لكل مصرى متفتح يذهب للعمل فيها ، وأراد له الحظ أن يلتقى برجل صناعة كويتى كان متجهاً إلى صناعة السجاد وهو عباس على المزيم ، وتوقع هذا الرجل أن يجد فى محمد خميس موهبة تساعده فى عمله فدعاه إلى العمل معه ، فقبل ، وبعد قليل وجد نفسه فى الصناعة التى سيعيش فيها ولها بقية عمره وهى صناعة السجاد . ذلك أن السجاد كان منذ طرحه الإيرانيون فى الأسواق حرفة عالية ، لأن الإنسان يحتاج إلى فرش الأرض ، وقد مر الناس بالحصير والكليم ، ولكن السجاد كان حلاً ممتازا ، فهو ليس مجرد تغطية للأرض ، بل هو تأثيث لها ، فإنه يصنع من صنف خاص من الصوف يتفاوت نعومة هو صوف الغنم ، وإيران كلها مراعى غنم ذات صوف ، وصوف الغنم هناك غزير .. ولكنه مختلف فى درجات النعومة ، فهناك فروق دقيقة بين أصواف

كاشان وكرمان وجرجران وشيراز والأهواز وتستر ومكران والرى ومرو ومرو الروذ وغيرها ، والزراع فى القرى الصغيرة المحيطة بهذه المدن أو القرى ينسجون سجاجيد الصوف على مهل مستخدمين فى عملهم نوع الصوف الذى يأتيهم به الرعاة ، فهو أحياناً صوف عادى ، وأحياناً صوف رقيق لطيف كأنه الحرير ، كما ترى فى صوف تايين ، وفى العصر الحديث تنبه الإيرانيون إلى امتياز صوفهم ، وكالعادة كان أصحاب رؤساء الأموال هم الذين استولوا على السوق الجديدة فنقلوا خارج إيران عشرات الألوف من السجاجيد بكل حجم ، وأنشئوا أسواقاً واسعة سيطروا هم عليها ، وهذه الأسواق هى التى وضعت قائمة الأسعار العالمية للسجاد الإيرانى ، فجعلوا أسعار بعض أصناف السجاجيد الإيرانية لاتصدق مثل سجاجيد تايين البالغة النعومة أو الحريرية ، والمتر منها يساوى فى أيامنا هذه مابين ٦٠٠ و ١٠٠٠ جنيه ، ومادام هناك محتاجون لهذه السجاجيد وقادرون على دفع أثمانها ، فهى تصبح تجارة عالمية فقد ثبتت الأسعار وأصبحت عالمية . أما الراعى الإيرانى والفلاح الإيرانى وهما صناع هذه السجاجيد فقد ظلوا كما هم : يعملون كثيراً جداً ولايكادون يحصلون على مايقيم الأود . وزادت أسعار السجاد الإيرانى فى السوق العالمية مع الزمن وزادت تبعاً لذلك ثروات أولئك التجار الإيرانيين .

وكما هى العادة ، ونظراً لشدة الحاجة إلى السجاد الإيرانى نشأت فى أوروبا صناعات نسيج سجاد محلية فى بلچيكا وفرنسا وانجلترا والمانيا والولايات المتحدة بصورة خاصة ، وكثرت هذه المصانع وزادت الرعاية لها ونشأت طرز سجاد متأثرة بالطوابع الفنية المحلية فيها ومتمشية مع السوق المحلية فأصبحنا نرى سجاجيد بلچيكية وأخرى فرنسية أو ألمانية أو أمريكية ، وكلها تحمل أسماء أصناف إيرانية ، فهناك فى أمريكا مصنع سجاجيد كاشان وشيراز والأهواز ، ولكنها منسوجة ومرسومة على الذوق الأمريكى أو البلچيكى أو الألمانى .

أقول هذا كله لأدل القارىء على صعوبة الميدان الذى دخل فيه محمد فريد خميس ، وقد دخله بقوة وشجاعة وعلم واستعداد للتجربة وما يمكن أن تحمله هذه التجربة من أخطاء ، وقد درس وخاض التجربة بشجاعة وأخطأ أحياناً ، ولكنه احتمل الأخطاء

واتسعت صناعته وكبرت مصانعه ، ومن حسن الحظ أنه اختار أن ينشيء مصانعه فى مدينة العاشر من رمضان ، وهى مدينة صحراوية أنشأتها وزارة التعمير ضمن ما أنشأت من المدن فى مشروعها الضخم لغزو الصحراء تنفيذاً لفكرتها التى أشرنا إليها ، وهى التى تقول إنه إذا كان لمصر مستقبل فسيكون ذلك فى الصحراء ، وقد أنشأت الوزارة أكثر من عشرة مشاريع عمرانية جديدة فى الصحراء ، ولكن أنجحها هى مدينة العاشر من رمضان ، وتقع فى منتصف المسافة بين القاهرة والإسماعيلية ، أى على بعد ٥٥ كيلو متراً من القاهرة ، ومساحتها الكلية التى تشملها أسس التعمير ٣٩٨ كيلو متراً مربعاً والمساحة العمرانية فيها أى المخصصة للسكن تبلغ ٥٦ كيلو متراً مربعاً .

فى هذه المدينة الجديدة أنشأ محمد فؤاد خميس مصانعه ومعامله ووجد المساحة واسعة أمامه فامتدت مصانعه مساحات واسعة ، وقد زرتها وتأملت أقسامها فامتلأ قلبى بالإعجاب بهذا الرجل الذى بدأ عمله من الرمال السائلة سنة ١٩٨٠ فأصبحت اليوم بفضل العلم والجهد مدينة كاملة تتوافر فيها مطالب إنجاز السجاد سواء أكان سجاداً من الصوف أم من مواد صناعية نسيجية ابتكرها أهل الغرب وصنعوا منها السجاد فكان أرخص ثمناً ، وإن كان لايقل جمالاً عن السجاد الإيرانى ، وقد بدأ الرجل عمله برأس مال يبلغ مليوناً وربعاً من الجنيهات ، فأصبح رأس ماله الآن مائتى مليون جنيه ، وهذا يدلك على مقدار النجاح الذى وصل إليه ، بل إنه عندما رأى النجاح فى الولايات المتحدة أنشأ هناك فرعاً كاملاً لمكاتبه ، فالصناعة كلها فى مصر ، ولكن مكاتب التسويق فى أوروبا وأمريكا تستقبل الطلبات والرسومات وتنفذها على الورق ، وتأخذ كميات الطلبات وترسلها إلى مصر لتصنع ثم ترسل إلى الولايات المتحدة .

وأكثر من ذلك فإن هذا الرجل عندما وجد من الناس إقبالاً على الموكيت ، وهو نوع من مفروشات الأرض على المساحات الطولية أو السلالم ، وأحياناً فى قاعات الجماهير ، أنشأ مصنع موكيت ماك ، ونجح هذا بدوره نجاحاً عظيماً ، وهو يدخل المناقصات ويفوز فيها ويفرش منشآت ومصانع كاملة ، ومصنوعاته توجد فى كل محلات البيع العامة فى مصر ، وقد منعت مصر استيراد الموكيت تماماً . وهذا فى ذاته توفيق كبير لابد أن يحسب لمحمد خميس .

تقى الدين محمد حلمى ـ تاكى
وانشاء مدينة صناعية كاملة .

ولابد أنك عرفت مصانع تاكى للمفروشات كالمراتب والمخدات والكراسى ، وهى صناعة جديدة أنشأها فى العاشر من رمضان رجل مصرى من كبار رجال الصناعة هو **تقى الدين محمد حلمى** . . درس العلوم والكيمياء فى مصر وتخرج فى جامعة القاهرة وبدأ العمل فى المصالح المصرية ثم أتيحت له الفرصة للسفر إلى روسيا للدراسة ، وهناك تحول اسمه بحكم النطق الروسى من تقى الدين إلى «تاكى» وأصبح هذا اسم مصنعه ، ونحن نسميه اسفنجا ، ولكنه ليس بالأسفنج ، إنما هى صناعة كيميائية تنتج من عمليات خلط وطبخ وضغط ، ويخرج منها فى النهاية هذا التكوين الذى نسميه بالأسفنج ، ولكن «تاكى» وهى صناعة تقى الدين محمد حلمى غلبت عليه فى بلادنا وقضت على كل منافسة ، وقد زرت المصانع ورأيت أقسامها وإنتاجها «رأيت كيف يصنعون مكعبات الأسفنج الضخمة ، وهى فى العادة مستطيلات كبيرة ترص فى فناء المصنع ، ثم تؤخذ وتقطع ميكانيكياً بسكاكين ضخمة ، وتخرج منها المراتب والمخدات والألحفة ، والإنتاج هنا لابد أن يكون كاملاً ، أى أنك عندما تشترى المرتبة أو المخدة فإنك تأخذها بكيسها القماش المزخرف ، وهم هناك يصنعون الكيس ويضعون لك فيه المرتبة أو المخدة ، فإذا أنت اشتريت كرسياً أو كنبة إسفنج «تاكى» فإنه يعطيك الكرسى أو الكنبة أو الشيزلونج كاملاً ، ولهذا فإن لديه ورشة نجارة كاملة ، وهى تخرج لك الأصناف فى غاية الإتقان وفى الغاية الممكنة من رخص السعر ، لأننا نعيش فى بلد محدود

الإيراد ولا نقول فقيراً ، لأن مصر ليست بلداً فقيراً ، ولكن التاريخ علم المصرى أن يبدو دائماً فقيراً حتى لايطمع فيه الجنود ورجال السياسة وخاصة من الأجانب الذين كانوا يحتلون البلاد ، وأنت تعرف طبعاً بيت الفلاح المصرى الذى يبدو لك أحياناً وكأنه ليس مسكناً إنسانياً ، فإن النوم يكون على ظهر الفرن ، ومن هنا فليس فى البيت أغطية ، والجلوس يكون على الأرض ، والأكل يكون على الطبلية ، ومن هنا فإن الغازى الرومانى أو التركى مهما ساءت نيته فهو لن يستطيع أن يسرق من الفلاح أى شىء ، فليس هناك فى الواقع مايسرق ، حتى الجاموس أو الحمار أو البقرة لايستطيع أن يأخذها ليذبحها مثلاً ، فهذه هى وسيلة الفلاح للإنتاج وبدونها لن يستطيع إنتاج شىء ، فإذا أخذها الحاكم منه فلا يتوقع أن يأخذ ضرائب ، لأن الضرائب تؤخذ على الإنتاج ، والغازى عندما يأخذ الجاموس فهو يحرم الفلاح من أى وسيلة للإنتاج .

وقد كانت مصر تستورد اسفنجاً بملايين الجنيهات ، فليس هناك مايفرش غيره ، فالقطن قليل ، وهو غالى الثمن جداً ، ثم إن الأفضل للبلاد أن ينسج المصرى القطن ويصنع منه قماشاً يستعمله قطناً خالصاً أو مخلوطاً بالصوف أو الحرير أو خيوط الاسفنج وما إليها ، والآن توافر ذلك كله ولم نعد نستورد شيئاً من الأسفنج ، وهذه المصانع التى أحدثتك عنها أنشئت فى الصحراء ، ومن ثم فقد ساعدتنا على الاحتفاظ بأراضينا الزراعية الخضراء ، وحالت دون أن نقع فى ذلك الخطأ الجسيم الذى وقع فيه عبد الناصر عندما أنشأ مدينة شبرا الخيمة الصناعية على أرض مصر الزراعية ، فحرمنا من الأرض الزراعية ، ثم إن المدينة نفسها أصبحت مع الزمن مستنقعاً ، لأن الأرض رخوة ومليئة بالماء ، والماء يزيد فيها مع الزمن بسبب استهلاك المدينة وصرفها الصحى ، ومن هنا فإن تقى الدين محمد حلمى أنشأ لنا صناعة كبرى دون أن يمس أراضينا الزراعية ، ثم إن الأرض عنده فى العاشر من رمضان واسعة يستطيع أن يمتد فيها كيف شاء ، وسنرى فيما بعد كيف إن وزارة العمران والمدن الجديدة قد يسرت لهذه المدن وخاصة العاشر من رمضان كل وسائل الحياة من مياه وصرف صحى وكهرباء ، وأنفقت فى ذلك الملايين ، ثم إنها أنفقت ملايين أخرى فى إنشاء مراكز الكهرباء والمدارس والمستشفيات وطرق المواصلات أى أنها أنشأت ميادين العمران الجديدة ، وحملت عن

رجال الصناعة أعباء التعمير ، وهى ثقيلة جدا لكى يتفرغوا هم للصناعة ، وهذا مثال جميل جداً من التعاون بين الحكومة والشعب ، فالحكومة تبذل أقصى جهدها للعمران وتبسط الأرض للسكن والعمران ، فيقدم الناس وينشئون ويقبل معهم الفنيون والعمال فيجدون كل أساليب العيش من مساكن مختلفة الأحجام ، وكلها كاملة مهيأة للسكن والحياة ، وإلى جانبهم المدارس الابتدائية والثانوية والمستشفيات الصغيرة والكبيرة بأطبائها وممرضاتها ومرضيها .

ونظر تقى الدين محمد حلمى فإذا مصانعه تستطيع أن تنتج أشياء أخرى . فإن صناعات الزيت تعددت فى عصرنا ، وظهرت منها صناعة الزيت من الذرة الصفراء ، وهى صناعة معقدة ولكن لاغنى للبلاد عنها ، ومن هنا فإن مصانع تقى الدين محمد حلمى تنتج أكبر قدر من حاجات مصر من زيت الذرة ، وهو زيت صحى ، بل هو أصح من سمن اللبن الذى درجنا على استعماله دون أن نعرف أنه غير صحى تماماً ، فجاء زيت الذرة وحل محله ، وزاد عليه ، وهو ينتج من جزء صغير من بذرة الذرة ، أما بقية البذرة فيطحن على مستويات مختلفة ، وتصنع منه أشياء أخرى كثيرة مما ينفع البلاد ، وسنذكر بعضها . ونحن نعيش اليوم فى عصر لايمكن للإنسان فيه أن يلقى بشىء مستغنياً عنه تماماً ، فكل شىء ينفع ، ولكن لابد من تصنيعه ، وتقى الدين حلمى يصنع كل شىء من كل مادة يستعملها ، لابد أن أقول لك إننا لايمكن أن ننتظر أن يستطيع رجال الصناعة المصريون هؤلاء أن يسدوا كل حاجاتنا مما يصنعون ، فهذه نتيجة لن نصل إليها إلا مع الزمن ، ولكن المهم أننا نعمل ، وأن الدولة والشعب يتعاونان فى الإنتاج ، وفى يوم من الأيام قطعاً سنستطيع أن نسد كل حاجاتنا إلى جانب التصدير طبعاً ، ويكفى أن نقول إن كل صناعة مصرية اليوم تصدر بالقدر الذى يغطى أثمان مستورداتها من وسائل الإنتاج . وهذا يكفى الآن حتى نستطيع أن نستمر فى النمو فى بطء أحيانا ولكن فى ثقة وتمكن وعلى أساس علمى سليم .

وقد قدمت الكلام على الزيت لأنه أبسط وأقرب إلى المفهوم العام ، والحقيقة أن هذا الزيت بقية من إنتاج يصنعه تقى الدين محمود حلمى من الذرة الصفراء من احتياجات البلاد من السكروز ، وذلك باستخراج المادة البديلة من السكر ، وهى الهاى فركتوز ،

أى الفركتوز العالى . وكل بلاد الدنيا المتقدمة مثل الولايات المتحدة واليابان وكندا وبعض البلاد الأوروبية تنتجه ، لأن حاجات البشر من السكر كبيرة جداً لا يفى بها قصب السكر أو البنجر ، ولابد من إنتاج مواد سكرية أخرى تسد النقص ، وهى هنا الفركتوز العالى ، وقد قدرت طاقتنا الإنتاجية منه بألف طن فى العام توازى ٧٤ ألف طن من السكر . وقد استعانت الشركة المصرية بأكبر الشركات المنتجة للفروكتوز فى أوروبا وهى شركة إميلوم البلجيكية لتكون شريكها فى هذا المصنع والمشرفة عليه من الناحية الفنية ، ولدى هذه الشركة جهاز فنى لتقديم المعونة الفنية للعملاء فى مجال استخدامات شراب الهاى فروكتوز وإحلاله محل السكر جزئياً أو كلياً ، وتتعامل الآن مع شركة تقى الدين فى هذا المجال شركات القطاع العام والقطاع الخاص من شركات الصناعات الغذائية فى مصر ، ومن الهاى فروكتوز ينتج شراب الهاى فروكتووز ٤٢ وهو خليط من الجلوكوز والفروكتوز وهو يصنع من نشا الذرة عن طريق التحويل الانزيمى ليعطى محلولاً حلو المذاق ، فيه فركتووز ٤٢ ٪ و ٧١ ٪ مواد صلبة ، ويمكن أن تزاد نسبة الفركتووز ليستخرج فركتووز ٥٥ وهو أحلى وأكثر فائدة من الفركتووز ٤٢ ، والشراب بهذه النسبة غير ممكن الفساد ، ولايمكن أن تنمو فيه البكتريا أو الفطريات إلا إذا خف تركيزه عن هذه النسب . ويكفى هذا فى الكلام عن هذا المنتج المبدع لأننى فى الحقيقة لم أفهم من الكلام العلمى إلا هذا القدر ، ولكن يكفى أن نقول إن هذا الرجل يساعد مساعدة فعالة جداً فى توفير المواد المحلية فى مصر ، لأن كل بلاد الدنيا ــ حتى المتقدمة منها لاتستطيع إنتاج كل حاجاتها من السكر اليوم ، لأننا لانكتفى اليوم بتحلية مانريد تحليته من الطعام ، ولكننا ننتج البسكويت ومانشربه من الأطعمة الحلوة التى نقدمها مع الشاى مثلاً . ثم إننا نستهلك كميات كبيرة من الشيكولاتة ، والأولاد بالذات يستهلكون منها مقادير كبيرة ، ولابد أن نقول هذا ، لأننا نرى أن الكثير من مواطنينا قد استكثروا ارتفاع ثمن السكر إلى ١٦٠ قرشاً للكيلو مع أن ثمنه فى الحقيقة أغلى من ذلك بكثير ، ولانستبعد أن يرتفع ثمنه فى المستقبل القريب على ذلك ، والواقع الذى لاشك فيه هو أن جمهورنا لابد أن يخفض استهلاكه من السكر بدل لوم الحكومة ، ولولا الحكومة وماتقدمه من العون لما كان لدى أحد منا أكثر من ٢٠ فى المائة من حاجاته من السكر .

- **الصناعة والتصنيع**

بناء حاضر مصر ومستقبلها وأكل العيش

- **نبيه عزيز برزى**

والنهوض بالصناعات والفكر الصناعى فى مصر
علماء يخدمون الصناعة ويجتهدون لمستقبل
الصناعة فى مصر
اقتصاديون يفكرون فى مسائل التصنيع

- **حازم الببلاوى ورأفت عيسى**
ورأفت واصف وأسامة الخولى

- **الصناعة والتصنيع :**

بناء البلاد واقتصادها وصناعتها وأكل العيش

صناعات دون تقدم علمى

فى مدينة العاشر من رمضان عدد عظيم جدا من المشروعات الصناعية ، تستطيع أن تقول إنها مئات ، ولكنك رأيت مما سبق من كلامى وموضوعاتى التى تناولتها أننا لا نذكر هنا المشروعات التى تمثل انتقالات صناعية علمية فنية بمصر وأهلها إلى الأمام :

رأيت هذا فيما عرضت من أعمال محمد فريد خميس وتقى الدين محمد حلمى ولويس بشارة ، ففى هذه المشروعات تجد المواطن يبدأ بالفعل من مصر ومن صفر أى أنهم كلهم بدءوا العمل فى الصحراء ، ومن الصفرين ــ صفر الصحراء وصفر المال ينتقل الوطن إلى صناعة كاملة يتقبلها العالم كله بالترحاب ، هنا نجد مصر التى نحلم بها لا مجرد وطننا الذى نتحدث عنه ونتمدح فيه لأنه وطننا .

وهنا وجدنا سجاد محمد خميس والإسفنج الصناعى الذى ينتجه تقى الدين محمد حلمى ، ويقدم لنا بالعلم والبحث والصبر مراتب ووسائد وألحفة وكراسى وكنبا كاملا بالخشب وكل مايلزم للراحة والاسترخاء والنوم . وإلى جانب ذلك فهو يتسلم الذرة الصفراء ويستخرج لنا مقادير ضخمة من السكر وقد قلت لك إننا نعيش فى عصر نستهلك فيه من السكر والمواد الحلوة أضعاف ما كنا نستهلك فى الماضى ، وينتج لنا

الرجل من الذرة الصفراء نفسها زيتا صحيا ، وفى عصرنا هذا نحن لانريد أن نسرف فى استعمال السمن الذى يستخرج من اللبن لأنه ليس صحيا تماما أولا ثم إنه غالى الثمن ثانيا ، ثم إننا مهما نفعل فلن نجد لدينا مايكفى من اللبن للشرب والطعام أولا ولصنع السمن ثانيا ، وكذلك الحال مع المبدع لويس بشارة الذى يصنع نسيج القطن ويصنع منه أقمصة تروع النفس باتقانها وعصريتها حتى إن مصانع أوروبا تشتريها وتكتب عليها اسمها وتوزعها على أنها من صنعها لأنها تشتريها من لويس بشارة بأقل من خمسين جنيها وتبيعها بمائة وخمسين جنيها وزيادة .

هذا هو طراز المواطنين الذى أقول إنه يبنى مصر اليوم وهناك مصريون آخرون كثيرون ينشئون مشروعات ينفذونها دون سرقة ولكنها مشروعات بسيطة لاترمى إلا إلى الكسب دون تفكير فى وطن ، وقد رأيت فى مدينة العاشر من رمضان كثيرا جدا من هذه الشركات مثال مشروع وحيد الصوفى مع ناصر طاحون وهو مشروع ضخم يشمل عدة شركات منها شركة زينوسيس وهى تصنع الأقلام الجافة التى نكتب بها كل يوم ، ومصر تستهلك منها فى اليوم مئات الألوف ولهذا فالشركة كبيرة جدا ولكنها لاتفعل أكثر من أن تستورد مادة القلم الجاف وقطعة النحاس التى تجدها فى الغطاء ثم معجون الحبر الجاف أى أنها فى الحقيقة لاتضيف إلى مصر شيئا لأن زينوسيس إذا لم تصنع ذلك صنعته شركات أخرى كثيرة مصرية أيضاً لأن البلد لاتستغنى عن أقلام الحبر الجاف ، ولابد أن نذكر هنا أن الشركة التى أتحدث عنها تصنع الأقلام وتبيعها كاملة جاهزة للاستعمال فى علب متقنة وجميلة ، ومن هنا فإننى لا أقول إن الشركة تضر مصر إذ إنها فى الواقع تنفعها ولكنها لاتتقدم بها وأنا أذكرها بالخير ولكننى لا أضع أصحابها مع جيل الستينيات الذى يبنى مصر .

وهذان الرجلان ــ وربما كان لهما شركاء ــ يملكون فى العاشر من رمضان وفى المبنى نفسه شركة سانكو ، وهى تصنع الكراريس والكشاكيل وأدوات الكتابة ، ولو تصورت مقدار الكراريس والكشاكيل التى يستهلكها تلاميذ مصر لتصورت حجم مصانع هذه الشركة فهى فى الواقع ضخمة جدا : قاعات تقطيع الورق فى الأحجام المطلوبة وقاعات كثيرة لصناعة الكراريس والكشاكيل وتجليدها وقاعات لعمل علب البيع وهى من

الكرتون وهى متقنة جدا ، وهى تبيع كل ماتصنعه ، ولكنها لاتضيف شيئا إلى صناعة مصر وتقدمها فهى تستورد كل شيء : الورق والكرتون والصمغ والقماش وكل شيء ، حقا أنها تصدر ملايين علب الكراريس والصناديق إلى البلاد العربية وتحصل على ملايين الدورلات التى تحتاج اليها لشراء مواد الصناعة اللازمة لها ولكن مصر لاتكسب شيئا ، ويعمل فيها مئات العمال ، وهى تساعد عمالها أى أن لها نشاطا اجتماعيا واسعا .

ويتبع هؤلاء الرجال مصانع شركة كوميت وهى تصنع السولوتيب أى شرائط البلاستيك الشفاف المصمغ والمواد اللاصقة ، وهنا أيضا تخرج الشركة مقادير هائلة من هذه الأصناف التى تحتاج إليها مصر ولكنها لاتضيف شيئاً لمصر ، إن هى فى الحقيقة إلا مصانع إنتاج تستورد كل شيء وتصنعه وتبيعه ونحن نشكرها ولكننا لا نقول إن أصحابها من جيل الستينيات الذى يبنى مصر اليوم والغد ومثلهم فى ذلك مثل منتج الجبن الأبيض ، الذى تحدثت عنه فهذا رجل يستخدم جزءا كبيرا من رأس ماله فى استيراد الجبن الأبيض من هولاندا وسويسرا وفرنسا وايرلاندا ، ومصر كما نعلم تستهلك مقادير هائلة من الجبن الأبيض وتصور مانستهلكه منه فى الإفطار والعشاء خاصة ، ومصر لاتصنع من لبنها إلا ثلاثين فى المائة على الأكثر مما تحتاج إليه من ذلك الجبن الأبيض وهذا الرجل الذى يستورد الجبن لا يريد أن يتطور ، ولو كان فريد خميس مكانه لكانت له خطة يستكمل بها صناعة الجبن الأبيض كاملة فى مصر ، أى أن العامل القوى فى نفس محمد خميس لا يسمح له بأن يظل عمره كله مستوردا لمواد الجبن الأبيض ، ولابد أن يصنعه كاملا كله مستوردا لمواد الجبن الأبيض ولابد أن يصنعه كاملا فى يوم من الأيام ولهذا فأنا أضعه بين رجال جيل الستينيات .

ورأيت فى مدينة العاشر من رمضان مصانع ضخمة وهائلة ولكنها من هذا الطراز ، ومن ذلك شركة ضخمة تصنع اليايات وأنت تعرف أن هذه اليايات تدخل فى كل شيء من السيارات إلى الموتوسيكلات والدراجات والثلاجات وكل شيء لأن المعادن صلبة ولايمكن تحريك أجزائها إلا باليايات ، ومن هنا فإن أحجامها وأصنافها مئات ، ومقادير مايصنع منها ملايين ، والشركة التى تصنعها فى مصر ضخمة جدا وهى قطعا تنفع مصر

ولكنها لاتتقدم بها ولاتنشىء فيها تكنولوچية تقدمية للغد ، وهذه أيضاً نحن نشكر أصحابها ونقدرهم ولكنهم ليسوا من قواد بلادنا فى التقدم .

وهناك أيضا شركة صناعات معدنية كبرى تصنع الأدوات الهندسية وهى مئات الأشكال ويكفى أن تتصور كم صنفا فى مصر من الأقفال والمفاتيح والمقصات وأدوات المطابخ والسيارات ومالحتاج إليه المصانع من قطع معدنية ومواسير ذات أحجام كثيرة جدا ولكنها معروفة ، وهذه الشركة ضخمة جدا ومصانعها تدهش الإنسان ولكنها لاتبهر النفس ، ومن هذا الطراز شركة كبيرة جدا لصناعة زجاج السيارات ونحن نعرف أن مقاييس زجاج السيارات عشرات لكل منها انحناؤه وطوله وعرضه وألوانه ، والشركة التى تصنعه تستورد الزجاج قطعا مستقيمة فى الأحجام المطلوبة ، ثم تقوم هى بإتقان قطعها وعمل انحنائها وقد تلونها ، وهى تستورد كل شىء ، ولاتضيف إلا العمل ، وهى إذن شركة تصنيع لا شركة صناعة ، وهى تخدم مصر خدمة صغيرة جدا لأنها إذا لم تصنع هذا الزجاج صنعته شركات أخرى ، وبالفعل هناك فى مصر شركات أخرى كثيرة تصنع هذا الزجاج بالطريقة نفسها وليس من الضرورى فى هذه الحالة أن تكون شركات التصنيع هذه مصرية خالصة بل إنها تأخذ شركاء من البلاد العربية وربما من أوربا لأن كل مطلبها هو الكسب المادى .

وقد ذهبت من أيام لشراء وعاء من التيفال ، وهى أوعية من الألومنيوم يغطون داخلها بمادة كيميائية تسمى التيفال تمنع التصاق الطعام بالإناء ، وأنا تعودت أن أشترى إناء تيفال زهران أو تيفال الأهرام ، وهما شركتان صناعيتان ممتازتان تصنعان التيفال وأدوات الألومنيوم والصلب الذى لايصدأ (ستينلس ستيل) ولكنى لم أجد فى المحل الذى ذهبت أشترى منه إلا صنفا جديدا من التيفال يسمى نوفال ، وهو متقن تماما كغيره فاشتريته وقلت فى نفسى ؛ ناس يمارسون التصنيع ليعيشوا فلماذا لا أشترى أشياءهم ؟ ولكن الفرق جسيم جدا بين صناع النوفال من ناحية والزهران والأهرام من ناحية أخرى فهذان ينهضان بمصر ويصنعان المستقبل .



نبيه عزيز برزى
والنهوض بالصناعات والفكر الصناعى فى مصر

ومع احترامى التام للذين يمارسون التصنيع لأكل العيش فإننى لا أستطيع أن أقارنهم برجل مثل نبيه عزيز برزى وهو رجل صناعة طموح ممن يبنون مصر فعلا ، وهو من جيل الستينيات فقد ولد فى ٨ أبريل ١٩٣٣ بمحافظة الإسكندرية ، ودرس فى مصر أولا ثم فى انجلترا ثانيا ، ومن جامعة نوتنجهام فى انجلترا حصل على بكالوريوس هندسة غزل ونسيج ، وعاد إلى مصر سنة ١٩٥٩ ، وبدأ حياته العملية فى مصر بوظيفة مدير مصانع كاسترو للنسيج بشبرا الخيمة (١٩٥٩ ــ ١٩٦١) ثم ارتقى إلى درجة شريك متضامن ومدير مسئول بهذه الشركة ثم عمل فى غيرها حتى سنة ١٩٧٥ وكسب فى أثناء ذلك خبرة كبرى بكل شئون الصناعة .

بعد ذلك مباشرة تجد حب مصر والطموح الذى يملأ نفسه وارتفاع الهمة تدفعه إلى إنشاء شركات مصرية خالصة تقوم بصناعة النسيج ، فأنشأ شركة برزى وزايا للمنسوجات ، ثم الشركة العربية للنسيج الحديث ، ويرتقى بالصناعة إلى مستوى بعيد ، ولو أراد لصدر كل إنتاجه ، ولكنه ما كان ليصدر إلا ما يحتاج لثمنه لشرا ما لابد منه للنهوض بصناعته التى كانت تتوسع مع الزمن . ثم خطا خطوة واسعة أخرى إلى الأمام فأنشأ شركة أبو سنبل للصباغة والتجهيز وبذلك تطورت صناعته ودخلت فيه الكيمياء وأصبح الرجل فعلا من بناة حاضر مصر ومستقبلها ، بهذه المناسبة اقول لك إن هذا الطراز من الرجال لايفكر قط فى غش أو خيانة أو سرقة لأن أخلاقهم متينة جدا ثم

إن العمل الجاد المتصل يأتيك من الربح بأصناف مايمكن أن يأتى به الغش أو السرقة لأن السرقة ، لايمكن أن تصنع إنسانا محترما أو حتى غنيا ، وقد عرفت ــ من بعيد ــ رجلا لصا كان لايعامل الناس إلا بالسرقة ، وماله كان كثيرا ولكن الرجل نفسه كان حقيرا ، وما رأيته إلا رأيت رأسه منخفضا كأن السرقة تكسر رقبته ، وبلغنى فيما بعد أن واحدا من رجاله أفسد إحدى بناته فحملت منه وهى فى حدود العشرين ولم يستطع الرجل إلا أن يزوجها منه محافظة على اسم حفيده ، ثم دفع له عشرة آلاف جنيه ليطلق منه ابنته .
ألست ترى هنا أن السرقة لاتنفع ، وأنها تكسر الرقبة وتذل الرأس ؟

وأعود إلى نبيه عزيز برزى فأقول إنه أنشأ سنة ١٩٧٤ شركة برزى للتريكو والملابس الجاهزة ، وهى شركة واسعة جدا تنتج مقادير ضخمة وممتازة من البولوفرات للرجال والسيدات وشتى أصناف التريكو وكل أصناف الملابس الجاهزة بأشكال غاية فى الدقة والجمال ، وصادراته للبلاد العربية وغيرها كثيرة جدا ، وبفضل هذا الرجل وأمثاله تغطت حاجات مصر من الملابس الجاهزة . ونحن كما نعرف بلد كثير السكان ، ولم يعد أحد اليوم يستطيع أن يلبس ملابس تفصيل إلا إذا كان حجم وشكل جسمه غير عادى ، ومع ذلك فإن هؤلاء يشترون أوسع أصناف الملابس الجاهزة ، وتقوم زوجاتهم بتوسيعها لكى يستطيعوا الدخول فيها . ومن بواقى الأموال أنشأ نبيه برزى مصانع برزى للحلويات والأغذية ونحن نحتاج اليوم إلى مقادير ضخمة من الأطعمة المصنعة ، فلم يعد لدى الناس وقت لشراء الخضراوات نيئة تماماً ثم طبخها كما كانت أمهاتنا يصنعن فكن يطبخن طول النهار ، لأن البيت كان عملهن الوحيد ، أما اليوم فمعظم النساء عاملات أو موظفات ، وهن يبارحن بيوتهن فى الصباح ولا يعدن إليها إلا فى الرابعة بعد الظهر بعد هلاك وإرهاق فى وسائل مواصلات أنت تعرفها . هنا أرجو ألا يضحك الناس من السيدات اللائى يعملن بإعداد الخضراوات مثل البامية والفاصوليا واللوبيا والكوسة فى مكاتب الحكومة لأن العمل فى هذه المكاتب قليل ، وبدلا من إهدار الوقت فهن يعملن هذه الأعمال ويعدن إلى البيت بعد الظهر بالخضار معدا للوضع على النار مع قليل من اللحم ، والأسرة كلها تتغذى فى الخامسة بعد الظهر ، ولهذا فإن مشاركة نبيه برزى فى إعداد الأطعمة والحلوى، تعد معاونة حقيقية للأسر المصرية على

الحياة خاصة أن نبيه برزى وأمثاله عندما يدخلون هذه الصناعات فإنهم يدخلونها بأمانة وكرامة ، وأنت عندما تشترى بضاعتهم فإنك تأخذ بقدر نقودك اللهم إلا إذا أدخلنا هنا سوء تصرف الكثير من البقالين الذين يرفعون الأسعار ويسرقون الناس دون حياء .

وبهذه المنشآت والخبرات أصبح نبيه عزيز برزى من كبار رجال الفكر الاقتصادى والصناعى فى مصر ، وهو طبعا غنى جدا . وغناه كله حلال ، وهو عندما ينشىء شركة مثل شركة المنتجات الحديثة للتعبئة والتغليف فهو قطعا يخدم الناس أكثر مما يكسب منهم ، وصناعته هنا لابد ستنهض وتكمل نموها ، ومن الواضح أننا نخوض اليوم معركة اقتصادية ولابد أن نكسبها وإلا فلا مفر من الموت ، والأساس الأكبر لكسبها هو الأخلاق فقبل العلم والدراسة والاقتصاد والتجربة لابد أن تكون هناك الأخلاق .

ولايمكن أن يبنى بلد إلا على الأخلاق . ولاتصدق من يقولون لك إن مصر كلها «حرامية» فهذا غير معقول لأن الغالبية الكبرى من المصريين ناس أشراف أفاضل . وهأنذا قد أعطيتك أمثلة كثيرة من رجال ممتازين يبنون مصر فعلا أما اللصوص فهم فى الواقع يسرقون أنفسهم قبل أن يسرقوا الآخرين .

وطبيعى أن يكون نبيه برزى عضوا فى جمعيات علمية وصناعية كثيرة جدا فى مصر وخارجها فهو عضو جمعية رجال الأعمال المصرية وعضو اللجان الاقتصادية فى الحزب الوطنى الديمقراطى المصرى وعضو مجلس الأعمال المصرى الأفريقى وعضو غرفة الصناعات الغذائية وعضو صناعة الغزل والنسيج وغير ذلك كثير .

حازم الببلاوى

وعندما نتكلم عن الصناعات فإننا ينبغى ألا نهمل رجال العلم الذين لم تتح لهم فرصة إنشاء صناعات ولكنهم يخدمون الصناعة المصرية . فهؤلاء يعملون باجتهاد فى خدمة ذوى الملكات العلمية الصناعية . خذ مثلا حازم الببلاوى واسمه الكامل حازم عبد العزيز الببلاوى ، فهذا رجل أنفق معظم جهوده فى الجامعات والبنوك وهذا الرجل درس فأطال الدراسة فقد ولد فى القاهرة فى ٧ أكتوبر ١٩٣٦ وتخرج فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة سنة ١٩٥٧ وفى السنة التالية حصل على دبلوم الدراسات العليا فى الاقتصاد السياسى وبعد ذلك بعام (١٩٥٩) حصل على دبلوم الدراسات العليا فى القانون العام وبعد ذلك بعامين (١٩٦١) حصل على دبلوم الدراسات العليا فى العلوم الاقتصادية من جامعة جرينوبل فى فرنسا . وفى سنة ١٩٦٤ يحصل على درجة دكتوراه الدولة فى العلوم الاقتصادية من جامعة باريس ومعنى هذا أن الرجل منذ أن دخل الكتاب فى مصر إلى سن الثامنة والعشرين لم يعرف غير العلم والدراسة ، وهذا فى الحقيقة أمر هام بالنسبة لجيل الستينيات ، فهو جيل بلا طفولة ولا صبا ولا شباب وإنما هم رجال منذ تخطوا الخامسة من العمر (وهذا أيضا حال الظاهرين من أهل جيلنا وهو جيل الثلاثينيات فأنا لم أكن غلاما أو شابا فى يوم من الأيام إنما هى المسئولية والرجولة دائما أبدا) .

بعد هذا عاد إلى مصر وأول ما عمل كان فى مجلس الدولة فى القاهرة من ١٩٥٧ إلى ١٩٦٠ ثم اختارته الكويت ليعمل فى جامعتها فعمل مدرسا وأستاذا مساعدا من ١٩٦٩ إلى ١٩٧١ وهناك عرفته وعرفت جده واهتمام الناس هناك به ، وفى الكويت أيضا عمل بالصندوق العربى للإنماء الاقتصادى والاجتماعى من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٦ وفى الوقت نفسه عمل فى هيئة التدريس بجامعة الإسكندرية حتى ١٩٨١ .

ثم عمل فى شركات صناعية فى فرنسا ثم عاد إلى مصر سنة ١٩٨٣ وقد حمل زادا ضخما مع العلم والتجربة وعين رئيس مجلس إدارة البنك المصرى لتنمية الصادرات ومازال فى هذه الوظيفة إلى الآن ، فتصور مقدار الخبرة الاقتصادية والقانونية والاجتماعية لدى هذا الرجل ومقدار من أفادوا عنه من المصريين والعرب ، إن علم هذا الرجل وأمثاله أساسى تنقصنا فى بلادنا فكرة الاقتصاد لجمع رءوس الأموال اللازمة لإنشاء الشركات وكذلك تنقصنا الجرأة على المغامرة بأموالنا فى إنشاء الشركات ، فإن هذا العلم الغزير الذى تضمه صدور أمثال حازم الببلاوى هى أحسن تمهيد لدخول مصر عالم الصناعة الدخول الواجب لتنتقل بالفعل إلى مرحلة الصناعة الضخمة التى لا مفر لنا منها إذا كنا لا نريد أن نعانى من أزمات البلاد التعيسة التى لاتسلم قط من الجوع والمرض .

د. رأفت عيسى

ومثل حازم الببلاوى نجد رأفت مصطفى عيسى الذى ولد فى أول فبراير ١٩٣٤ ودرس فى مدارس مصر وجامعة القاهرة حتى حصل منها على بكالوريوس الكيمياء سنة ١٩٥٣ وحصل على الماجستير فى الكيمياء من الجامعة نفسها ١٩٥٦ ثم يذهب إلى البعثة فى ألمانيا الغربية ويحصل على دكتوراه الكيمياء ١٩٦٢ ثم يعود إلى مصر ويلحق بوظائف أكاديمية شتى بجامعة الإسكندرية من ١٩٥٧ إلى ١٩٦٨ ، ثم يشتغل فى وظائف هيئات تدريس جامعية فى أسيوط وطنطا حتى يصبح رئيس جامعة طنطا ١٩٨٥ ، وهو عضو فى جمعيات علمية شتى فى الكيمياء ولو أنك أردت إحصاء أعداد طلابه لما استطعت لأن هؤلاء الرجال كالبذور التى لاتجد تربة صالحة إلا أنبتت .

رأفت كامل واصف

ولابد أن أذكر هنا رأفت كامل واصف وإن كان قد ولد سنة ١٩٢٦ وتخصص فى العلوم فحصل على البكالوريوس سنة ١٩٤٦ وحصل على دكتوراه العلوم من جامعة القاهرة سنة ١٩٦٨ وفى سنة ١٩٨٦ يصبح رئيس قسم الفيزياء بجامعة القاهرة ومازال وهو فى هذه الوظيفة يشترك فى كل جمعيات الفيزياء فى مصر والكثير من بلاد أوربا بل إنه أنشأ الجمعية المصرية لعلوم الجوامد وتطبيقاتها والمجلة المصرية لعلوم الجوامد وكتبه ومؤلفاته كثيرة وكل حياته خير وبركة وبناء لمجد هذا الوطن .

أسامة أمين الخولى

ويطول بنا الأمر لو مضينا نحصى هذا الطراز من أهل العلم المصريين الذين يساهمون بعلمهم فى بناء مصر الصناعية ، فإن مصر بلد علم ومعرفة ودراسة ، ولكنى أختم هذا الفصل بالكلام على أسامة أمين الخولى وهو ابن استاذنا العظيم أمين الخولى الذى أحسن تربية أولاده وأخرج منهم أمثال أسامة الخولى وسمحة الخولى وهما دون شك عبقريان من عبقريات الستينيات وقد ولد أسامة الخولى فى ٩ أكتوبر ١٩٢٣ وحصل على بكالوريوس الهندسة مع مرتبة الشرف سنة ١٩٤٤ ثم ذهب فى بعثة وحصل على دكتوراه الهندسة سنة ١٩٥١ من انجلترا ودخل فى سلك هيئة التدريس بجامعة الإسكندرية ، وتقلد بعد ذلك مسئوليات ثقافية كثيرة ، فقد كان مديراً عاما مساعدا فى المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم (١٩٧٧ ــ ١٩٨٠) وهى هيئة الجامعة العربية المعادلة لليونسكو ، وهو عضو فى هيئات صناعية مصرية كثيرة نكتفى بأن نذكر منها المجلس الأعلى لصناعات الورق والطباعة والنشر ونشاطه مازال مستمرا ومؤلفاته عديدة بالعربية والإنجليزية .

- **وزراء الأمس ووزراء اليوم**

- **يوسف والى**

وزير زراعة مصر ابن عائلة كريمة
يخدم شعبا كريما

- **حسب الله الكفراوى**

رجل يبنى مصر بلحمه وعظمه ودمه

وزراء الأمس ووزراء اليوم

فى هذه الدراسة لا يمكن أن نهمل الكلام عن الوزراء لأننا نعيش اليوم مع وزراء من الطراز الجديد ، فالوزير اليوم يشعر بأنه فى خدمة مصر وشعب مصر ، والوزير فى الماضى كان يشعر بأن مصر وشعبها فى خدمته ولا دخل هنا لجودة الوزير أو عدم جودته وإنما هو مفهوم عام يؤمن به الوزراء ويسلم به الشعب ، ففى الماضى عندما كان الرجل يعين وزيرا كان يشعر أن مرتبته الإنسانية قد ارتفعت عن مرتبه بقية الشعب وإذا لم يكن يعيش فى فيلا انتقل إلى فيلا واتخذ البواب والخدم والطباخ ، وامرأة الوزير كنا نجد أنها اتخذت لها خادمات وذهبت فاشترت ملابس معالى الوزير من محلات معينة أهمها شيكوريل ، وفى هذا المحل بالذات كان الدور الثالث فيما أظن لمعالى الوزيرات ، وأنا أعرف ذلك لأنهم طردونى منه طردا عندما دخلته خطأ .

وفى ذلك العصر ــ عصر الباشوات ــ أخذت موعدا من وزير لكى أجرى معه حديثا والوزير كان وزير زراعة وكان قد رحب بفكرة الحديث وفتح لى ذراعيه بل أخذ يجتذبنى ويرغبنى فدعانى للغداء على طريقة الوزراء فقال شوف إن غدا يوم جمعة وأنا فى ذلك

اليوم أعمل طعاما للمساكين وإن قلبى لينشرح عندما أعود من الصلاة وأجد هؤلاء المحرومين يأكلون ما هم محرومون منه وخاصة البط والديك الرومى والأرز الممتاز بالسمن البلدى الكثير ، وبعد لحظة قال ما رأيك فى أن تصيب من هذا الطعام قبل الحديث تعال بعد الصلاة مباشرة ، وذهبت فما وجدت مساكين ولامحرومين وإنما وجدت نفسى وحدى وأمامى أطباق جميلة فيها شيء من الديك الرومى وشيء من البط والأرز والكفتة والصلصة فأكلت حتى امتلأت نفسى ولا أنسى أن أقول إننى عندما وصلت الفيلا منعنى البواب ونهرنى وقلت له إننى على موعد فأمرنى بالانتظار خارج الباب الحديدى المقفل ودخل ثم عاد ففتح الباب وقال : خش ووجدت خادما أنيقا يسير أمامى كأنه سيدى حتى أدخلنى غرفة الطعام وعندما حكيت ذلك كله للوزير قال : هؤلاء الأغبياء ! مع إننى قلت لهم إننى دعوتك وإنك ضيف شرف ، ولكن هذه عادتهم يا أخى ! وذلك طبعهم فلا يكن فى نفسك شيء من ناحيتهم وفهمت أن هذه هى طريقة أصحاب المعالى الوزراء فى معاملة الناس ، فلا بد أن يشعروا الناس أنهم أعلى منهم ولايمكن أن ينظروا إليهم إلا من فوق . قارن هذا بوزراء اليوم . وكيف يتصرفون على أنهم من الشعب وفى خدمة الشعب وأحكى لك حكاية تغنى عن كثير فقد كان عندى ذات مرة موعد مع وزير الإعلام وأظنه محمد فائق وذهبت أنا وعدد من الكتاب والصحفيين لاستقبال عدد من الضيوف الأجانب وكان الموعد على بالى ، ولكننى كنت فى مشكلة فقد كان لابد أن أذهب إلى انجلترا مع ابنى رحمة الله عليه لكى يدخل امتحان زمالة الجراحين وكان هو يصر على أن يكون نزولنا فى فندق درجة أولى وكنت أنا أنزل عادة فى فندق درجة ثانية ولكن نظرا لأهمية ذلك الامتحان فقد كنت أفكر فى طريقة أجمع بها المال اللازم ولا أدرى كيف ، فكنت فى طريقى إلى البنك مع ابنى فى سيارته وفى موقف عند قصر محمد على بالمنيل لحقت بنا سيارة الوزير محمد فائق ، فذكرنى بالموعد فحكيت له الحكاية ففكر قليلا وقال لا داعى لذهابك إلى البنك ، فهذه مسألة قومية ، مر علىّ فى مكتبى الإضافى بين حدائق النزهة والنيل . وشكرته وتقدمت السيارات ثم وجدت سيارتى مرة أخرى إلى جانب سيارة الوزير فقال أنت تذكر الموعد طبعا قلت أجل قال وهل أنت متأكد أين ؟ قلت فى مكتبك فى الوزارة ، قال هأنت قد نسيت ! تعال

ورائى بسيارتك ستدخل معى قصر الثورة وأرتب لك مسألة النقود فى لندن وتستريح قبل أن تلقى الضيوف وبالفعل سرت وراءه وأوصلنى ابنى ثم اعتذر ومضى وأنا رتبت الأمر مع الوزير فاتصل بلندن وأمرهم بأن يدفعوا لنا أجر فندق جروفنر فى لندن ويومها تغديت مع الوزير وأخذت منه أسماء من اتصل بهم فى لندن قبل مقابلة الضيوف وأظن أننى أرضيت الوزير جدا فى أحاديثى مع الضيوف بل إن واحدا منهم كان يملك مزرعة وبيتا ريفيا جميلا فى سانت أندروز فى جنوب أسكوتلاندا فدعانى مع ابنى وقضينا أسبوعا فى أجمل مدن بريطانيا للتمشى بين مساحات الخضرة الجميلة والتفرج على لعب التنس والجولف .

وأنا لا أستطيع طبعا أن أكتب عن كل الوزراء فإن عددهم فوق العشرين وكلهم ممتازون لأن الله سبحانه وتعالى رزقهم رئيس دولة ممتازاً ومعلما تجرى فى نفسه طبيعة المعلم ، وهو يعتبر نفسه معلمنا جميعا فهو يتحدث مع محمود الجوهرى كأنه الرياضى ويقول له ياجوهرى ويمدحه ويرجو منه أن يستمر على عمله الرياضى العظيم ومع مثل هذا الرئيس لايمكن أن يكون هناك إلا وزراء ممتازون ومادمت لا أستطيع الحديث عنهم كلهم فلابد أن أختار وأنا عندما أختار أؤمن بأن كل كلمة أقولها عن كل منهم تصدق على الباقى فكلهم من المدرسة نفسها وكلهم تلاميذ الأستاذ نفسه وكلهم من جيل الستينات الذى يبنى مصر اليوم ، ولهذا فسأكتفى بالكلام على يوسف أمين والى وزير الزراعة وسليمان متولى سليمان وزير الاتصالات وحسب الله الكفراوى وزير التعمير والمدن الجديدة وبطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية وعادل عز وزير البحث العلمى .

يوسف والى
وزير زراعة مصر ابن عائلة كريمة يخدم شعبا كريما

لو كنا فى الماضى لكان يوسف والى من طراز صاحب المعالى الباشا الوزير الذى حدثتك عنه ، ولكنه من وزراء عصرنا وتلميذ مبارك فهو وزير رفيع لايحس بنفسه إلا فى خدمة الناس ، بل هذا وزير معاصر فى خدمة الشعب ، وهو لايخدم الشعب تفضلا بل لأنه يخدم نفسه بذلك وماوجدت إنساناً إلاّ وجدته راضيا عنه سعيدا به ، وهذا أجمل مايصل إليه الإنسان ، ولد يوسف أمين والى فى ٢ أبريل ١٩٣٠ فى محافظة الفيوم ، وهو ينتسب إلى أسرة كريمة غنية ، ولكنه يحس ويتصرف على أن ثروته الحقيقة هى حب المصريين له ورضاهم عنه . درس الزراعة وحصل من جامعة القاهرة على البكالوريوس والماجستير وفى سنة ١٩٦٢ حصل على الدكتوراه وختم دراسته وبدأ حياته العملية ، فهو على هذا عضو حقيقى فى أسرة جيل الستينيات ، وبدأ حياته العملية فى ليبيا وقضى هناك سنوات ظهرت فيها مواهبه وزادت خبرته ، وعندما عاد إلى مصر سنة ١٩٦٩ بدأ بوظيفة ممتازة ومسئولية فنية كبرى فكان مستشارا علميا للقوات المسلحة ولعلك لاتعلم أن القوات المسلحة لها مزارع ومعامل زراعية وحيوانية لأنها تقوم باطعام رجالها وتعد لهم بنفسها هذا الطعام . وبعد سنتين يصبح فى سنة ١٩٧١ مستشارا ونائب رئيس الوزارء لقطاع الزراعة ، وبعد سنتين يعينونه رئيسا لتحرير مجلة الفلاحة المصرية ، ومازال رئيسها إلى اليوم . وأنا أعتقد أن هذه المجلة لا تؤدى واجبها كما ينبغى ، ففى انجلترا

يصدرون مجلتهم الزراعية على أجود ورق ويصورونها بالألوان الجميلة لأنها مدرسة المزارع ودليله وفخره وزينة بيته ، أما نحن فى مصر فلا نهتم بالورق أو الصورة أو الألوان ، وننسى أن المزارع لايقرأ الكلام إلا إذا كان جميلا على ورق ممتاز لأنه شبعان من الكلام وجوعان إلى الجمال . وفى سنة ١٩٨٢ يدخل السياسة ويصبح وزير الزراعة ثم نائب رئيس الوزاراء للزراعة ، وتهجم عليه السياسة ، وهى وحش مفترس فيصبح عضو المكتب السياسى وأمينا مساعدا للحزب الوطنى الديمقراطى ، وتلك هى الوظيفة التى تفترس وقته ولاتدع له وقتا حتى لنفسه لأن الوظائف السياسية الكبيرة قاسية وهى خداعة وخطرة فهى تجلب عليك المنافسات وتثير عليك المؤامرات ، وبدلا من أن تعمل لخدمة الناس تجد أن معظم وقتك يضيع فى الدفاع عن نفسك .

وهذا هو الجو الذى يعيش فيه يوسف والى منذ سنة ١٩٨٥ جو مؤامرات ودسائس وأكاذيب لاتعرفها نفسك ولاتقبلها ، ولكن لامفر له من مواجهتها وحماية نفسه من أضرارها . وصدقنى أننى على رغم تواضع مكانى الوظيفى بالنسبة لهؤلاء فإننى أجد أن نعمة الله الكبرى علىّ أننى عرفت كيف اتحامى الوظائف الحكومية الكبيرة وماتفرضه على أصحابها من ذل وشر .

ومهما قال خصومه فأنا أقول إن يوسف والى هو قلب النظام الحالى وروحه ، أى أنه مصدر سعادتنا واطمئناننا وراحة أنفسنا فى حين أن خصومه لا عمل لهم إلا الكفاح فى سبيل أنفسهم ، ومهما كسبوا فنحن لا نكسب شيئا ، فى حين أن أى كسب ليوسف والى هو كسب حقيقى لكل منا على حدة .

وخصوم يوسف والى يعرفون أنهم لايستطيعون مواجهته ، ولهذا فهم يلجئون إلى الحرب الخلفية بكل شرورها فإن الرجل يتخذ طول اليوم قرارات قومية خيرة ، وهؤلاء الأعداء يتجهون إلى إيقاف التنفيذ ، وتلك هى المصيبة ، فأنا أعرف أن قرارات يوسف والى لو نفذت لعالجنا من سنوات مشاكل أزمات الزراعة والحيوانات والطيور والأسماك ، ولكن شيئا لاينفذ ، والرجل فى تلك الطاحونة يوما بعد يوما وشهرا بعد شهر وسنة بعد سنة ، واذكر أن قراراته فى معالجة أزمة المواشى من بقر وجاموس وغنم كانت كافية لتجعلنا من أعظم بلاد الدنيا ثروة حيوانية ، ولو كنت مكانه لتركت وظائف الحزب ،

وركزت على شركات أنشئها يمالى وأرعاها كما يرعى محمد فريد خميس مصانعه للسجاد والموكيت ، وفى مصر مثلا بحيرة المنزلة ، وهى ضحية نفر من لصوص الأسماك وكل منهم له عصابة ، ويوسف والى يعرف ذلك ولكنه لايستطيع أن يعلن عليهم الحرب لأنه رجل سياسة وقراراته تعتبر سياسة ولابد من أساليب ومماطلات سياسية لتنفيذها ، وهؤلاء اللصوص يجدون فى أعداء يوسف والى خير معين لهم من تحت لتحت كما نقول ، وبهذا فإنهم يمرحون كما يشاءون ويرفعون القضايا ويستعينون بمحامين من الحزب الوطنى الديمقراطى وتصبح القضية قضية حرب شخصية ، ويوسف والى رجل شريف لايعرف الكذب أو الدس أو الإفساد «من تحت لتحت» ولهذا فهو دائما فى الموقف نفسه وأحوالنا الاقتصادية تسوء يوما بعد يوم ، بل إن الجنيه المصرى يهبط كل يوم ، هذه مسألة لاتكاد تفهم ، وأنا شخصيا أقول ليوسف والى دعك من الحزب والسياسة وركز على مشروع واحد مثل مشروع أسماك بحيرة المنزلة أو أسماك بحيرة ناصر وسترى كيف ، أن نجاحك سيزداد لأن شياطين السياسة لن يجدوا فيك خصما بل مواطنا يستحق المعاونة بل إن هناك مشروعا لعلاج مشكلة الجاموس فى مصر وهو مشروع عظيم يمكن علاجه بنبات الأمشوط وهو نبات ينمو فى أراضى المستنقعات الملحية فى شمال شرقى الدلتا من تلقاء نفسه ، وهو يحتمل ملوحة الأرض ، والجاموس يأكله بشراهة ، وهناك مساحة واسعة لهذا الأمشوط شرقى بحيرة المنزلة إلى الشمال الشرقى ولو أخذها يوسف والى وركز عليها لحصلنا على مئات الألوف من الجاموس والأبقار كل سنة ، بل لاستطعنا أن نحمى العجول من الذبح ، فتنمو وتنجب وتعطينا ثروة حيوانية كبرى ولكنهم يحاربونها لأنهم يحاربون الأمين العام للحزب الوطنى ، وهم طامحون فيها ، وأنا أقول له : أما شبعت من وظائف الدولة والحزب ومتاعبها ؟ يكفيك ماعانيت إلى اليوم ، فدعها وخذ فى مشاريع مثل أسماك بحيرة السد العالى وأسماك بحيرة المنزلة ومستنقعات الأمشوط وسترى كيف أن نجاحك سيكون أضعاف ماتتصور ، بل سترى أن السياسة كلها شر وضرر . . جرب ياسيدى مرة واحدة وسترى .

حسب الله الكفراوى

رجل يبنى مصر بلحمه وعظمه ودمه

عرفت مصر قبل الكفراوى وزراء تعمير وإسكان كثيرين ، بل كان فيها دائما وزراء تعمير ، ولكنهم كانوا يبنون بالقلم وهم مكانهم لا يتحركون ، بل لا عليهم إن كان مايأمرون ببنائه يتم بناؤه أو لا يتم ، فالذى يهمهم قبل كل شىء أن يظللو وزراء ، أما حسب الله محمد الكفراوى فلا يهمه أن يبقى وزيرا أولا يبقى ، ولكن الذى يهمه هو أن يقوم الإنشاء فى مصر ويستمر وأن يكون ما يبنيه بناء حقيقيا يحل مشاكل الناس ، ولهذا فإن البناء هو حياة هذا الرجل ووجوده . وتستطيع أن تقول إنه يبنى وهو نائم أيضا لأن مشروعات البناء وتعمير مصر تجرى فى دمه وتشاركه حياته وتنفسه ، وهو من جيل الستينيات المنشىء الذى نتحدث عنه فقد ولد فى ٢٢ فبراير ١٩٣٠ بكفر سعد فى محافظة دمياط وتخرج فى كلية الهندسة مهندسا مدنيا سنة ١٩٥٥ وعمل أول ماتخرج مهندسا للرى فى المنصورة ، وظل هناك حتى ١٩٥٧ ، وهنا تبين الناس مواهبه فأخذوه فى عمل مشروع السد العالى وظل يعمل هناك من ١٩٥٧ إلى ١٩٦٤ وهنا فعلا جادت مواهبه وانصقلت ملكاته وأصبح بالتجربة والعمل مهندسا مدنيا متميزا ، وبدلا من أن يعمل مهندسا بالأجر وينشىء العمارات للناس ويأخذ الألوف نجده يتجه إلى بناء مصر ويتقاضى من الأجر مايتيسر راضى القلب والنفس ويغتنى فى نفس الوقت أيضا لأن الغنى ليس اللعب بالمال بل الاكتفاء منه وكل منا يكتفى بما يرضى نفسه ومثل الإنسان فى ذلك

مثله مع الطعام ، فمن الناس من لايمتلىء بطنه أبدا فهو أبدا فى أكل دون جدوى ومن الناس من تحسب أنهم لايجوعون أصلا وهؤلاء يأكلون ويشبعُون ولكنهم يتبعون حديث رسول الله : نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لانشبع ويسيرون على قوله ﷺ : الجوع صحة .

وفى سنة ١٩٧٦ نجد حسب الله الكفراوى قد أصبح محافظ دمياط ويظل فى هذه الوظيفة حتى آخر ١٩٧٧ وليس من السهل أن يكون الإنسان محافظا لدمياط لأن الدمايطة مدققون وعيونهم لايفوتها شيء ومن ينجح فيها فى أى عمل ينجح فى كل عمل فى الدنيا ، وحسب الله نجح فى محافظة دمياط وأخذ بذلك شهادة بأنه رجل هندسة وإنشاء ناجح وشهادة أعظم تقول إنه مصرى أصيل .

وفى سنة ١٩٧٧ يقترب من وزارة التعمير ولكن قصته مع هذه الوزارة لاتنتهى إلى اليوم فقد أصبح فى سنة ١٩٧٨ وزير التعمير والمجتمعات الجديدة لأن مصر لم تعد تكتفى بالبناء بل لابد أن تعمر الصحراء وتنشىء فيها مستعمرات جديدة وتنقل المصريين إليها . وهذه عملية جديدة لم يكن يفكر فيها من كان قبله فإن حوض النيل لم يعد يكفى زيادة المصريين حتى إذا لم تكن الزيادة بالقدر المخيف الذى هى عليه اليوم فإنه ليس من المعقول أن تكون مساحة أرض مصر حوالى نصف مليون كيلو متر مربع ويكون المبنى المسكون العامر من هذه ثلثها أى أقل من خمسمائة كيلو متر هذا المفهوم نفسه نبت فى دم حسب الله الكفراوى وينبغى أن تسمعه يتحدث حتى تؤمن حقا بأن الأفكار العظيمة لاتنبت فى الدماغ بل فى القلب ومن هنا نفهم لماذا لايذكر القرآن الكريم العقل بل القلب لأن القلب فعلا هو الوجود والحياة .

وقد قرأت مرارا قول حسب الله الكفراوى فى كتابه المبدع «المدن الجديدة» الذى نشرته وزارته سنة ١٩٨٩ قال : وتجدر بنا الإشارة إلى أن البيئة المصرية ليست سهلة جدا وليست صعبة جدا بل هى وسط فبالنسبة لموارد مصر المعدنية نجد أن مصر ليست من الدرجة الأولى فى العالم فى إنتاج أى نوع من المواد المعدنية كما أنها ليست فقيرة فيها ، وعلاوة على تميز مصر باعتدال مناخها وشمسها الساطعة نجد أنها تملك أكبر رأسمال

سياحى فى العالم من الآثار . وبرغم ذلك فدخلها بسيط من السياحة ولايمثل أكثر من واحد فى المائة من إجمالى الدخل العالمى للسياحة ، أما موارد مصر المائية فهى محدودة بمقدار ٦٠,٧ مليار متر مربع فى السنة والمصدر الوحيد والرئيسى لها هو النيل ولن تزيد هذه الموارد بعد مشروعات أعالى النيل وتحسين مشروعات استخدام المياه وتطوير الرى على ٨٥ مليار متر مربع فى السنة .

وهذا كلام صحيح والذى يقوله يعرف معنى كل كلمة فيه ويعنيها فإن حسب الله الكفراوى يختلف عن كل من عرفت من المصريين فى أنه لايكتفى بالكلام بل لابد من العمل وهو عنده يسبق الكلام،والكلام فى هذه الحالة يكون تطبيقا للعمل الذى تم أو وصفا له وأنا لهذا مؤمن بالكفراوى وأرى أننا عندما نقول إنه وزير التعمير والمجتمعات الجديدة والإسكان والمرافق (منذ سنة ١٩٨٦) فإننا لانطيل ألقابه بل نحن نصف عمله مرحلة مرحلة فهذه كلها مراحل من عملية تعمير مصر كما يراها الكفراوى ويكفى أن هذا الرجل أشرف على إنشاء ١٥ مدينة جديدة فى الصحراء وسار فى تنفيذ كل منها على قدر ما أتاحت له الظروف وأعمرها وهى كلها مدن مدينة العاشر من رمضان وقد تحدثت عنها وهى دون شك فخر الكفراوى وتلى ذلك مدن:٦ أكتوبر والسادات والكفراوى ومراقيا وماربيا والعبور والأمل و ١٥ مايو ونويبع وحمامات فرعون ورأس سدر وشرم الشيخ وهذه الأخيرة فى سيناء .

وقد كنت فى إسبانيا من ١٩٥٧ إلى ١٩٦٩ وهذه كانت سنوات الازدهار السياحى فى ذلك البلد وقد رأيت كيف وصل عدد السائحين فيه إلى أربعين مليونا فى السنة ورأيت أن الإسبانى لايبذل مجهودا خاصا فى اجتذاب السائحين ولكنه لايعمل أى شىء يضايقهم فالسائح يقضى فترة زيارته لإسبانيا راضيا عما يرى ، أما المصرى فإنه يعمل مايضايق السائح فإن المصرى شخصى جدا ولايعنيه فى الدنيا إلا نفسه فبينما يفرغ الإسبانى من طعامه ولايرمى فى الخلاء شيئا تجد المصرى لايهمه إلا أن يأكل هو . وهو يترك بقايا طعامه مكانها فى الخلاء أو يلقيها فى أى مكان ، وهو بهذا يضر أى إنسان آخر سائحا كان أو غير سائح لأن المصرى شخصى جدا ولا يعمل إلا لنفسه وهو فى هذا كسول إلى درجة

لاتصدق وقد عرفت رجلا طلق امرأته لأنه كان لاينام فى فراشه إلا مفرود الذراعين دون أن يترك لامرأته مكانا ترتاح فيه . فلما ألحت عليه فى ذلك ضربها وهو يرى من حقه أن يضربها لكى ينام كما يشاء ثم طلقها ، وهنا أنت تفهم طبيعة المصرى وسبب فقره وتعاسته أيضا .

- **الحكومة العليا والحكومة السفلى**
- **سليمان متولى سليمان**

وزير نقل ومواصلات مثالى

- **بطرس غالى ..**

وزير خارجية يقوم باعظم دور
فى نشاط مصر الخارجى

- **عادل عز ..**

وزير وعالم ممتاز يخدم الشباب

● الحكومة العليا والحكومة السفلى

فرغت فى الحلقة الماضية من الكلام عن حسب الله الكفراوى ، وكان علىّ أن أبدأ الآن الحديث عن سليمان متولى سليمان ، ولكنى رأيت وأنا فى سياق حديثى عن عدد من الممتازين من وزراء اليوم ، أن أجيب ــ أو أحاول أن أجيب ــ عن سؤال يتردد على كل الأذهان الصاحية ، وهو : إذا كان الوزراء ممتازين على النحو الذى تصف فلماذا نجد أن أحوالنا الاقتصادية تتقهقر كل يوم ؟ والجنيه المصرى يهبط باستمرار أمام العملات الفعالة التى توجه الاقتصاد العالمى مثل الدولار الأمريكى والجنيه الإنجليزى والمارك الألمانى ، والعملات الجامدة التى تثبت مكانها فى السوق العالمية ، لأنها تعتمد على مخزون من البترول ضخم ، إلى درجة أنهم يشبهونه ببحر من البترول تحت السعودية وإيران والعراق وبحيرة من البترول تحت بلاد الخليج ، وهذا البترول هو الذى يضبط مركز عملات هذه البلاد ويحافظ على مركزها ، والعمل الرئيسى لحكومات هذه البلاد هو أنها تحكم فعلاً ولا تكتفى بإصدار قوانين أو قرارات لا تنفذ كما هو الحال عندنا ، فنحن فينا لين خبيث يحطم كل مشاريعنا ويفسد كل أعمالنا ، ولا يتيح لنا الفرص لكى نخطو إلى الأمام فعلاً ، أما حكام بلاد البترول ــ

وخاصة السعودية والكويت ــ فيحكمون فعلاً ، والقانون هناك ينفذ بحذافيره ، والقرار يلزم الجميع ، وبينما تجد عندنا أى ضابط جيش أو بوليس يخترق الضوء الأحمر دون أن يجرؤ الجندى المسكين على الاعتراض تجد الجندى السعودى والكويتى يوقف أكبر شخصية وينزل بها العقاب على أية مخالفة ، لأن هذا الجندى معين من رئيس البلاد نفسه فهو قوى وغنى ، ولا أحد يستطيع أن يمسه إذا قام بواجبه ، وأنت عندما تمر به فإنك تمر برئيس الدولة نفسه فعلاً .

وهذا ياسيدى هو سبب ضعف الوزراء عندنا وعدم قدرتهم على تنفيذ قراراتهم ، لأن سلطانهم على من تحتهم من الموظفين يكاد يكون منعدما ، وقد قلت لك فى حديثى عن يوسف والى إن الرجل يدرس ويفكر ويصدر القرارات العظيمة ، ولكن منافسيه السياسيين يعملون على إفساد عمله وإيقاف قراراته ، وصدقنى إن يوسف والى أو حسب الله الكفراوى لو كانا وزيرين فى السعودية مثلا لكان لهما شأن غير الشأن ، ولكانا قطعا من أعاظم رجال العالم العربى بل العالم كله فعلا .

فنحن عندنا يا أخى حكومتان : حكومة عليا ، وهى الصالحة التى أحدثك الآن عنها ، وحكومة الوزراء العباقرة التى تعرف كل عيب وتصدر القرارات لعلاج هذا العيب ، وحكومة سفلى ، وهى حكومة الموظفين تحت درجة وكيل وزارة ، وهم عالم مخيف وضخم إلى درجة لاتصدق ، ففى كل إدارة عشرة أضعاف عدد الموظفين الذين تحتاج إليهم ، وهؤلاء الموظفون فيهم أشرار جدا لايكفون عن الشكوى والكلام ، وهم قادرون على إيقاف أى خير ، وأنت تراهم على مكاتب فاخرة فى غرف مؤثثة بالخشب والسجاد والمكيفات وإلى جانب غرفهم غرف السكرتيرات ، وهن أحيانا شيطانات ، وقد حدثونى عن رؤساء من هؤلاء بينهم وبين السكرتيرات علاقات مشينة ، ولكن لا هم يخجلون ولا السكرتيرات عندهن حياء ، والعالم هالك بين هؤلاء الشياطين وأولئك الشيطانات .

وقد قلت لأحد كبار الوزراء : ياسيدى لماذا تفتح الباب أمام أى إنسان من الناس لكى يرفعوا قضايا على الحكومة يطلبون إيقاف تنفيذ هذا القانون أو ذاك أو يخففون من وقعه ؟ لماذا لايكون قرار الوزير قرارا نهائيا حاسما ولا دخل للقضاء فيه ؟ وأنا لا أقصد هنا القرارات الكبيرة مثل قولهم مثلا إن الانتخابات تكون بالقوائم ، فهذه قرارات سياسية مفتوحة الأبواب للمناقشة ، ولكن إذا أصدر الوزير قرارا بإيقاف موظف أو فصله لأنه خالف فعلا قانونا أو قرارا فكيف يسمح للموظف بأن يرفع قضية طالبا العودة وإلغاء قرار الوزير ؟ ولماذا نعرض القضاة لهذه المشاكل ونضطرهم إلى أن يضعوا قرارات إدارية موضع القوانين ويناقشوها على هذا الأساس ؟ الذى أفهمه أن قرار الوزير الادارى نافذ من ساعة صدوره ولا يجوز للموظف أن يرفع قضية على الحكومة ويطالب بما يسميه إنصافا أو عدلا ، ويأتى بشيطان من شياطين المحامين ويكسب القضية فى النهاية ، وكيف يمكن للوزير أن يكون وزيرا نافذ الكلمة فى هذه الحالة ؟

أذكر بهذه المناسبة أننى قبل ثورة ١٩٥٢ بكثير ، عينت ناظرا لمدرسة دكرنس الابتدائية وكانت تشغل مساحة عظيمة على ساحل بحيرة المنزلة ، وماكدت أدخل المدرسة حتى تبينت أننى لن أستطيع أن أكون ناظرا أبدا إلا إذا استعملت الحزم والقسوة ، وكان الفراشون أسوأ الموظفين ، وكان عددهم اثنى عشر ، وكانت دورة المياه من السوء إلى درجة لاتسمح حتى للحيوان بدخولها ، وبطبيعة الحال تمشى السوء فى صفوف موظفى المدرسة وكان عددهم تسعة موظفين ، فقلت أبدأ بالفراشين ، واخترت ثلاثة منهم جعلتهم رجالى وحرسى ، ثم جمعت بقية الفراشين ذات صباح ، وذهبنا إلى دورة المياه وقلت : هل هذه دورة مياه أيها الحيوانات ؟ وبدأ واحد منهم يتكلم بجرأة ووقاحة حاملا على التلاميذ ، وكنت قد أعددت أحزمة من الجلد وجلدة ، فقلت لحرسى خذوا هذا الرجل ، فأخذوه وربطوه بالجلد على دكة ثم ضربناه خمس جلدات ، كل جلدة منها تجعل الفيل يصيح ، والرجل صاح واستغاث ولامجيب ، ثم أغمى عليه فى الضربة الرابعة فأمرت الفراشين بضربه الخامسة ، ثم دخل الطبيب فشرح مؤخرة ظهره وسال الدم ، وأخذنا هذا الفراش وألقيناه خارج المدرسة ، ونظرت فإذا بقية الفراشين قد هربوا ، ولم أعد أرى واحدا منهم بعد ذلك أبدا ، وذهبت إلى المحافظ ، وكان رجلا

ممتازا وحكيت له ماحدث فقال : برافو عليك . وماذا تريد الآن ؟ قلت ثمانية فراشين يمتثلون للأوامر ، آمرهم فيطيعون ، وأريد أن أهدم دورة المياه وأبنى غيرها ، . فقال : لك ماتريد ، وعين لى ثمانية فراشين أصلهم خفر ، وأعطانى من ماله الخاص خمسمائة جنيه لأهدم دورة المياه وأبنى دورة جديدة فى مكان آخر من الحوش الواسع . وعينت اثنين من الفراشين الجدد لدورة المياه ونبهنا على الأولاد وأريناهم كيف يكون استعمال دورة المياه ، وكنا نضرب أى فراش يهمل خرزانتين على رجليه ، أما التلميذ فخرزانة واحدة على يديه .

وصدقنى إن كل شىء فى المدرسة انتظم حتى الطعام الذى كان يحضره مقاول ويتسلمه سكرتير المدرسة فى الفجر ، فوجئوا بأننى هناك قبلهم ، وقد جلدت السكرتير والمتعهد خمس جلدات وأوقفت صرف النقود حتى يأتى الطعام حسب الشروط ، وكل شىء فى المدرسة انتظم فكان المدرسون قبلى فى مواضعهم وكنت آكل مع التلاميذ فى مطعم المدرسة وأنظر فى كل طبق وألزم التلاميذ بالهدوء واستعمال الشوكة والسكين والملعقة ، وبلغ من خوف الفراشين والموظفين والمدرسين منى أنهم كانوا يرتعدون إذا رأونى ، أما التلاميذ فكانوا سعداء ويكفى أن المحافظ أعطانى نقودا لأشترى أحذية للتلاميذ فى يوم وقفة العيد ، والنقود كفت وزادت فاشترينا أحذية للفراشين والمدرسين والموظفين . فى كل هذا لم يفكر موظف واحد فى رفع قضية فالأوامر أوامر والقوانين قوانين ولا معنى لإغراق القضاة فى قضايا إدارية وفتح الباب أمام الشياطين والمشاكسين لكى تصبح الحكومة فوضى كما هى اليوم .

وأوجز ماقلته هنا عن سبيل إصلاح الحكومة السفلى حتى نستفيد من جهود الحكومة العليا وهى حكومة الوزراء ،فأقول إننا لابد أن نصدر قرارا وزاريا يقول إن أمر الوزراء نافذ ثم نحرم رفع القضايا فى مسائل إدارية ونلغى قانون الوظائف الحالى لأنه سبيل الفساد ، ولا يمكن لرئيس أن يكون رئيسا مادامت قوانين الوظائف الحالية قائمة ، وبعد ذلك أنتقل للكلام عن بقية الوزراء الذين تخيرتهم كرموز للحكومة العليا .

سليمان متولى سليمان ..
وزير نقل ومواصلات مثالى :

هذا الرجل يعيش وظيفته ولايكتفى بشغلها ، فهو يؤمن بضرورة تنفيذ خطط المواصلات ولايكتفى بإصدار القرارات ، وليس فى مصر مواطن إلا يشعر بفضل هذا الرجل عليه وعبقريته ، فلنذكر كيف كانت التليفونات عندنا قبله وكيف أصبحت اليوم ، وكيف كانت التلغرافات وكيف أصبحت اليوم ، فنحن إذا فكرنا فى ذلك آمنا بأن سليمان متولى سليمان نعمة من نعم الله على هذا الوطن .

وسليمان متولى نموذج من النماذج الرفيعة من جيل الستينيات ، فقد ولد فى ٢٥ أكتوبر ١٩٢٧ ، ودرس وحصل على بكالوريوس الهندسة المدنية من جامعة القاهرة سنة ١٩٤٩ حقا إنه سابق على بقية جيله فى الميلاد ، ولكنه شاب إلى يومنا هذا ، وأنت تراه ــ حفظه الله ــ مشرق الوجه شاب الملامح حاضر الذهن قوى الذاكرة بشكل عجيب ، حتى إنك تدهش لعلمه بكل متر يمد فى أرض مصر من خطوط المواصلات ، ولا تدهش إذا قلت لك إنه يعرف عن تليفون بيتك ما لا تعرفه أنت .

بدأ حياته مهندسا بوزارة الأشغال ، ثم دخل الجيش وأصبح ضابطا مهندسا فى القوات المسلحة ، ومن هناك نقل مديرا للمكتب الفنى لوزير المواصلات ثم وكيلا لهيئة النقل النهرى ثم مديرا عاما لمؤسسة النقل الداخلى ، وهى هيئة مخيفة لاتساعها فهى

تشمل السكة الحديد وهى شيء هائل وكل هيئات النقل البرى والبحرى فى بلد مخرب كسول حتى إن الأطفال عندنا يتسلون بتحطيم زجاج القطارات المارة بقراهم حتى يبلغ عدد ألواح الزجاج التى تتحطم عندنا خمسة وخمسين ألف لوح فى السنة ، ولو كان عندنا عدل فإننا لابد أن نلزم عمدة الناحية التى كسر فيها لوح زجاج بأن يأتينا بالغلام الذى كسر لوح الزجاج ونجلده هو وأباه ، وحتى لو لم يكن من المؤكد أن هذا الغلام هو الذى كسر لوح الزجاج فإن هذه العقوبة كفيلة بأن نتعرف على أى غلام يكسر زجاجا ، ولو مضينا على ذلك خمس سنوات لما كسر لوح زجاج واحد ولما جرؤ راكب على الاعتداء على غطاء كرسى من الجلد أو البلاستيك فى أى قطار ، بل لما جرؤ مواطن على أن يفتح باب عربة قطار ثم يتركه يقفل نفسه ، أما أن نكتفى بأن نصلح المكسور والمقطوع والفاسد فلا يغنى عنا شيئا لأننا شعب تعود على أن يخاف ولايختشى . والعبرة هنا أننا لابد أن نعاقب الغلام وأباه حتى يكون العقاب حاسما ، ولا يتصور الإنسان مقدار خوف الناس عندنا من الجلدة التى تنزل على مؤخرة الظهر بالألم البالغ ، وقد رأيت ذلك بنفسى عندما جلدت أطفالاً ورأيت أباءهم يغمى عليهم قبل الجلدة الأولى ، ولكنى استمررت فى الجلد رغم صرخات زوجاتهم وأنا واثق من أن كلا منهم عندما عاد إلى بيته ضرب ابنه حتى يهلكه .

ثم انتقل سليمان متولى سليمان وكيل وزارة المواصلات ورئيس مؤسسة الطرق والكبارى ثم أصبح محافظا لبنى سويف ثم محافظا للمنوفية من ١٩٧٧ إلى ١٩٧٨ ثم أصبح وزير شئون مجلس الوزراء ووزير الحكم المحلى ثم أصبح من سنة ١٩٨٠ إلى يومنا هذا وزير النقل والمواصلات والنقل البحرى .

ولاينبغى أن يدهشنا تنقل سليمان متولى بين الوظائف لأننا فى مصر نبحث دائما عن الموظف الممتاز ولكننا نشترط عليه ألا يصر على تنفيذ قراراته ، وهنا نسأل : ومافائدته إذن ؟ ولهذا فإننى أقول لكل من ألقى من كبار الموظفين والوزراء : لابد أن تنفذوا قراراتكم ولايخيفكم أحد أبدا ، هكذا تستطيعون أن تحققوا أنفسكم وتخدموا بلادكم ، ورجائى أن يصر سليمان متولى فى مجلس الوزراء على استصدار القرارات بتنفيذ كل

ما يقرر ، وأرجو أن يكون من ذلك جلد كل غلام يكسر لوح زجاج قطار وجلد أبيه ، وجلد كل مواطن يقطع شيئا من جلد أثاث القطارات ، فإننا لو جلدنا سنة واحدة لانقطع الشر لأننا كما قلت نخاف ولانستحى ، ونؤمن بأن التساهل رحمة مع أن التساهل قسوة ، ونرجو صاحب العقاب أن يعفو ونزعم أن فى ذلك خيرا ورحمة وليس فيه خير أو رحمة . وتدهشنى إحاطة سليمان متولى بكل مايجرى فى وزارته وأقول له : حرام يا سيدى أن تكون بهذه الكفاءة وذلك الاجتهاد ثم لاتصر على تنفيذ كل قراراتك ، وأنت ياسيدى لو كنت فى بلد آخر لرأيت كيف يقدرك الناس وكيف تنهض بالبلد كله لأننا نعيش فى عصر تحتل فيه المواصلات مكانة كبرى . وأنا أدهش كيف لا تنشيء فى القاهرة مراكز ومحطات لخطوط مواصلات الأتوبيسات والتاكسيات كما فى غيرها من عواصم الدنيا ؟ إن هذه المحطات تنشأ تحت الأرض أحيانا ولايدخل فيها إلا الأوتوبيسات المحترمة المسجلة للنقل على خطوط معينة والتاكسيات المنتظمة ، وكل مواطن يدخل يدفع رسما يصل إلى خمسين قرشا ويأخذ به إيصالا ، وهذا المبلغ يخصم من أجر السفر إذا سافر المواطن فى نفس اليوم ، فإذا انقضى اليوم دون أن يسافر سقط حقه فى ذلك المبلغ . وبطبيعة الحال يدير هذه المحطات مديرون محترمون جدا . ولا بأس أن تكون منشئة هذه المحطات شركات مستقلة أى قطاع خاص ، وهى هكذا فى غير مصر من بلاد الدنيا ، وهى تكسب كسبا عظيما لأن المحطة يكون فيها مداخل ومخارج للسيارات والناس ، ويكون فيها مطاعم وكافتيريات وتكون فيها دورات مياه منتظمة بالغة النظام ، وقد رأيتها فى بلاد الدنيا كلها إلا مصر ، ولا أدرى لماذا تكون مشروعاتنا وأعمالنا كلها ناقصة . إن مشروعاتنا وأعمالنا كزجاجات بدون غطاء .

بطرس غالى ..

وزير شئون خارجية يقوم بأعظم دور فى سياسة مصر الخارجية :

مع بطرس غالى نعود إلى الوزراء الصحفيين ، وأنا شخصيا لم أعرف هذا الرجل إلا عن طريق رياسته لمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام (منذ ١٩٧٥) ومساهماته فى مجلة الأهرام الاقتصادى وهى من أعظم مجلات بلدنا .

ولد بطرس غالى فى ١٤ نوفمبر ١٩٢٢ ، وأبوه بطرس غالى كان رئيس وزراء ، فهو من أصل محترم جدا ، وهذا ظاهر فى كل تصرفاته ، ودرس الحقوق فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة وحصل على الليسانس سنة ١٩٤٨ ، وفى سنة ١٩٤٩ حصل على دبلوم العلوم السياسية ، ثم سافر إلى باريس ودرس فى جامعتها وحصل على دكتوراه القانون الدولى سنة ١٩٤٩ ، وعاد إلى مصر ودخل فى هيئة التدريس بجامعة القاهرة ، وأصبح أستاذ القانون الدولى والعلاقات الدولية ورئيس قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد بجامعة القاهرة حتى سنة ١٩٧٧ ، وهو فى أثناء ذلك لم يهمل عمله فى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية والمساهمة فى مجلة الأهرام الاقتصادى ، بل استمر فى ذلك بعد تعيينه وزير الدولة للشئون الخارجية منذ سنة ١٩٧٧ .

وأفضل مايميز بطرس غالى هو أخلاقه ، فإن الرجل رضى الأخلاق جدا ، وما رأيت إنسانا عرفه وعمل معه إلا امتدح خلقه ، وهذا بالنسبة لنا طبيعى ، فإن الرجل من

أسرة طيبة ، وأبناء الأسر الطيبة معروفون عندنا بكرم الخلق وحسن المعاملة ، ولكن حياتنا اليوم تضطر الإنسان أحيانا إلى سوء الخلق ، فإذا كان المواطن من أصل طيب لم تر منه إلا كل جميل .

وقد تخصص بطرس غالى فى السياسة الخارجية بالشئون الإفريقية ، ومصر اليوم تولى أفريقيا العناية التى تستحقها ، وقد تحدثت عن عبد الناصر ودوره فى علاقاتنا بأفريقيا ، وقلنا إن غرامه بالزعامة وولعه الشديد بإعجاب العرب به أنساه أفريقيا فاقترف فى حقنا أسوأ الأخطاء فى الميدان الأفريقى ، ويتجلى ذلك فى موافقته على أن تصبح أديس أبابا عاصمة سياسية لأفريقيا ومركزا لسكرتارية اتحاد الدول الأفريقية ، وهذه جريمة لأن الحبشة بلد شرير ونحن فى وادى النيل نعانى منها من زمن طويل ، فإلى جانب تأخرها المطلق فإن هذه الدولة تعتمد على مسيحيتها لتسيء إلينا ، فقد كانت فى الماضى القريب مركزاً للتعاون بين أوربا وخاصة البرتغال للعدوان على الأراضى المقدسة الإسلامية ، وفى أيامنا هذه هى البلد الأفريقى الوحيد الذى يوصف بأنه مستعمر فهو يستعمر أريتريا ، وأريتريا بلد إسلامى يكمل مصر والسودان ، ولكن الحبشة تحتله بمساعدة أوروبا ، وهى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تحتل اريتريا وتفرض عليها سلطانها وتذل أهلها وتستخدم موانيها لسيادة البحر الأحمر ومساعدة إسرائيل ، ومع ذلك فهى ضعيفة حربياً وسياسياً ، وفى أيامنا هذه فقدت أسمرة واستعادها الأريتريون وهم ناجحون فى حرب الحبشة التى تخصص نحو مائة ألف جندى لحرب الأريتريين ، ثم إن الحبشة تحتل إقليم تيجرى وهو إقليم واسع بين الحبشة ووداى النيل والغالبية العظمى من أهل تيجرى مسلمون ، ولكن الحبشة تذلهم وتحتل بلادهم وتساعد الأوربيين على استغلال المعادن فى بلادهم ، وبقية أفريقية فى أيامنا هذه بلاد مسكينة وأوربا تعترف باستقلالها ولكنه استقلال على الورق ، وقبل أن تخرج من مستعمراتها الأفريقية قسمت القارة إلى دول على أساس مصالحها ، وكل بلاد أفريقية السوداء سيئة البناء الجغرافى ، وفى كل بلد منها تحكم القبيلة الكبيرة التى اجتهدت أوروبا فى كسبها إلى جانبها واجتهدت فى تعليمها لغتها وإلغاء لغتها الأصلية ، وبطبيعة الحال لايستطيع الشعب الأفريقى أن يجيد اللغة الفرنسية أو الإنجليزية ولكنه على أى حال يجتهد فى التعبير عن نفسه بالإنجليزية

أو الفرنسية ، وفرنسا بالذات وهى بلد استعمارى شديد الطمع تهتم جداً بأن تجمع حولها الدول الأفريقية التى تتخذ اللغة الفرنسية لغتها الرسمية ، وفى كل عام تجمع رؤساء هذه الدول فى باريس وعددهم فيها يقال خمسة وعشرون بلداً وهذا كلام لا حقيقة له ، ولكن فرنسا تستغل الشيكولاتة فى ساحل العاج أو الكوت ديفوار والحديد فى السنغال والنحاس والأخشاب فى الكاميرون ولا يوجد مصدر رزق فى البلاد الأفريقية إلا سيطر عليه الأوربيون .

وكانت مهمة بطرس غالى هى تقوية علاقات هذه البلاد بمصر والبلاد العربية وتحريرها بذلك ، وقد حضرت بعض اجتماعات الأفارقة فى مصر وأحسست بأنهم لا يحسون بالاستقلال والكرامة إلا فى مصر ، ومصر بلد فقير ، فهى لا تعطى الأفارقة مالاً أو خبرات ولكنها تعطيهم الكرامة ، وبطرس غالى مخلص جداً فى معاملة الأفارقة وهو وزير الخارجية الوحيد الذى يعاملهم بصدق نية واحترام ولهذا فإن كل هذه الدول تحب مصر وتلجأ إليها فى حل مشكلاتها ، وهذه ليست خدمة يسيرة قام بها بطرس غالى ويكفى أنك تراه طول العام فى بلاد أفريقية . وقد نجح بطرس غالى فى عمله دولياً ، فرشحته مصر أميناً عاماً لهيئة الأمم المتحدة ورحبت الدنيا كلها بهذا الترشيح ، وانتخب بطرس غالى أميناً عاماً لهيئة الأمم ، وهو اليوم يواصل توفيقه الدولى فى هذا المنصب الجليل .

عادل عز
وزير وعالم ممتاز يكرس جهوده للشباب

ولد عادل عبد الحميد عز فى أول ديسمبر ١٩٣٢ ودرس الاقتصاد بجامعة القاهرة وتخرج بها فى أوائل الستينيات ثم ذهب فى بعثة إلى سويسرا لكى يحصل على الدكتوراه من جامعة سان جالن فى ولاية زيوريخ ، وعاد إلى مصر ليعمل مأمور ضرائب وسار فى الوظائف الاقتصادية حتى أصبح مدير التأمين الإجبارى ، والتحق بهيئة التدريس فى كلية الاقتصاد بجامعة القاهرة حتى أصبح عميداً لها ومن سنة ١٩٨٧ أصبح وزير الدولة لشئون البحث العلمى ، وهو ناجح جداً فى ذلك العمل ولكن أهم ما يميزه هو تكريس وقته كله للشباب فأى شاب موهوب يقصده يجد فيه الخير ، وهو نفسه يدعو الشباب إليه ويقدم إليهم كل جديد ومن هذه الناحية تستطيع أن تقول إن هذا الرجل يفتح الطريق أمام المستقبل لأننا كلنا نتحدث عن الشباب ونقول إنه غدنا ولكن من منا يساعده فعلاً ويفتح له الأبواب ؟ لن تجد إلا القليلين جدا يقاربون عادل عز فى ذلك .

العسكريون فى مجموعهم بطل عظيم

- **محمد عبد الغنى الجمسى**

عسكرى مخلص صادق له دور حاسم فى نصر أكتوبر

- **الفريق أحمد اسماعيل**
- **الفريق سعد الشاذلى**

العسكريون انهم فى مجموعهم بطل عظيم

تحيرت فى أمر العسكريين المصريين ، والسبب فى الحيرة هو كثرة ما كتبوه عن أنفسهم وما كتبه الناس عنهم ، فليس هناك صاحب قلم إلا كتب فى الشئون العسكرية ، وواحد منهم وهو الزميل جمال حماد يكتب أسبوعيا من عشر سنوات ــ وأنت أحياناً لا تدرى كيف ولماذا يكتب ؟ ولو أننى واثق من أنه حسن النية ، وهو واثق من أنه يكتب الصواب ويقول الحق ، وأنا واثق من هذا كذلك ، ولكن الكتابة لها أصول فلابد أولاً وقبل كل شيء من أن يكون عندك ملفات ، لابد أن تكون عندك أصول ترجع إليها وإلا تعارضت مع نفسك وتناقضت .

وقد حدثتك عن علب البطاقات التى عملها صلاح منتصر لنفسه ليكتب منها ويعتمد عليها وهو مطمئن ، وأنا عندى مئات العلب فيها الآلاف من البطاقات ، وأنا أرجع إليها عندما أكتب حتى أكون واثقا من صحة ما أكتب وألا تناقض بين البعض مع بعضه على الأقل ، وأرجو ألا يغضب جمال حماد ، بالحق اننى أتحير فى التناقض الذى يقع فيه ، وهو معذور طبعا ، ولابد أن أقرر هنا إننى أحبه وأننى معجب به وأننى إذا أبديت هذه الملاحظات فمن أخ كبير إلى أخ أصغر منه .

ولكنى فى الشهور الأخيرة أسعفنى الله بمذكرات المشير **محمد عبد الغنى الجمسى** ، وهو رجل أمين جدا ودقيق جدا ، وكتابه ــ وعنوانه حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ ــ وثيقة عظيمة . وإلى جانب نصه هناك خرائط عظيمة القيمة لمن يريد أن يتتبع المعارك العسكرية ، ولكن ياخسارة ! ليس له فهرس إعلام دقيق ، وعدم وجود فهرس أعلام يجعل الاستفادة منه صعبة جدا ، وقد اضطررت إلى أن أعمل علبة كرتون وأنا أقرأ الكتاب حتى أوفر على نفسى وقت البحث عن الأعلام والمواقع لا أدرى لماذا لايفكر واحد من الباحثين عن العمل والرزق فى عمل شركة فهارس . إننى متأكد أنه سيكسب مكاسب عظيمة لو تصور أعداد الكتب التى تطبع فى مصر والبلاد العربية ، وتصور أعداد رسائل الماجستير والدكتوراه ، العربية ، وكلها فى حاجة إلى فهارس أعلام ، بل إننى أتوجه إلى السيد عميد كلية الإعلام بجامعة القاهرة بإنشاء قسم إعلام يتعلم فيه الشبان والشابات كيف يعملون الفهارس المختلفة .

أقول إن مذكرات الجمسى حلت لى الإشكال بالنسبة لمعرفة العنكريين من جيل الستينيات ، فهذا رجل أمين جدا ومنهجى جدا ، وقد كتب بعناية وصبر وأمانة والناس الذين يكتب عنهم كلهم أصدقاؤه ومعارفه ، والرجل فى غاية التواضع فهو لا يقف عند نفسه إلا عند الضرورة ، ولايقول إلا الحق والحق يكفيه فهو دون شك جندى عظيم ، وحيث إنه واحد من مراجعى الأساسية فى هذا التاريخ فأنا أبدأ بالكتابة عنه .



محمد عبد الغنى الجمسى
عسكرى مخلص صادق له دور حاسم فى نصر أكتوبر

ولد محمد عبد الغنى الجمسى فى ٩ سبتمبر ١٩٢١ بقرية البتانون محافظة المنوفية ، إنه ليستوقف نظرنا كثرة العباقرة وكبار العسكريين الذين خرجوا من المنوفية ، وكان بعض الناس يظنون أن ظهور أولئك الرجال يرجع إلى أن الرئيس السادات من المنوفية ، لأننا عندما ندقق فى حقائق الأمور نجد أن أولئك الرجال هم الذين صنعوا السادات ، أقصد أنهم هم الذين صنعوا الجانب المنظم فى فكر السادات لأن السادات ذكى جدا ومغامر جدا ، ولكن الناحية النظامية المنهجية فيه مهلهلة وهؤلاء الرجال هم الذين ضبطوها .

والحقيقة أن المنوفية مجتمع فلاحين ، والفلاحون هم أساس قوة مصر وسر عبقريتها وكان لى فيما مضى صديق من المنوفية يسمى إبراهيم عبد الفتاح ، وهذا الرجل كان معتمدى فى تكوين رأيى وأساسى فى الإصرار على ذلك الرأى . ودرس الجمسى وتخرج فى الكلية العسكرية فى نوفمبر ١٩٣٩ ثم حصل على إجازة كلية القيادة والأركان سنة ١٩٥١ وإجازة أكاديمية ناصر العسكرية العليا عام ١٩٦٦ ، فالرجل على هذا من جيل الستينيات الذى يبنى مصر اليوم ويمهد لمستقبلها السعيد .

وفى أثناء دراسة الرجل كان يترقى فى الوظائف العسكرية ويتنقل بين المسئوليات الفنية العسكرية ، فقد تولى إدارة المدرعات سنة ١٩٤٤ ، وفى معركة السويس سنة ١٩٥٦ كان يتولى قيادة الآلاى الخامس مدرعات بمنطقة السويس ، وتلك كانت فترة

قيادة عبد الحكيم عامر والمنافسة الشريرة بينه وبين عبد الناصر ، ورجال مثل الجمسى هم الذين حافظوا على الجيش وسلامة قواعده وجنوده من أن يقضى عليهم عبد الحكيم عامر .

ثم تولى رئاسة أركان حرب المدرعات سنة ١٩٥٧ ثم أصبح قائد اللواء الثانى مدرعات سنة ١٩٥٨ ، ثم التحق ببعثة دراسية للمدرعات فى أكاديمية فرونز بالاتحاد السوفيتى عام ١٩٦٠ ، وأنت ترى هنا أن الرجل ظل معظم عمره العسكرى فى لواء المدرعات ، والمدرعات هى روح القوات العسكرية الحديثة ، ومثلها فى ذلك مثل قوات الفرسان فى الماضى ، ونحن إذا كنا نعجب بخالد بن الوليد فلأنه كان فارسا وقائد فرسان ، وكان عبقريا فى ذلك .

ورقى عبد الغنى الجمسى إلى رتبة لواء فى يوليو ١٩٦٥ ثم أصبح رئيس عمليات القوات البرية سنة ١٩٦٦ وبهذه الوظيفة يدخل الرجل مرحلة القيادات العسكرية العليا فى حياته بعد هذا التدريب الطويل والدراسة الشاملة للمدرعات وسلاحها والحرب وأساليبها .

وقد سار فى رياساته فى طريق مستقيم ومتصل ، فإن الرجل مصرى ومخلص وعسكرى عظيم ورجل أمين جدا ، وأية وظيفة أنت تعهد بها إليه فأنت واثق من أنه سيقوم بها على خير وجه . وقد حدثنى بعض من يعرفونه فقالوا إن الرجل لايعرف فى حياته إلا أسرته ودراسته ومسئولياته العسكرية ، لاحفلات ولا نزهات ولا جلسات أنس فإن أنس ذلك الرجل وطنه ونزهته هى العسكرية وحفلاته لاتكون إلا فى نصر مصر .

وفى سنة ١٩٦٨ يصبح نائب مدير المخابرات الحربية وهو فى كتابه يشيد بالفائدة التى عادت عليه من هذه الوظيفة ويقول فى ص ٢٢٩ وفى فجر يوم ١٤ مايو ١٩٧١ (إجراءات التصحيح ضد مراكزالقوى فى مصر)« أصدرالرئيس السادات قرارا بتعيينى رئيسا للمخابرات العامة والحق أعترف أننى سعدت بهذا القرار فقد كان تقديرا لى كجندى وهب حياته لمصر ، وفرصة للإسهام بشكل ما فى خدمة بلدى وفى معركتها

المقدسة ، وبدأت أمارس مهمتى الجديدة والواقع أن تلك المسئولية جعلتنى غير بعيد بل ربما قربتنى جدا من القوات المسلحة ورفاق السلاح والعمر ، لكننى برغم تلك المشاركة والاقتراب المباشر من القوات المسلحة لم أتوقع ــ كما ذكرت ــ يوما يجىء أعود فيه للخدمة مرة أخرى »وهو يقول ذلك لأن عبد الحكيم عامر كان قد أوقفه عن الخدمة وأبعده عن الجيش ثم يقول «لكن ها هو ذا اليوم قد جاء عندما كلفنى القائد الأعلى بالمهمة ومع ضخامة المسئولية وخطورة حجمها فإنى كنت على قدر كبير من التفاؤل والثقة فى النفس»والسبب الأكبر فى ذلك هو أن الجمسى وجد نفسه يعمل مع نفر من خيرة رجال مصر العسكريين الذين كانوا يؤمنون مثله بأن مصر لابد أن تدخل معركة عسكرية مع إسرائيل تصحح بها مهزلة حرب ١٩٦٧ التى كانت مأساة بالنسبة لمصر ولكنها كانت هزيمة طاحنة لا للقوات المسلحة فحسب بل لكل المصريين ، وما من واحد منا إلا شعر بأنه انطحن فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ .

ومادام الجمسى قد دخل فى القيادات العليا وبدأ يمهد لمعركة النصر مع المسئولين العسكريين الآخرين ، فلا بد أن أدخل هنا فى الكلام عن أولئك العسكريين .



الفريق أحمد إسماعيل

ولايمكن تصور نصرنا فى الحرب دون أن نذكر الفريق أول أحمد إسماعيل الذى اختاره السادات فى أكتوبر ليكون وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة ، وتلك كانت خطوة أساسية لكسب الحرب لأن أحمد إسماعيل كان رجلا كريم الخلق جدا وكان عسكريا ممتازا وكان على علاقة طيبة مع كل العسكريين فيما عدا الفريق سعد الدين الشاذلى وحيث إن العلاقة السيئة بين الاثنين كانت ذات ضرر عظيم على سعد الدين الشاذلى فأعتقد أنه من المفيد جدا أن أنقل لك كلام الجمسى عن هذا الموضوع فى مذكراته ص ٢٣٠ :« لقدكان معروفا أن العلاقة بين الفريق أول أحمد إسماعيل والفريق سعد الدين الشاذلى كانت غير طيبة منذ سنوات مضت ، وبتعيين الأول وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة بينما الثانى يعمل رئيسا للأركان ــ الرجل الثانى فى الجيش بحكم منصبه ــ بدأ التفكير فى تأثير هذه العلاقة غير الطيبة على سير العمل والحقيقة أن شخصية كل منهما كانت تختلف عن الآخر واهتمامات كل منهما فى العمل العسكرى كانت تختلف عن اهتمامات الآخر » ، يقول الفريق الشاذلى فى كتابه عن حرب أكتوبر الذى كتبه بالإنجليزية ثم ترجم إلى العربية ص ١٣٣ ــ ١٣٥ من الطبعة العربية لم أكن قط على علاقة طيبة مع أحمد إسماعيل ، لقد كنا شخصيتين مختلفتين تماما لايمكن أن تتفقا ، ونعود إلى مذكرات الجمسى ص ٢٣٠ لنسمعه يقول : وعندما استدعى الرئيس

السادات الفريق الشاذلى فى منتصف يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢ لإخطاره بأنه قرر تعيين وزير حربية آخر يحل محل الفريق أول محمد صادق قال له الرئيس إنى أفكر فى أحمد إسماعيل ، وهنا يسجل الشاذلى أنه فوجىء بالاسم وعلق بطريقة فورية قائلا : سيادة الرئيس إن هناك تاريخا طويلا من الخلافات بينى وبين أحمد إسماعيل يمتد إلى حوالى ١٢ سنة مضت منذ أن تقابلنا فى الكونغو سنة ١٩٦٠ وعلاقتنا حتى الآن تتسم بالفتور والبرودة ــ وأعتقد أن التعاون بيننا سيكون صعبا وقال الرئيس أنا أعلم تماما بتاريخ هذا الخلاف وتفاصيله ، ولكنى أؤكد أن علاقته بك ستكون أفضل بكثير من علاقتك بصادق . كرر الشاذلى وجهة نظره وأبدى مخاوفه من أن هذه العلاقة قد تؤثر على الموقف العسكرى بينما نقوم بالإعداد للمعركة ، ولكن الرئيس كرر وجهة نظره وأكد له أنه لن يحدث شيء من هذا الذى يتخوف منه والحقيقة ــ هذا كلامى ــ هو أن الفريق سعد الدين الشاذلى كان يرجو أن يكون وزيرا للحربية وربما كان على حق فى ذلك فقد كان عسكريا ممتازا ورجلا بالغ الذكاء ، وهناك الكثيرون يقولون إنه لو كان وزيراً للحربية لكان نصرنا أعظم لأنه كان رجلا جريئا وشجاعا فى حين أن أحمد إسماعيل كان رجلا مطيعا للسادات ، والسادات كان يحب المطيعين له ، ولقد لقيت الفريق سعد الدين الشاذلى عندما كان سفيرا فى لندن وأعجبت به إعجابا شديدا ولهذا فأنا لم أدقق فى كل ماقيل عنه بعد ذلك من أنه أخطأ خطأ جسيما عندما ترك الإسرائيليين ينفذون من نقطة الدفرسوار إلى الضفة الغربية للقناة ويتجهون إلى الجنوب نحو السويس فسببوا لنا بذلك ضررا بليغا جدا والحقيقة كما ــ قال لى الشاذلى وكما ذكر فى مذكراته ــ إن المسئول عن ذلك هو السادات ، فإن السادات كان شديد الخوف من الأمريكيين وكان متمسكا جدا بإبعاد الإسرائيليين عن ضفة القناة وكان فى حربه قنوعا جدا وكان مع حذره يستمع لهنرى كيسنجر مستشار الرئيس الأمريكى ريتشارد نيسكون ، وكان هنرى كيسنجر يهودى الأصل ، وكان يريد أن يحطم مصر وينصر إسرائيل . وكل قواد السادات ــ بما فيهم الفريق الجمسى ــ كانوا لايثقون فى كيسنجر ، بل إن الجمسى لم يكن راضيا عن خوف السادات وقنوعه بمساحة صغيرة من أرض سيناء وكان يعتقد أننا كنا نستطيع أن نصل إلى المضايق ــ مثلا والجدى ــ دون أى خطورة وكان هذا أيضا رأى الشاذلى وقد زاد الخلاف بين السادات والشاذلى وأخرج من الجيش ونقل سفيرا فى الخارجية واشتد

الهجوم عليه من بعض الصحفيين وهذا خطأ لأن الرجل ربما كان عسكريا أكثر وأحسن من بقية زملائه ولكن هذا هو الذى حدث وأنا دائما أشكر الله على ما وصلنا إليه . والفريق أحمد اسماعيل كان عسكريا عظيما ، وقد قام بدوره فى الحرب بكل مهارة مستعينا فى ذلك بالفريق الجمسى الذى يبدو فى مذكراته أنه صاحب فكرة توقيت الهجوم بعيد كيبور وماقبله وبعده من الأيام القليلة ، ومن كلامه يتضح أن الإسرائيليين كانوا واثقين تماما من أن المصريين والسوريين لن يفكروا قط فى عبور القناة وقد زادت القيادة المصرية وهذه هى عبقرية السادات فى خداعهم بإعطاء الإجازات للكثيرين من العسكريين وتوجيه نفر منهم إلى الاستلقاء فى الشمس غرب القناة أو الاستحمام فيها مما جعل الإسرائيليين يتصورون أن المصريين لايمكن أن يقوموا بالحرب ، ففوجئوا بها تماما واكتسحناهم فى اليومين الأولين من الحرب ، واستولينا على خط بارليف وحصونه وحطمنا فوق المائة دبابة فكنا ــ كما قلت ــ نستطيع التقدم نحو المضايق ولكن السادات كان متمسكا بالنصر الأول وكان الشاذلى يريد الاستمرار فى الحرب حتى يصل إلى المضايق ، ولا معنى لمهاجمة الشاذلى فقد كان عسكريا عظيما ، عيبه الوحيد أنه كان جريئا فى الحديث مع السادات فهو الوحيد الذى صارحه برأيه وكان يريد التقدم إلى المضايق ، ولا أدرى قدر مسئوليته عن مرور الإسرائيليين من ممر الدفرسوار ، ولكنه على أى حال كان يستطيع القضاء على الذين مروا منهم ، ولكن السادات خاف أن يؤدى ذلك إلى مقتل ألوف من المدنيين المصريين فى منطقة القنال .

ونعود إلى مذكرات اللواء الجمسى ــ لأنها تصف لنا طريق النصر فنجده يقول فى ص ٢٣١ و٢٣٢ من مذكراته :

حديث الحرب مع أحمد إسماعيل :

يقول الفريق الجمسى : بعد عودتى مباشرة من دمشق استقبلنى الفريق أول أحمد إسماعيل بالمودة التى كانت تربطنا منذ أن كنا نعمل فى «قيادة جبهة القناة» خلال فترة القناة بعد حرب يونيو .

استقبلنى وكانت تعلو وجهه السعادة ، وبادرنى بقوله :«لقد عدت للقوات المسلحة كما كنت تتوقع» مشيرا بذلك للحديث الذى دار بيننا فى مطار القاهرة الدولى منذ عدة شهور مضت ثم استطرد قائلا : «وعاد أيضا اللواء بحرى فؤاد زكرى قائدا للقوات البحرية ، وهو موجود فى مكتبه الآن بالاسكندرية ! » .

لقد كان حديث الفريق أحمد إسماعيل يعنى أنه ترك الخدمة العسكرية ومعه اللواء زكرى فى وقت واحد فى عام ١٩٦٩ ، وعادا معا فى عام ١٩٧٢ ، وهذا رد لاعتبارهما من ظلم وقع عليهما ، الأمر الذى رفع روحه المعنوية كثيرا .

ومما يذكر أن الفريق أول أحمد إسماعيل كان قد أعفى من منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة ، كما أعفى اللواء زكرى من منصب قائد القوات البحرية ، على إثر إغارة برية بحرية فى منطقة الزعفرانة على الشاطىء الغربى لخليج السويس يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٩ أثناء حرب الاستنزاف ، وها هما ذا قد عادا مرة أخرى فى يوم واحد والفريق أول أحمد إسماعيل كانت له خبرة عسكرية طويلة ، وبصفة خاصة الخبرة الميدانية التى تدرج فيها من قائد فصيلة مشاة حتى قائد فرقة مشاه ثم قائد جبهة قناة السويس بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ثم رئيسا للأركان ، كما أن اللواء بحرى زكرى كان يتميز بخبرة بحرية طويلة ، وكانت البحرية بالنسبة له هى كل حياته ، ولذلك كان موضع تقدير كل القوات البحرية .

وقد توطدت العلاقة بينهما وبينى أثناء الدراسة معا فى «كلية الحرب العليا» بأكاديمية ناصر العسكرية خلال عامى ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، وهو ما أتاح لى معرفة شخصية كل منهما عن قرب ، وبصفة خاصة أسلوب تفكيره العسكرى ، وقد ساعدنى ذلك كثيرا خلال فترة التخطيط للحرب وأثناء إدارة العمليات ، كما تعاونت مع كل منهما إلى أقصى الحدود ليؤدى كل منهما مهامه بالكفاءة التى ينشدها وننشدها جميعا فى جهاز القيادة العامة للقوات المسلحة الذى كان يعمل كفريق عمل متكامل لتحقيق هدف واحد هو خوض الحرب لهزيمة العدو الإسرائيلى .

وتكامل فريق العمل على مستوى القيادة العامة بوجود اللواء طيار محمد حسنى مبارك

قائد القوات الجوية واللواء محمد على فهمى قائد قوات الدفاع الجوى ، وكان التعاون الوثيق هو السمة البارزة لعمل القوات المسلحة تخطيطا وتنفيذا مع احتراف العمل العسكرى .

فى هذه المقابلة الأولى مع الفريق أول إسماعيل تحدثنا طويلا عن الموقف العسكرى ، وعرفت من المناقشة أن لديه معلومات كاملة وفكرة دقيقة عما يدور داخل القوات المسلحة بحكم منصبه السابق ــ رئيس المخابرات العامة ــ كما شعرت منه بأنه لديه التصميم والإصرار على سرعة استكمال الاستعداد للقتال لبدء الحرب فى أقصر وقت ممكن .

وكان له سؤال محدد يريد الإجابة عنه هو «متى تكون القوات المسلحة مستعدة للحرب ؟» .

كان أحمد إسماعيل يرى ، أنه قد مضت خمس سنوات والقوات رابضة فى خنادقها على جبهة القناة ، وبهذا أصبح الأفراد مهددين بما نطلق عليه عسكريا «مرض الخنادق» من طول المدة ، وذلك أمر خطير يؤثر على الروح المعنوية وكفاءة القتال . كما يرى أن السياسة دخلت القوات المسلحة من باب خلفى ، ولكثرة الأحاديث السياسية من غير المختصين ، فإن الثقة قد اهتزت وتخلخلت فى نفوس بعض القادة وبين صفوف القوات المسلحة ، وأنه نتيجة لما سبق ، وهو فى نفس الوقت بالغ الأهمية ، أصبحت كفاءة الخطة الدفاعية عن الدولة موضع شك . . وساءت التجهيزات الهندسية ، وأهمل العمل تماما فى تحسين أوضاع القوات ، بحيث صار الحال فى مواقع الجبهة ــ بغير تجاوز ــ دون المستوى .

وإذا كانت الحرب امتدادا للعمل السياسى أو هى ــ كما يقولون ــ سياسة بالنار ، فليس معنى ذلك الخلط بين الاثنين . فللسياسة رجالها ، وللقتال رجاله ومن ثم فنحن عسكريون لنا واجب وأمامنا مهمة ، ومهارتنا تتمثل فى كيف نرفع من درجة استعدادنا وكفاءتنا القتالية ، لا أن نتحدث فى السياسة ، وعبرة التاريخ أمامنا شاهد يقول إن السياسة عندما تدخل الجيوش تفسدها .

وفى حديثه معى خلال هذه المقابلة ، كان مقتنعا بأن فى يدنا سلاحا ، وسلاحا جيدا ، إلا أن المناخ العام شككك فى حجمه وشكك فى نوعيته ، واستطرد قائلا «إننى أعترف بأن هناك أسلحة ومعدات أكثر تقدما عما لدينا فى بعض التخصصات ، ولكن من قال إن السلاح الذى فى يدنا انعدمت مقدرته لأنه غير كفء أو غير متطور ؟ . إن من يقول ذلك يستهدف عن قصد إيجاد ذريعة لعدم القتال» .

وعلى أى حال ، ومهما كانت الأسباب ، إنه يجب أن نراعى عند تخصيص المهام للقوات أن تتناسب وطبيعة الأسلحة والإمكانات المتاحة لنا ، وأن نضع الخطط التى تكفل لنا أحسن أداء لأسلحتنا ومعداتنا ، وباختصار شديد يمكن أن نضع أفضل الخطط حسب الظروف والإمكانات المتاحة لنا ، ويمكن بتلك الخطط أن نحقق مهامنا القتالية .

تلك كانت الصورة التى يراها الفريق أول إسماعيل عن الجبهة المصرية .

- **محمد عبد الحليم أبو غزالة**

  عسكرى له دور فى نصر أكتوبر

- **يوسف صبرى أبو طالب**

  والنصر العظيم

- **هزيمة ٦٧**

  ومخاض حرب أكتوبر

محمد عبد الحليم أبو غزالة

** ساعود إلى حرب أكتوبر ولكنى لابد أن أكتب عن رجلين من كبار العسكريين عندنا فى جيلنا هذا . . وهما محمد عبد الحليم أبو غزالة ويوسف صبرى أبو طالب .

فأما محمد عبد الحليم أبو غزالة فهو من كبار رجال جيل الستينيات وهو عسكرى عظيم له دور كبير فى نصر أكتوبر ، وقد ولد فى أول يناير ١٩٣٠ فى الدلنجات محافظة البحيرة ، وتخرج فى الكلية الحربية سنة ١٩٤٩ أى فى سن التاسعة عشرة وينبغى ألا يدهشنا هذا لأنهم أحياناً لا يقضون فى الكلية الحربية أكثر من سنة ثم يكسبون الخبرة أثناء العمل والدراسة بعد ذلك ، فالفريق محمد عبد الحليم أبو غزالة مثلاً ظل يدرس بعد تخرجه حتى حصل على إجازة القيادة لتشكيلات المدفعية من أكاديمية ستالين فى الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٦١ وهو على هذا من قادة جيل الستينيات .

وتخرج أيضاً فى كلية الحرب بأكاديمية ناصر العسكرية العليا بالقاهرة وكلية الحرب

الأمريكية ، وحصل أيضاً على بكالوريوس التجارة من جامعة القاهرة وماجستير إدارة الأعمال .

بكل هذه الدراسات تدرج محمد عبد الحليم أبو غزالة فى وظائف القيادة لوحدات وتشكيلات المدفعية إلى أن تولى قائد مدفعية جيش سنة ١٩٧٢ ثم أصبح رئيساً لأركان إدارة المدفعية سنة ١٩٧٤ وفى سنة ١٩٧٦ أصبح ملحقاً عسكرياً لمصر فى الولايات المتحدة ، وبعد ذلك بثلاث سنوات (١٩٧٩) نجدة رئيساً لهيئة أركان حرب القوات المسلحة ، وفى السنة التالية (١٩٨٠) أصبح وزيراً للدفاع والإنتاج الحربى والقائد العام للقوات المسلحة من ١٩٨٢ إلى ١٩٨٩ أى أن هذا الرجل تولى معظم القيادات الكبرى فى الجيش قبل أن يصبح مساعداً لرئيس الجمهورية سنة ١٩٨٩ وفى أثناء حياته العسكرية الطويلة شارك فى كل حروب مصر ابتداء من حرب ١٩٤٨ ضد إسرائيل ، فقد كان ضمن طلبة القسم النهائى بالكلية الحربية ، وشارك فى حرب السويس سنة ١٩٥٦ وحرب يونيو ١٩٦٧ ثم فى حرب أكتوبر ونصرها العظيم ، إذن فهو فعلاً من أعاظم قادة مصر العسكريين ومن بناة القوات المسلحة اليوم وغداً ، وهو من هذه الناحية ذخر عظيم لمصر ، وإذا أردت أن تستزيد المعرفة به فاقرأ كتابه « وانطلقت المدافع عند الظهر » لتجد نفسك أمام رجل حى بالغ الذكاء عظيم الخبرة ، هذا إلى جانب قاموسه العلمى فى المصطلحات العسكرية ، وقد حصل على أوسمة وأنواط ونياشين كثيرة جداً . وأرى أن الحيز قد ضاق ، فلنرجىء الكلام عن الفريق يوسف صبرى أبو طالب لنبدأ به حديثنا التالى .



الفريق أول يوسف صبرى أبو طالب
والنصر العظيم

لم اشأ أن أكتب عن الفريق أول يوسف صبرى أبو طالب فى فصل الماضى عن العسكريين ، لأن الرجل يتميز بالميزة الكبرى التى زين الله بها الرئيس مبارك وهى أنه عسكرى أصلا ولكنه مدنى تصرفا ، فنحن نعرف أن الرئيس مبارك عندما كان عسكريا وقائدا لسلاح الطيران كان عسكريا كاملا ، وقد قام بدوره فى حرب أكتوبر بدقة وإحكام ووطنية ضمنت لنا نصر الحرب وعندما انتقل فيها بعد إلى رياسة الجمهورية يصعب عليك أن تتصور أن هذا الرجل الشورى البسيط الذى يعانقه الفلاح المتواضع ويقبله عن حب كأنه أخوه .

كذلك صبرى أبو طالب : إنه عسكرى من طراز فريد وقد عهد إليه الرئيس مبارك سنة ١٩٨٩ بقيادة القوات المسلحة فأثبت كفاية رائعة وأمسك بالقوات المسلحة بيد من حديد دون أن يفقد طابعه المدنى الهادىء الجميل وأنا عرفت هذا الرجل عندما كان محافظا للقاهرة وتعجبت من صبره وطول باله ، وأنا بالذات أثقلت عليه لأننى كنت أحمل فى قلبى مشكلة عامة وأريد حلها وبالفعل حصلت منه على حلها وخرجت وكنت أظن أنه تضايق منى ، ولكنى وجدته قد جعل سائقه فى انتظارى لكى يعيدنى إلى المجلة ، والسائق أعطانى بطاقة المحافظ وقال إنه نسى أن يعطينى إياها ورجانى أن أتصل به إذا شئت ، وقبل أن أركب السيارة وجدت يوسف صبرى أبو طالب مقبلا نحوى وهو يقول لقد فرغت نفسى للمهمة التى أتيتنى بشأنها ، لأننى فكرت فيها ووجدت أنها تستحق أن

نحلها معا أنت وأنا ، وأنا الآن تحت تصرفك نصف ساعة وشكرته ومضينا . وكانت المهمة هى أننى لاحظت أن الذين بنوا وزارة الخارجية المصرية الجديدة عند كوبرى أبو العلا فاتهم أن الأرض الممتدة من بناء الوزارة إلى شارع ٢٦ يوليو يضع اليد عليها مالك ليس فى يده أوراق ملكية فقلت لماذا لا تأخذها الحكومة وتجعلها حديقة والذى يؤجرها ينشىء فيها مطعما وكافتيريات ونفتح فى مبنى مسجد السلطان أبى العلا بابا جميلا مطلا على النيل . . هنا يتغير شكل المبنى ويرى الضيوف الأجانب جمال بلدنا لأن الحديقة ستكون زينة وجمالا لبلدنا ، وباب أبى العلا سيكون مظهرا إسلاميا بديعا ، والبناء كله سيتغير شكله ويتضاعف جماله وأضفت إلى ذلك أننا نستطيع أن نحول كوبرى أبى العلا إلى حديقة مثل كبارى فلورنسا فى إيطاليا والسيارات تمر بين حديقتى أشجار وزهور وورد ، ويكون هناك أيضا كافتيريات ، فتصور المنظر فى هذه الحالة ؟ والرجل أصغى لى إصغاء تاما وأعادنى إلى المجلة وهو يعبر عن إعجابه بمشروعى ويعد بأن يبذل أقصى جهده لتنفيذه وعلى سبيل الدعابة قال وسنسمى الحديقة حديقة مؤنس فقلت طبعا أنا أرحب بذلك وأشكرك .

هذا الرجل الذى كان له هذا الصبر معى وهذا الإدراك للجمال هو اليوم القائد العام للقوات المسلحة المصرية وهو وزير الحربية ووزير الصناعات العسكرية وتأكد أنه وزير وقائد ممتاز لأن هذا الخلق لابد أن يفلح صاحبه فى كل مايقوم به ، وإذا كان بعضنا يرى أن إسرائيل بسياستها تمهد لسقوط إسرائيل ، وأن مصر ستضطر يوما إلى تخليص اليهود من شر اسرائيل وإنقاذ الشرق الأوسط منها فسيكون ذلك على يد يوسف صبرى أبى طالب باذن الله .

ولد يوسف صبرى أبو طالب فى القاهرة فى ٢٤ مايو ١٩٢٩ ، درس حتى تخرج فى الكلية العسكرية سنة ١٩٤٨ واستمر فى الدراسة حتى حصل على ماجستير العلوم العسكرية ، ثم درس فى الاتحاد السوفيتى وحصل على دبلوم فى العلوم العسكرية من كلية فرونز . ثم ذهب فى بعثة إلى الولايات المتحدة ودرس ولم يفرغ من دراسته إلا فى أوائل الستينيات .

فنحن إذن أمام رجل درس أوسع دراسة عسكرية يمكن أن يدرسها مصرى ، فجمع بين العلوم العسكرية المصرية والروسية والأمريكية ، وحصل على دبلومات وماچستير ، وعمل فى الوقت نفسه فى الوظائف العسكرية ابتداء من ١٩٤٨ وتدرج فى وظائف السلك العسكرى حتى أصبح مساعدا لوزير الدفاع سنة ١٩٨٠ ثم نقل محافظا لشبه جزيرة سيناء ، وظل يقوم بعمله هناك من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٢ وألم إلماما واسعا بالمشاكل المدنية واتصل بالناس واتسعت آفاق عمله ومعارفه ، فانتقل محافظا لمدينة القاهرة وظل فى هذه الوظيفة من ١٩٨٣ إلى ١٩٨٩ وخلال هذه المدة عرفه الناس وعرف الناس ، ويذكر كل موظفى المحافظة أنهم لم يروا محافظا بهذه الكفاءة والبساطة ، لقد كان يظل فى العمل طول النهار ، وينتقل دائما بين مواقع المسئولية ويقابل كل الناس ويتكلم معهم فى صبر وجمال خلق ، وما من ناحية من نواحى القاهرة إلا ترى أثره فيها مما أعطى لمن يتولون وظيفة محافظ القاهرة بعده خطة للعمل ، وفى سنة ١٩٨٩ اختاره السيد الرئيس حسنى مبارك وزيرا للدفاع وقائدا أعلى للقوات المسلحة .

وفى أثناء عمله فى وزارة الحربية اشترك فى حرب ١٩٧٣ وكان له نصيب كبير فيها ، والذى فهمته منه أنه كان يرى رأى الرئيس السادات فى المناقشات التى دارت حول ثغرة الدفرسوار ، لأن المتكلمين فى ذلك الموضوع كثيرون ، وكان هو نفسه يرى أنه كلما قل الكلام كثر العمل وهى سياسة فريدة وصادقة لأن كثرة الكلام والخلاف فى الرأى لم يؤديا إلى نتيجة .

ومادمنا وقد وصلنا إلى حرب أكتوبر فلا بد أن أقف هنا وقفة طويلة بعض الشيء لأن هزيمة ١٩٦٧ كانت قنبلة هزت كيان كل جيل الستينيات الذى كان إذ ذاك فى مطالع حياته العملية وكان يؤمن بأن المستقبل أمامه متفتح ، وأننا إذا واجهنا إسرائيل فلابد أن ننتصر لأن عبد الناصر وعبد الحكيم عامر كانا يصران على ذلك ولايكفان عن ترداده وكنا نحن المصريين ـ والعرب معنا ـ نثق جدا فى عبد الناصر ولانشك فى كلامه فلما كانت هزيمة ١٩٦٧ على النحو الذى وقعت به شعرنا جميعا بأننا وقعنا على الأرض وداستنا الأقدام ، وكان هذا هو شعورى ، وبعد أيام مفاجأة الهزيمة الأولى قلنا لأنفسنا :

هذا الكلام لايجوز ، ومصر لايجوز أن تفقد معركتها مع إسرائيل بهذه الصورة المحزنة والشباب قالوا : نحن من الآن سنتولى القيادة ولن يخدعنا أحد مرة أخرى .

وقد رأيت فيما مر كيف أن شباب الستينيات كان هذا تصميمه فكأن هزيمة ١٩٦٧ كانت أساسا لبنائه لنفسه . ومصر كما تعرف بلد غنى وقوى وشبابه حى ، فبدأ جيل الستينيات يبنى نفسه وكل من مر بك من شباب الجيش كانوا من جيل الستينات ، وهم الذين وقفوا مع الرئيس السادات عندما قرر أن يدخل الحرب مع إسرائيل ويهزمها ، والنصر الذى تم فى أكتوبر ١٩٧٣ هو نصر شباب جيل الستينيات ، وقد تخطى هذا الجيل اليوم مرحلة عمر الشباب ولكنه مازال شابا ، وأنت تعرف أن كبر السن ليس معناه العجز ، فالإنسان لايكون عجوزا إلا إذا كان عاجزا عن العمل ، أما إذا كان لايزال يعمل بقوة فهو كبير السن وليس عجوزا .

وأنا هنا لا أكرر كلام أولئك الذين يقولون لك إن الشباب هو شباب القلب ، لأن الشباب ليس شباب القلب فحسب ، بل هو شباب الفعل والفكرة والإرادة أيضا ، وزعماء جيل الستينيات الذين أحدثك عنهم كلهم من هذا الجيل والحمد لله ، وأنت إذا رأيت اليوم الفريق أول يوسف صبرى أبو طالب رأيت فيه شابا فعلا . إنه فى الحادية والستين من عمره الآن (١٩٩٠) ولكنه شاب فعلا فهو لايكف عن العمل والتفكير والتجديد ، وأنا أقول لنفسى : يارب إذا كان لابد أن ندخل الحرب مع إسرائيل فاجعل ذلك فى أيام يوسف صبرى أبو طالب لكى نضمن النصر ، وإذا كانت إسرائيل تصر على التخريب والحرب فإن الله سبحانه وتعالى لابد أن يساعدنا فى إيقاف ضررها وكسر أسنانها بصورة نهائية حتى نطمئن على مصيرنا ، ومادامت هذه هى أهمية الحرب مع إسرائيل فى سنة ١٩٧٣ وفى أى يوم من أيام المستقبل فإليك صفحات من حرب ١٩٧٣ آتيك بها من كلام الفريق محمد عبد الغنى الجمسى فهو رجل صادق حقا . وأبدأ بعرض الخلاف الشديد بين القائد العام إذ ذاك والرئيس السادات ـ وقواده بشأن ثغرة الدفرسوار وقد كثر الكلام حول هذا الموضوع قال الفريق الجمسى : (ص ٤١٤ ومابعدها) .

القتال غرب القناة :

وفى صباح يوم ١٦ أيضاً ، كان الفريق أول أحمد إسماعيل قد رافق الرئيس السادات إلى مجلس الشعب ، الذى أعلن فيه الرئيس الراحل رأى مصر لحل مشكلة الشرق الأوسط .

كان فى مركز عمليات القوات المسلحة الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان وأنا ، عندما وصلنا أول بلاغ من قيادة الجيش الثانى عن ظهور حوالى سبع دبابات إسرائيلية فى منطقة الدفرزوار غرب القناة . وكان بلاغاً مزعجاً لنا . كيف تم ذلك ؟ ومتى ؟

وبالاتصال السريع مع اللواء تيسير العقاد قائد الجيش الثانى بالنيابة فتحدثنا إليه فى هذا الموضوع ، كان فى تقدير اللواء العقاد أن هذا العدد الصغير من الدبابات المعادية قد تسرب إلى الغرب ، تحت ضغط القتال الدائر فى شرق القناة على الجنب الأيمن للجيش . وكان فى تقديره أيضا أن القضاء على هذه الدبابات سيتم بسرعة . وقد ثبت فيما بعد أن العدو كان لديه فى غرب القناة بمنطقة الدفرزوار فى ذلك الوقت حوالى ثلاثين دبابة (كتيبة دبابات) وحوالى كتيبة من جنود المظلات تم عبورها خلال الليل . ومن هنا بدأ الخطأ فى تقدير الموقف على ضوء معلومات غير دقيقة عن حجم القوة المعادية .

لم يكن الأمر سهلاً أمامنا فى القيادة العامة ، ونظرا لخطورته تقرر رفع درجة استعداد اللواء ٢٣ مدرع الموجود فى شرق القاهرة ضمن احتياطى القيادة العامة ، وإنذاره بالتحرك إلى الجبهة فى قطاع الجيش الثانى لمعاونة الجيش فى القضاء على القوة الإسرائيلية المتسللة .

عاد الفريق أول أحمد إسماعيل من مجلس الشعب ليجد أمامه الموقف كما سبق تصويره . وافق على إجراءات استعداد اللواء ٢٣ مدرع ، كما قرر تعيين اللواء عبد المنعم خليل ـ من القاهرة ـ قائدا للجيش الثانى حتى يتفرغ اللواء تيسير لعمله رئيسا للأركان . وقد تم اختيار اللواء عبد المنعم خليل لأنه كان قائداً لنفس الجيش فى وقت سابق قبل الحرب .

وبينما كانت الاتصالات بين القيادة العامة وقيادة الجيش الثانى مستمرة لمعرفة الموقف بدقة أولا بأول فى شرق وغرب الدفرزوار ، بعد أن تمكن العدو من دفع الجنب الأيمن للجيش لمسافة ٢ ــ ٣ كيلو مترات شمالاً ووصول بعض قواته إلى غرب القناة ، استدعيت اللواء عبد المنعم خليل إلى مركز العمليات وقمت بتلقينه بالموقف بحضور نائب رئيس هيئة العمليات . تضمن التلقين أن العدو تمكن من عمل اختراق فى مواقع قوات الجنب الأيمن للجيش ، وتسريب بعض الدبابات ليلة ١٥ / ١٦ أكتوبر فى حدود سبع دبابات أو أكثر إلى منطقة الدفرزوار غرب القناة ، وأن الموقف يعتبر خطيراً فى هذه المنطقة . وشرحت له أن أحد اللواءات المشاة الميكانيكية من الفرقة ٢٣ ميكانيكية المتمركزة فى غرب القناة فى احتياطى الجيش قد تم دفعه لمواجهة قوة العدو ــ غرب الدفرزوار ــ وحدث اشتباك مع العدو قبل الظهر ، إلا أن الموقف غير واضح فى قطاع الاختراق .

وخلال هذا اليوم ــ ١٦ أكتوبر ــ بدأت البلاغات تصلنا بأن عدداً من كتائب صواريخ الدفاع الجوى قد هاجمتها دبابات العدو . وكانت كل مجموعة تشكل من حوالى ٧ ــ ١٠ دبابات (سرية دبابات) تطلقُ نيرانها من مسافة حوالى كيلو متر على موقع الصواريخ ثم تنتقل بسرعة إلى موقع آخر . واتضح من سير القتال أن العدو كان يستخدم حوالى كتيبة دبابات ــ ٣٠ دبابة ــ لتنفيذ هذه المهمة . وبذلك أصبح الموقف مائعاً حيث تعذر على قيادة الجيش الثانى تحديد حجم القوة المعادية وأماكن تمركزها . قررت القيادة العامة سرعة احتواء قوة العدو فى منطقة الدفرزوار ، ولذلك تحرك اللواء ٢٣ مدرع من شرق القاهرة ليتمركز على طريق مصر الإسماعيلية الصحراوى قريبا من منطقة الاختراق وعلى استعداد للدخول فى معركة ضد قوة دبابات العدو .

سد الثغرة من الشرق :

كان علينا فى القيادة أن نقرر الطريقة التى تتبع لمواجهة الموقف فى قطاع الاختراق . فهناك ثغرة فى شرق القناة بمنطقة الدفرزوار تتدفق منها قوات العدو غربا وهناك قوة للعدو وصلت فعلاً إلى غرب القناة واشتبكت مع قواتنا .

وكان قرار القائد العام الذى اتخذه مساء يوم ١٦ فى هذا الموقف بعد بحثه بإمعان ، هو ضرورة سد الثغرة فى شرق القناة لمنع تدفق أى قوات معادية تالية ، وعزل القوة التى تعمل فى الغرب . وفى نفس الوقت يتم احتواء قوة العدو فى الغرب لتدميرها .

وفى يوم ١٧ ، وتنفيذاً لهذا القرار ، كانت قواتنا فى شرق القناة تقوم بسد ثغرة الدفرزوار . وكانت فكرة الخطة تقضى بأن تقوم الفرقة ٢١ مدرعة (الجيش الثانى) بدفع أحد لواءاتها فى اتجاه الجنوب ، وفى نفس الوقت يقوم الجيش الثالث بدفع اللواء ٢٥ مدرع فى اتجاه الشمال ، وبالتالى يمكن سد الثغرة من الشرق . وفى نفس الوقت يقوم لواء من الفرقة ٢٣ ميكانيكية بالهجوم ضد قوة العدو التى عبرت إلى الغرب .

تعرض اللواء ٢٥ مدرع أثناء تقدمه شمالاً من قطاع الجيش الثالث شرق البحيرات لقصف جوى شديد وهجوم مضاد على جنبه الأيمن من مدرعات العدو ، الأمر الذى كبده خسائر كبيرة ، واضطر للتوقف ، وبالتالى لم يتم سد الثغرة من الشرق .

اضطر العدو ، لتأمين ثغرة الدفرزوار فى الشرق إلى إقحام فرقة آدان ضد الجنب الأيمن للجيش ودفعه لمسافة ٣ ــ ٤ كيلو مترات شمالاً . ومن هنا تمكنت فرقة آدان من دفع وحدة الكبارى واسقاط كوبرى بالقناة تحت قصف مستمر من مدفعية الجيش الثانى . وأصبح للعدو ــ من فرقة شارون ــ كتيبتان من الدبابات وكتيبتان من المظلات محملة على عربات مجنزرة فى منطقة الدفرزوار غرب القناة .

ويقول ديان عن فرقة شارون ، بعد القتال الشديد الذى خاضته والخسائر الكبيرة التى تحملتها للوصول إلى الضفة الشرقية لتأمين منطقة إنشاء الكوبرى :

« لقد حاربت فرقته ببسالة وتكبدت أبشع الخسائر ، إذ استولى رجاله على رأس الجسر على الضفة الشرقية للقناة فى معركة مدرعات شرسة ، تعرضوا فيها جميعا لنيران العدو المهلكة المتواصلة . .

وفى هذه المعركة قتل أكثر من مائتى رجل . ففى لواء (. . . .) قتل جميع قادة السرايا مرتين على التوالى . لقد قتل أولا القادة الأصليون ، ثم قتل بعد ذلك القادة الذين حلوا محلهم . أما القادة الحاليون فهم الصف الثالث فى غضون أيام قليلة» .

٢٠ أكتوبر :

واستمر القتال فى شرق وغرب القناة ، إلا أن القتال فى الغرب كان له الأسبقية الأولى . وبعد أن تمكن العدو من إنشاء كوبرى فى منطقة الدفرزوار ، ازداد تدفق قواته المدرعة غرباً ، وأصبح له المبادأة فى القتال .

اتجهت قوات شارون شمالاً فى اتجاه الإسماعيلية فى محاولة لدخول المدينة حتى يكون لذلك تأثيره السياسى الكبير ، وفى نفس الوقت تهديد مؤخرة قوات الجيش الثانى الذى كان يتولى قيادته فى ذلك الوقت اللواء عبد المنعم خليل . واجهت قوات الجيش هذا الهجوم باللواء ١٥٠ مظلات وكتيبتين من الصاعقة واللواء ١٥ مدرع وأمكنها إيقاف تقدم فرقة شارون عند ترعة الإسماعيلية وحرمته من تحقيق هدفه السياسى العسكرى .

عبرت فرقة آدان المدرعة ليلة ١٧ / ١٨ ، وأصبحت جاهزة للتقدم من رأس الكوبرى جنوباً فى اتجاه السويس . واتجهت بعض القوات الإسرائيلية غرباً وجنوباً لتوسيع الثغرة فى غرب القناة مع التركيز لتدمير مواقع صواريخ الدفاع الجوى ، حتى يتاح للسلاح الجوى الإسرائيلى العمل بحرية غرب القناة ومنذ مساء هذا اليوم ، ونظرا لأن العدو أصبح لديه فرقتان مدرعتان غرب القناة ، كان لابد أن تدور المعارك الرئيسية فى المنطقة غرب الدفرزوار . وكان لدينا فى الاحتياطى غرب القناة الفرقة ٤ المدرعة (عدا لواء مدرع موجود فى شرق القناة فى قطاع الجيش الثالث) والفرقة ٢٣ ميكانيكية وقوات المظلات والصاعقة واللواء ٢٣ مدرع .

تقرر حينئذ إعادة اللواء المدرع الموجود فى الشرق لينضم إلى فرقته الرابعة المدرعة ، وبذلك تصبح الفرقة مستكملة فى الغرب . أما فى قطاع الجيش الثانى فلم يكن من الممكن إعادة الفرقة ٢١ مدرعة إلى الغرب لتصبح فى الاحتياطى حيث إنها كانت مشتبكة فى القتال منذ يوم ١٤ فى الشرق . ومن هنا فقد أعيد اللواء ١٥ مدرع من قطاع القنطرة ليصبح ضمن احتياطى الجيش الثانى فى الغرب .

وخلال يومى ١٩ ، ٢٠ أكتوبر تقدمت قوات العدو المدرعة غرباً وجنوباً فى اتجاه فايد فى ظل تفوق جوى إسرائيلى . وقد بذلت قواتنا الجوية مجهوداً كبيراً خلال هذه الفترة

الصعبة لحماية قوات الجيش بالتعاون مع الدفاع الجوى . وبلغ متوسط المجهود الجوى لقواتنا الجوية فى منطقة الثغرة ٢٣٠ طلعة طائرة / يوم خلال المدة من ١٥ — ١٨ أكتوبر ، وبمتوسط ٢٥٠ طلعة طائرة / يوم خلال المدة من ١٩ — ٢٢ أكتوبر ، وكان ذلك دوراً بارزاً لقواتنا الجوية التى استخدمت فيها كل أنواع الطائرات المتيسرة .

ونظراً للتفوق البرى والجوى الذى أصبح للعدو فى غرب القناة ، كما أن المبادأة أصبحت فى جانبه ، كان من الضرورى وضع الفرقة الرابعة المدرعة تحت القيادة المباشرة للقيادة العامة حتى يمكن استخدامها . . باعتبارها القوة الرئيسية — إما فى قطاع الجيش الثانى أو الثالث غرب القناة حسب تطور الموقف .

وعلى ضوء هذه التطورات ، حضر الرئيس السادات إلى مركز العمليات . وبعد أن استمع إلى تقرير عن الموقف من الفريق أول إسماعيل ، تقرر إيفاد الفريق الشاذلى إلى قيادة الجيش الثانى للعمل على منع تدهور الموقف ، وذلك باتخاذ الإجراءات للقضاء على قوة العدو غرب القناة ومحاولة قفل الثغرة فى شرق القناة ، وهى كلها فى قطاع الجيش الثانى .

كان الفريق الشاذلى فى قيادة الجيش الثانى بعد ظهر يوم ١٨ أكتوبر ، وكنت على اتصال مستمر معه لتبادل المعلومات والآراء . وبعد أن ألم بالموقف تماماً ، عاد مساء يوم ٢٠ أكتوبر بالرأى الذى يراه لمواجهة تهديد العدو الموجود فى غرب القناة . وهو ضرورة سحب أربعة لواءات مدرعة من الشرق إلى الغرب خلال الـ ٢٤ ساعة التالية للدخول فى معركة ضد قوات العدو . وأن ذلك من وجهة نظره لا يؤثر على كفاءة دفاعاتنا فى الشرق ، كما كان يرى أن الموقف خطير ويجب طلب حضور رئيس الجمهورية لشرح الموقف أمامه .

- **ماهر أباظة**

وزير من أسرة كريمة من الشعب وللشعب

- **عاطف عبيد**

مستشار للرئيس من الشعب

- **أسامة الباز**

الشئون السياسية للرئيس

ماهر أباظة
وزير من اسرة كريمة من الشعب وللشعب.

ماهر أباظة ، وزير من أسرة كريمة من المصريين فى خدمة المصريين .

كان ينبغى أن أتحدث عن ماهر أباظة فى الفصل الماضى ، ولكنى ادخرته لأفتتح به هذا الفصل الذى أتناول فيه علاقات الوزراء بالشعب فى جيل الستينيات ، فقد تعودنا فى بلدنا أن نعتبر الوزراء شيئاً خارج الناس ، أو قل فوق الناس ، وفى ذات مرة دعانى ـ مع غيرى ـ محمد صلاح الدين ، وكان وزير خارجية الوفد ، وكنا نحبه لأنه كان وزير النحاس باشا ، وأنا شخصيا كنت أستظرفه وأكثر اللقاء معه ، وفى تلك الدعوة التى وجهها لنا كان المفروض أن يتغدى معنا ، ولكن عندما جلسنا إلى المائدة ـ وكان ذلك فى أنشاص . جاء سكرتيره وقال إن معالى الوزير سيتأخر مع الملك ، وأنه يستحسن أن نأكل نحن إلى أن يأتى .

ولا أدرى لماذا لم يعجبنى هذا الأمر ، فلم آكل وإنما نهضت أتمشى ، وساقتنى قدماى إلى حيث كان الوزير ، وعرفت أثناء ذلك أن الملك غير موجود فى أنشاص أصلا ، والتقيت بواحد من الخدم فقلت له :

ـ اسمع يا أخى أنا فلان ولدى رسالة من جلالة الملك لمعالى الوزير .

وأسرع الرجل فقادنى إلى حيث كان الوزير ، واستأذن لى فدخلت فإذا به يتغدى مع ابنه ، فطلبت كرسيا وجلست وقلت للوزير :

ــ لماذا لاتتغدى معنا يا سيدى الوزير

فقال على الفور : كنت أنتظر رسالة من جلالة الملك .

قلت له : لا أظن ذلك ، ولو أنك قلت لى إنك تنتظر رسالة من مصطفى النحاس لكان أمثل بك ، ولكنك لم تأكل معنا يا سيدى الوزير لأن فى دمك شيئا يقول لك : أنت وزير ، والوزير أعلى من الناس ، فلابد أن يأكل وحده ويجلس وحده ، وهذا خطأ ياسيدى الوزير ، فهأنت ذا تأكل وأنا جالس ، فماذا جرى لك ؟ أو ماذا نقصت ؟ وهأنذا سآكل معك . . فهل ترانى زدت شيئا ، ولكنى جائع فاطلب لى غداء يا سيدى ولاتنس ماقلته لك .

وطلب لى الطعام ومضيت آكل ، وتوقف هو عن الأكل ، ونهض ابنه وخرج ، فمال علىّ وقال فى شبه الهمس :

ــ قد تكون على حق ، ولا أدرى لماذا فعلت ذلك ، ولكن يبدو أننى كنت أريد أن أتحدث مع ابنى ، وأنا لى معه مشاكل ــ كما هو الحال مع كل أب ــ وأحب أن أرجوك ألا تقولَ شيئا عن ذلك لزملائك .

ــ قبل كل شىء أرجو أن تأكل ، فإن أكلك معى لن يقلل من قدرك ، وأكلى معك لن يزيد من قدرى ، ولكنه يجعلنى أشعر أن الدنيا بخير ، وأن الوزارة أقل منك ، وأنك تتولاها لتخدم ، لا لأنك أكبر منا . . ولا شك أنك ستكون أكبر وأنت خارج الوزارة .

ــ وكيف ؟

ــ لأنك ستعود إنسانا ، وستأكل معنا دون أن تشعر بأن مقامك قد انهزل .

لا أدرى لماذا تخطر ببالى قصة محمد صلاح الدين هذه كلما ذكرت محمد ماهر أباظة وزير الكهرباء فى مصر ، فهو من فرع غنى من الشجرة الأباظية الوارفة ، وهو رجل غنى بنفسه ، غنى بقلبه وعقله ، ولد فى ١٢ مارس سنة ١٩٢٠ بمحافظة الشرقية . ونشأ نشأة

أغنياء الأباظيين ، ودرس حتى حصل على بكالوريوس الهندسة من جامعة القاهرة سنة ١٩٥١ ، ولم ينفق وقته بعد ذلك فى الدراسة للماچستير أو الدكتوراه لأن العمل الهندسى فى اعتباره كان فى ذاته لايقل فائدة أو قدرا لصاحبه عن الألقاب العلمية ، ولهذا فقد قضى عشر سنوات متتالية (١٩٥١ ـ ١٩٦١) يعمل مهندسا بوزارة الأشغال العامة ، ثم انتقل كبيرا لمهندسى المكتب الهندسى للمشروعات الكهربائية ، ومن هنا فإننى اعتبر سنة ١٩٦١ تعدل الدكتوراه فى تاريخ ماهر أباظة ، ومن هنا فهو فعلا من جيل الستينيات ، وفى سنة ١٩٦١ أصبح كبير مهندسى المكتب الهندسى للمشروعات الكهربائية ، واستمر فى هذه المسئولية حتى سنة ١٩٦٤ ، ونستطيع أن نقول إنه أصبح وزيرا من ذلك التاريخ ، لأن الوزارة رئاسة كبيرة ، وفى حالة ماهر أباظة هى رياسة فنية كبيرة ، وفى المصريين وجوه نقص كبيرة منها الناحية الفنية ، والفن هنا ليس الابتكار فحسب ، بل الابتكار القائم على العلم ، والمصرى لايدقق فى الفن ، وعقله على الجملة «سايح» ، حتى إن بعض الناس يخطئون فى تاريخ ميلادهم ، ومسألة النسيان هذه تبدأ عندهم وكأنها نوع من التواضع ، ثم تصبح عادة وتجملا (بضم الميم وتشديدها) ، وقد تعودت على السيحان فى عقلية المصرى ذلك حتى أصبحت لا أستغربه ، ولا أنسى أن الدكتور منصور فهمى عندما كان عميدا لكلية الآداب قال لنا مرة وهو خارج بعد نهاية العمل فى الصباح : لا تنسوا أننا سنعمل بعد الظهر ، سنعمل من الساعة الخامسة إلى الرابعة . . وضحكنا لأن الناس لاتعمل قط من الخامسة إلى الرابعة ، بل العكس ، وقد تظاهر منصور فهمى بأن هذا خطأ أو سهو فلسفى ــ وكان الرجل فيلسوفاً ــ لكنى أنا ــ وأنا قريبه فهو ابن خالة أمى ــ كنت أعرف أنه فيلسوف فى الجامعة ، أما فى قريتنا شرنقاش مركز طلخا فكان رجلا ماليا من الطراز الأول ، فكان لايمكن أن يخطىء ويعطيك خمسة بدل أربعة ، ولكنه كان مستعدا دائما لإعطائك أربعة بدلا من خمسة ، وكنت أعمل معه فى بيته فى ترتيب مكتبته ، وقد قال لأمى إنه سيعطينى قرشا فى اليوم ، وترجم لفظ القرش بأنه «تعريفة» أى خمسة مليمات ، وعندما علمت بذلك أمى ذهبت إليه وتشاجرت معه ، وقالت له : يابخيل ، الولد يعمل عندك من الواحدة إلى الخامسة بعد الظهر ثم تعطيه تعريفة ! فقال لها : ولكنه يتغدى هنا يافلانة فقالت له : وتحسب عليه

الغدا ! والله لتعطنى فرق التعريفة عن الصاغ لمدة ثلاثة أشهر ، وفى كل يوم يتغدى هنا ويأخذ قرشا صاغا ، إن الولد يريد أن يشترى قميصاً وبنطلوناً من كسبه ! .

وفى سنة ١٩٦٦ أصبح ماهر أباظة مدير إدارة مشروعات الشبكة الكهربائية بوزارة الكهرباء ، وهذه الوظيفة تعدل الوزارة وقد ظل فيها ماهر أباظة حتى سنة ١٩٦٨ وخلال هذه الفترة بدأنا ــ نحن الجمهور نعرف شيئاً عن الشبكة الكهربائية وتعقيداتها وصعوباتها بفضل ماهر أباظة ، لأن الرجل كان يتكلم مع الجمهور فى مسائل الكهرباء ، وكان يتكلم كلام رجل فاهم يعرف أنه يخاطب جمهور « مش فاهم » ولكننا كنا نفهم منه ، وأنا بالذات كنت أصغى لكلامه إصغاء التلميذ للاستاذ ، لأننى كنت أفهم كلامه وأستمتع بهذا الفهم .

وفيما بين عامى ١٩٧٢ و ١٩٧٣ يصبح ماهر أباظة مراقباً عاماً بهيئة كهرباء الريف ، ثم يصبح المدير الإدارى لهيئة كهرباء مصر من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٤ ، ثم ينتقل وكيلاً أول لوزارة الكهرباء والطاقة ، ويظل فى هذه الوظيفة من ١٩٧٥ إلى ١٩٨٠ وبعد ذلك يصبح وزير الكهرباء والطاقة فى مصر ١٩٨٠ ومازال إلى اليوم . ولا تجد رجلاً يحفظ كهرباء مصر كما يحفظها ماهر أباظة ــ فهو يعرف الشبكات والمراكز والخطوط فى كل موضع فى مواضع مصر ، ولو أن الناس أصغوا لحديثه لفهموا لماذا ارتفعت فى السنوات الأخيرة مبالغ ما ندفع فى الكهرباء لأننا نحن المصريين نريد أن نستهلك ما نحتاج إليه من الطاقة دون أن ندفع شيئاً ، وأعرف عند واحد من أصدقائى خمسة أجهزة تكييف ، وهو يدعها تعمل صيفاً وشتاءً . . وليلاً ونهاراً . . ويتعجب من أنهم يتقاضون منه مائتين وخمسين جنيهاً فى الشهر وأنا أقول له : حرام عليك يا فلان فأنا لا أستهلك من التكييف إلا ساعة أو ساعتين فى اليوم ومن جهاز واحد وأدفع مائة جنيه فى الشهر ، ولا أشكو وأنت غارق فى التكييف ، ولو استطعت أن تكيف جو الطريق . . لفعلت ثم تستكثر هذا المبلغ ! .

لهذا فأنا أؤيد ماهر أباظة فى كل ما يعمل ، وأتمنى أن يجىء اليوم الذى ندفع فيه من مالنا كل تكاليف الكهرباء حتى نصحو ونتنبه ونعرف أن لكل شىء فى الحياة ثمناً وأن الحياة مستحيلة إذا كانت هكذا مجاناً كما نتمنى نحن .

ويكاد طابع ماهر أباظة فى الوزارة من الشعب إلى الشعب أن يكون الطابع الغالب على وزاراتنا فى عصرنا هذا لأن هذا هو طراز رئيسنا محمد حسنى مبارك نفسه فهو رئيس من رأسه إلى قدمه ، ولكنه من أبناء الشعب بطبيعته ، وقد سمعته أخيراً يتحدث إلى الرياضيين من لاعبى الكرة قبل ذهابهم لدخول المعركة العالمية ، وبعد عودتهم منها فاحسست أن هذا الرجل عاش معهم المعركة ساعة بساعة ، وقد نصحهم قبل أن يذهبوا وهنأهم بعد أن عادوا ، وفى كلا الحالين كان يتحدث فى بساطة مطلقة كأنه يتحدث إلى أولاده ، وهم أيضاً شعروا أنهم يستمعون إلى أبيهم ، وفى حديث لمحمود الجوهرى كان يناديه باسمه : يا جوهرى كأنه أخوه ، فلا غرابة والحالة هذه أن تجد الوزراء يجتهدون فى أن يكونوا من الشعب وللشعب ، وبعضهم لا ينجح ، ولكن غالبيتهم ينجحون . وخاصة نواب رئيس الوزراء أحمد عز الدين هلال ، وأحمد عصمت عبد المجيد وكمال الجنزورى ومحمد عبد الحليم أبو غزالة ومحمد عبد السلام الزيات ، ومن الوزراء من يعجبوننى لأنهم نجحوا فى ذلك وفى الوزاره أيضاً .ومنهم أحمد سلامه محمد وأحمد عز الدين هلال وأحمد فتحى سرور وأحمد مصطفى عبد الآخر وأحمد ممدوح عطية وأحمد نجيب هاشم وشفيق على الخشن وعادل طاهر وعاطف عبيد وعائشة راتب وكمال الجنزورى ومحمد صفوت الشريف وسأتحدث عن قصص هؤلاء .

عاطف محمد عبيد
مستشار للرئيس من الشعب

أرجو أن يعرف القارىء أن قولنا عاطف عبيد منفذ لأوامر الرئيس ليس فيه انتقاص لمكانته ، لأن الرئيس مبارك رغم الباقة التى يبدو بها فى كلامه رجل عميق الفكر جداً وواسع الدراسة إلى درجة تستطيع أن تقول معها إنه لا يتحدث عن شىء إلا إذا كان قد درسه تماماً ، ومن هنا فإن الذين يتولون تنفيذ أوامره لابد أن يكونوا من طرازه عمق تفكير وشمول فى النظر .

وخذ مثلاً عاطف محمد عبيد فقد ولد فى ١٤ أبريل ١٩٣٢ بطنطا محافظة الغربية وحصل على بكالوريوس التجارة سنة ١٩٥٢ وعلى الماجستير سنة ١٩٥٦ ثم ذهب فى بعثة إلى الولايات المتحدة وحصل على دكتوراة إدارة الأعمال من جامعة الينوى بالولايات المتحدة سنة ١٩٦٢ ثم عاد إلى مصر ليبدأ من القاهرة وظل فى هيئة التدريس حتى وصل إلى أستاذية إدارة الأعمال سنة ١٩٨٤ ثم انتقل فى وزارات الكهرباء والصناعة والتعليم العالى والإسكان ثم مستشاراً وممثلاً لمصر فى منظمة العمل الدولية للتطوير فى برامج الإدارة فى قبرص ومن سنة ١٩٨٤ نجده وزيراً لشئون مجلس الوزراء ثم وزيراً للتنمية الإدارية إلى يومنا هذا .

وأنا أنظر إلى عاطف عبيد من ناحية أنه منفذ لأوامر السيد الرئيس ولابد أن له نواحى كثير جداً نمت فيه مع الدراسة والتدريس والوظائف الإدارية التى تولاها ولكن تكفى هذه الناحية هنا ولابد أن تعرف أن تنفيذ أوامر الرئيس ليس مجرد تنفيذ بل هو ثمرة تفاهم وتبادل رأى واطلاع واسع فإن المعلومات تصل إلى الرئيس بكثرة هائلة ولابد من ناس يقرءون ويرتبون ويفكرون ثم يعرضون على السيد الرئيس ، وقد يكون لدى مساعديه ترتيب لكل الموضوعات المحصلة عنها فتؤخذ إليه وتعرض وتناقش فى هدوء مرة وثانية وثالثة حتى ينتهى الرأى على صورة معينة هى التى يأخذها الرئيس ويعرضها ويناقشها مع الناس أو مع من يريد ويجودها بالمناقشة والأخذ والرد ويحس وهو يعرض مدى قبول الناس لها أو عدم قبولهم ويقرر ما يرى ، وهذه كلها عمليات غاية فى الصعوبة والتعقيد ولابد من صبر وطول بال ومراجعات وأخذ ورد وقد يتطلب الأمر استشارة المستشارين أو جمع آراء العلماء لأننا فى موضوع سياسة دولة وتقدير سياسة بلد ومستقبله وتحديد اتجاهه ، ونحن الناس العاديين نلقى بالآراء جزافاً دون أن نخشى شيئاً ، لأننا غير مسئولين ، وقد نحسب أن الآخرين مخطئون ، لأن علمنا لا يتسع لمعرفة ما يعرفونه ، ثم إننا نخطىء ولا ينتج من خطئنا ضرر ، ونحن نستطيع دائماً أن نعود إلى الصواب فى أمان .

أما الذين يحيطون بالرئيس ويناقشون معه الموضوعات ويجمعون له المعلومات ويعرضونها فلا يستطيعون الخطأ ولا يجوز عليهم ، لأن مسئولياتهم كثيرة وخطيرة ، والناس لا تغفر لهم أخطاءهم . . والرئيس يتبين فيهم الخطأ إذا أخطئوا . . . ويتميز الرئيس مبارك بطول البال وتصحيح الخطأ ، ولكنه ينتظر ممن يصحح لهم ألا يعودوا إلى الخطأ ، وعندما نرى رجلاً فى الوزارة من سنة ١٩٨٤ إلى اليوم وعضو فى اللجان الوزارية برئاسة مجلس الوزراء ولجان شئون البيئة واللجنة العليا للسياسات والشئون الإدارية طول هذه المدة لابد أن نقرر أنه على شىء عظيم ، خاصة أن عضويته لهذه المجالس واللجان معناها الرياسة ، والرياسة هنا معناها الاستعداد لنقل الآراء إلى الرئيس إذا كان لهذا هنا لزوم أو الاستجابة لمطالبه إذا طلب ، وتلك هى صعوبة ومسئوليات أعمال كالتى يحملها عاطف محمد عبيد . .

أسامة الباز

الشئون السياسية للرئيس

أرجو ألا يفهم القارىء أننى عندما أقدم فى كلام عاطف عبيد على أسامة الباز أن معنى ذلك أنه مقدم عليه أو أفضل منه ففى كل هذه الأسرة الكبيرة أسرة الستينيات لايوجد أفضل أو أكبر أو أهم فكلهم سواء ، كلهم مشتركون فى بناء مصرّ الغد ، كلهم يقفون ربما دون أن يدروا أمام جماعة اللصوص الذين نشكو منهم ونحاربهم كلنا وبفضل جيل الستينيات الذى أكتب عن رءوسه وزعمائه يتراجع اللصوص ويختفون ، وقد ولدت أجيال اللصوص منذ أجيال عبد الناصر ثم بصفة خاصة ـ من أيام السادات ، لأن هذين بلغ من غرورهما أنهما كانا يستهينان بأى شىء يسرق ، لأن مصر كانت غنية ، ويكفى أن تعلم أن انجلترا كانت مدينة لمصر فى أول أيام الثورة بمبلغ ٤٠٠ مليون جنيه إنجليزى . . تعدل اليوم ثلاثة آلاف مليون جنيه ، فأين ذهبت هذه ؟ بل إن أسر مصر الكبيرة قبل الثورة كان فيها الكثير من الغنى والمال ، فأين ذهبت تلك الأموال ؟ إننى أعرف سيدة موسرة دخل شباب الضباط بيتها بحجة إحصاء ما لديها وسرقوه كله ، وكان شيئا عظيما ، والمسكينة بلغ من خوفها أنه كان لديها مبلغ من المال مخبأ فى موضع لايعرفه أحد منهم إذ كان لديها خمسون ألف جنيه فى مكان فى البيت فخافت أن يعرفو فنادت آخر ضابط كان فى البيت وأبلغته بالمبلغ فأخذه ودسه فى جيبه ، ولم يسمع به أحد من ذلك الحين ، هذه السيدة بقى لها بعد ذلك كله عشرة آلاف جنيه فأتت تستشيرنى وهى ترتعد ، فأخذتها إلى البنك الأهلى وأودعنا المبلغ وديعة باسمها ، والمبلغ وصلت قيمته الآن فوق المائتى ألف جنيه والسيدة تعيش منه والحمد لله .

وأسامة الباز من أسرة كريمة هى فى الوقت نفسه أسرة عباقرة فإن أخاه فاروق الباز غادر مصر إلى أمريكا وتخصص فى الذرة ، وهو اليوم أمريكى مصرى الجنسية ، وهو من أكبر علماء الدنيا فى الذرة ، وقد أبى عليه شرفه إلا أن يكون فى خدمة مصر كما هو فى خدمة أمريكا .

وحصل أسامة الباز على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة سنة ١٩٥٤ وقد فاتنى أن أذكر أن أسرته من محافظة الشرقية ، وقد ولد سنة ١٩٣٠ وبعد أن حصل على الليسانس حصل على الماچستير ، ثم سافر فى بعثة دراسية إلى أمريكا وحصل على الدكتوراه فى القانون الدولى من جامعة هارفارد بالولايات المتحدة ، وعاد إلى مصر فعين وكيلا للنيابة ، وتمرن على أعمال القضاء ، ثم انتقل فى سنة ١٩٥٨ إلى وزارة الخارجية سكرتيرا ثانيا وبدلا من أن يركز على وظائف السلك السياسى ويتركز جهده على السفر فى وظائف السلك السياسى وجمع الأموال وشراء السيارات ، نرى أسامة الباز يتجه إلى دراسة الشئون الخارجية فيقرأ كل مايصل إلى يده من تقارير وزارة الخارجية ، ويشترى الكتب ويطلع حتى أصبح من أوسع رجال السلك السياسى علما ، ولهذا فقد أخذ يرتقى فى وظائف السلك السياسى عن علم واستحقاق لا عن أقدمية ووسائط . . فأصبح مستشارا سياسيا لوزير الخارجية ثم يصبح أحد مستشارى مركز الدراسات الإسرائيلية والفلسطينية بمؤسسة الأهرام . والدراسات الإسرائيلية هى مركز الدراسات السياسية الخارجية عندنا ، فنحن هنا نقف أمام خصم إسرائيلى لعين لايطلب أقل من القضاء على العرب جميعاً ، لأن العقلية الإسرائيلية عقلية طماعة شريرة لعينة ، ولسنا نحن وحدنا الذين نقول ذلك ، بل سبق إليه الألمان وأرجو ألا تحسب هنا أن أدولف هتلر نشأ من فضاء ، إنه ثمرة مباشرة لحقد اليهود وطمعهم ، فقبل سنة ١٩٣٣ وهى السنة التى أصبح هتلر فيها مستشارا لألمانيا لم يكن من الممكن لألمانى أن يتولى وظيفة كبرى أو أستاذية جامعة أو رياسة مصلحة ألمانية إلا إذا وافق اليهود ، وهم فى الغالب كانوا يرفضون حتى يذهب المرشح للوظيفة إليهم ويمسح أحذيتهم ويأخذ موافقتهم ، ولهذا رشح كل الألمان هتلر للمستشارية وهى رياسة الدولة ، وهندمبورج عندما سلم إليه المستشارية كان يعرف ماسيحدث . والألمان رحبوا به لأنهم يعرفون ماسيعمل وكانوا

ينتظرون طول الليل لكى يسمعوا خطبه فى الصباح وأنا حضرت هذه الخطب ورأيت الألمان وهم يهتفون لهتلر فى صوت واحد يرج الأرض رجا ، حقا إن هتلر بالغ فى الانتقام من اليهود ، ولكن أرجو أن تتأكد أن كل الألمان كانوا معه ، وأرجو أن تعلم كذلك أن هتلر لم يقتل ستة ملايين يهودى ، لأن اليهود كانوا يفرون من أحكام الإعدام برشا يدفعونها للإلمان ، وهناك من يقولون إن خمسة ملايين من أولئك الملايين الستة هربوا إلى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية .

المهم إن عمل أسامة الباز فى مركز الدراسات الإسرائيلية والفلسطينية وسع ذهنه ومكنه من الإحاطة التامة بهذه المشكلة الإسرائيلية العويصة ، وإن لم يجعله يميل إلى العنف والبعد عن الإنسانية ، فقد عرف الرجل كيف يحتفظ بإنسانيته وشخصيته ومصريته ، ثم انتقل إلى وظيفة أكبر وأعظم مسئولية ، وهى وظيفة المدير لمكتب الأمين الأول للجنة المركزية للشئون الخارجية المنبثقة من اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، وكان إذ ذاك حزب الحكومة ، ومعنى ذلك أن أسامة الباز أصبح مستشار الدولة فى السياسة الخارجية ، ثم انتقل الدكتور أسامة الباز مديرا للمعهد الدبلوماسى ، وهو معهد عام جدا أنشأته وزارة الخارجية للدراسات الدبلوماسية ، وقد شاركت فيه وألقيت فيه المحاضرات أيام صديقى المرحوم محسن أباظة ، وتبينت أن هذا المعهد الدبلوماسى المصرى فى حاجة إلى مزيد من الاهتمام والعناية والانفاق . . وصدقنى أننا لو ألغينا إحدى وظائف المستشارين فى سفارتنا فى لندن أو فى الولايات المتحدة وأنفقنا تكاليفها على معهد الدراسات لكان كسبا عظيما .

ثم أصبح أسامة الباز وكيلا أول لوزارة الخارجية ومديرا لمكتب السيد رئيس الجمهورية للشئون السياسية ، وهاتان وظيفتان مهمتان جدا . ولا شك أن الدكتور أسامة الباز يؤدى لمصر أعظم الخدمات فى وظيفته هاتين اللتين لاتدعان له وقتا للتنفس . . وهو من هذه الناحية من خيرة جيل الستينيات الذى يبنى مصر اليوم والغد . .

* * *

وعندما نتأمل أولئك جميعا نرى أنهم وزراء من الشعب للشعب فليس من بين هؤلاء من لا تستطيع أن ترفع السماعة وتكلمه .. فأين هذا من أمثال محمد صلاح الدين الذى استكثر على نفسه أن يأكل معنا .

• حرب أكتوبر

كسبها الجيش والشعب

مؤتمر العمليات العسكرية

ليلة ٢٠ / ٢١ أكتوبر ١٩٧٣

• إسرائيل

لا تحترم قرارات مجلس الأمن

• حرب أكتوبر كسبها الجيش والشعب

كان نصرنا فى حرب أكتوبر نصرا عظيما وعجيباً ، فقد كنا فعلا فى القاع أمام إسرائيل ، وكان أى إنسان يرانا يظن أننا لن نستطيع أن نقف أمام إسرائيل أبدا ، لأننا كنا نظن أن إسرائيل هى أمريكا ، وهل نحن نستطيع أن نحارب أمريكا ؟ كان الرئيس السادات يقولا لا . . لن نستطيع محاربة أمريكا ، وقد تصرف على هذا الأساس كما رأينا ، أما نحن بقية المصريين فكنا واثقين من أننا لو واجهنا الشيطان نفسه لحطمناه ، كان ذلك مستقرا فى قلوبنا ، وعندما قمنا فى وجه إسرائيل وهزمناها لم يندهش منا أحد ، تصرفنا كأن ذلك إذ ذاك كان طبيعياً ، وسأحدثك عن هذا فى هذا المقال .

ولكن قبل أن أحدثك فى ذلك أكمل لك الكلام عن هذه الحرب كما وصفها الفريق الجمسى فى كتابه (ص ٤١٩ وما بعدها) .

حرب أكتوبر ١٩٧٣

عندما حضر الرئيس السادات إلى مركز العمليات حوالى الساعة العاشرة والنصف مساء يوم ٢٠ أكتوبر ، كان الفريق الشاذلى واللواء

حسنى مبارك واللواء محمد على فهمى وأنا واللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية واللواء سعيد الماحى مدير المدفعية مجتمعين فى غرفة المؤتمرات داخل مركز العمليات .

اجتمع الرئيس مع الفريق أول أحمد إسماعيل على انفراد لمدة حوالى ساعة قبل بدء المؤتمر . ومن الطبيعى أن يكون الوزير أحمد إسماعيل قد قدم للرئيس تقريراً عن الموقف ، ووجهة نظره ، ورأى الفريق الشاذلى ، وهما رأيان متعارضان لمواجهة هذا الموقف . وكانت نقطة الخلاف الرئيسية هى أن الشاذلى كان يرى سحب أربعة لواءات مدرعة من الشرق إلى الغرب ، أما أحمد إسماعيل فكان يرفض ذلك .

دخل الرئيس ومعه الوزير أحمد إسماعيل والمهندس عبد الفتاح عبد الله وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية غرفة المؤتمرات وطلب الرئيس رأى المجتمعين واحداً بعد الآخر .

بدأ مدير المخابرات الحربية يشرح موقف العدو ونواياه التى أبرز فيها أن العدو يهدف من معركته غرب القناة إلى احتلال مدينة الاسماعيلية أو السويس ، وهو مايحقق له هدفا سياسيا بالإضافة لتأثير ذلك على الموقف العسكرى لقواتنا .

وكنت أنا المتحدث الثانى ، حيث شرحت فى حديثى موقف قواتنا أبرزت فيه أن قواتنا فى شرق القناة بالقدر الكافى الذى يجعل منها صخرة تتحطم عليها أى محاولات ضدها . ونظرا لأن الإنجاز العسكرى الكبير الذى تحقق بوجود قواتنا فى سيناء ، يجب عدم التنازل عنه أو تعرضه للخطر ، لذلك فإن المحافظة على قواتنا شرق القناة كما هى دون سحب أى قوات رئيسية منها أمر واجب . . وكان رأيى أن سحب اللواءات المدرعة المصرية من الشرق إلى الغرب يترتب عليه اهتزاز دفاعات قواتنا فى الشرق . . الأمر الذى لا يمكن قبوله . فضلاً عن ذلك فإن التأثير المعنوى على القوات بعد سحب اللواءات المدرعة من الشرق يصبح شديداً بطريقة سلبية . واتذكر أنى قدمت أعداد الأسلحة

الرئيسية من الدبابات والمدفعية وأسلحة المشاة ، وبصفة خاصة كميات الذخيرة الموجودة فى الشرق موضحاً أنها تكفى لتحقيق مهمة الاحتفاظ بمواقع قواتنا فى سيناء بكفاءة .

وبعد أن استمع الرئيس لرأى باقى القادة ، لاحظت أن الفريق الشاذلى لم يتكلم . وقرر الرئيس «عدم سحب أى قوات من الشرق مع احتواء قوات العدو فى الغرب» .

ويفسر الشاذلى الموقف الذى اتخذه بعدم إبداء رأيه فى المؤتمر ـ كما جاء فى مذكراته ـ فيقول :

«. . . طلب الرئيس الكلمة من المجتمعين واحداً بعد الآخر . وقد قام كل منهم بشرح موقف القوات بأمانة تامة . وبعد أن استمع إليهم جميعا لم يطلب منى الكلمة وعلق قائلاً : «لن نقوم بسحب أى جندى من الشرق» وأنا ، لم أتكلم ولم أعلق . فغمزنى المهندس عبد الفتاح عبد الله وهمس فى أذنى «قل شيئا» ، ولكنى تجاهلت نصيحته . ماذا أتكلم وقد اتخذ الرئيس القرار ، ولا يريد أن يسمعنى . إننى أريد أن أسحب ٤ ألوية مدرعة من الشرق ، وهو يعارض سحب جندى واحد . إنه لم يتخذ هذا القرار عن جهل بل عن معرفة تامة بالموقف . . . إنه يعرف الحقائق كلها عن الموقف وهذا هو قراره» .

فى مثل هذا الموقف المعقد الذى كانت تواجهه قواتنا تتعدد الآراء وتتباين وجهات النظر . وعندما يتخذ القائد العام ـ وأى قائد فى مستوى أقل ـ قراره ، فلابد أن تلتزم قيادته وقواته بالتنفيذ . لقد عاصرت الفريق الشاذلى خلال الحرب فى بعض هذه الزيارات . وأقرر أنه عندما عاد مع القوات من الجبهة يوم ٢٠ أكتوبر لم يكن منهاراً ، كما وصفه الرئيس السادات فى مذكراته (البحث عن الذات ـ ص ٣٤٧) بعد الحرب ، لا أقول ذلك دفاعا عن الفريق الشاذلى لهدف أو مصلحة ، ولامضاداً للرئيس السادات لهدف أو مصلحة ، ولكنها الحقيقة . . أقولها للتاريخ ، لقد كان هنالك خلاف فى فكر رئيس الأركان وفكر القائد العام على الطريقة التى نواجه بها موقفا عسكريا أمامنا ، وهذا واجب وحق لكل مسئول فى جهاز القيادة أن يبدى رأيه واقتراحه فى الموقف . ولكن القرار فى النهاية الذى يتحتم على الجميع الالتزام به هو قرار القائد العام المسئول عن إدارة العمليات .

لقد التزمت القيادة بالقرار الذى اتخذه القائد العام مؤيدا بقرار من القائد الأعلى للقوات المسلحة فى هذا الموقف . ومازلت أقول حتى اليوم إن هذا القرار ــ من وجهة نظرى ــ كان صحيحا وسليماً لمواجهة الموقف الذى كان يواجهنا .

وعندما انتهى الاجتماع ، غادر الرئيس السادات مركز العمليات دون أن يبين لنا أنه يفكر فى الموافقة على وقف إطلاق النار ، بعد أن تكرر رفضه له أكثر من مرة خلال الحرب .

وإليك وصفا موجزا للموقف العسكرى بعد انتصار أكتوبر ١٩٧٣ م العاشر من رمضان كما قدمه الفريق الجمسى فى كتابه :

١ ــ قواتنا فى سيناء تحتل الشاطىء الشرقى لقناة السويس من بور فؤاد شمالا بطول ٢٠٠ كيلو متر وبعمق ١٢ ــ ١٧ كيلو مترا ، بما فيها مدينة القنطرة شرق ، عدا ثغرة صغيرة من الدفرزوار شمالاً بطول سبعة كيلو مترات ملاصقة للبحيرات المرة . وتبلغ المساحة التى تسيطر عليها قواتنا شرق القناة ٣٠٠٠ (ثلاثة آلاف) كيلو متر مربع تقريباً .

٢ ــ لاتوجد قوات للعدو إطلاقاً غرب القناة فى القطاع الشمالى من طريق الإسماعيلية وشمالا .

٣ ــ لا تواجد إطلاقا للعدو فى أى مدينة من مدن القناة الرئيسية (السويس ــ الإسماعيلية ــ بور سعيد) .

٤ ــ توجد بعض وحدات للعدو منتشرة ومتداخلة بين قواتنا فى بعض الأجزاء غرب القناة . وقد حاول العدو صباح اليوم ــ ٢٤ أكتوبر ــ قطع الطرق المؤدية إلى مدينة السويس ، ولكن قواتنا تمنعه بالقوة من تنفيذ أهدافه .

معركة السويس :

ورغم التزام إسرائيل بالقرار ٣٣٩ رسميا ، فإنها تركت لجيشها حرية العمل العسكرى على أمل احتلال «مدينة السويس» فتكون بذلك قد حققت هدفا سياسيا له تأثيره السياسى والعسكرى والإعلامى الكبير .

حاول لواءان من فرقة آدان المدرعة اقتحام المدينة من الشمال والغرب بعد قصف بالمدفعية والطيران مدة طويلة لتحطيم الروح المعنوية للمقاتلين داخل المدينة . ودارت معركة السويس اعتبارا من ٢٤ أكتوبر بمقاومة شعبية من أبناء السويس مع قوة عسكرية من الفرقة ١٩ مشاة داخل المدينة . ويصعب على المرء أن يصف القتال الذى دار بين الدبابات والعربات المدرعة الإسرائيلية من جهة وشعب السويس من جهة أخرى ، وهو القتال الذى دار فى بعض الشوارع وداخل المبانى .

وبجهود رجال السويس ورجال الشرطة والسلطة المدنية مع القوة العسكرية ، أمكن هزيمة قوات العدو التى تمكنت من دخول المدينة ، وكبدتها الكثير من الخسائر بين قتلى وجرحى . وظلت الدبابات الإسرائيلية المدمرة فى الطريق الرئيسى المؤدى إلى داخل المدينة شاهدا على فشل القوات الإسرائيلية فى اقتحام المدينة والاستيلاء عليها . واضطرت القوات الإسرائيلية إلى الانسحاب من المدينة وتمركزت خارجها . لم تكن معركة السويس هى معركة شعب المدينة ، بل كانت معركة الشعب المصرى بأجمعه . ومن ثم أصبح يوم ٢٥ أكتوبر عيدا وطنيا تحتفل به مدينة السويس والدولة كل عام ، رمزا لبطولة أبناء السويس ومثلا يحتذى لقدرة الإنسان المصرى على البذل والتضحية .

إسرائيل لاتحترم قرارات مجلس الأمن :

واستمرت إسرائيل فى عدم احترام قرار مجلس الأمن ٣٣٩ ، بأن تقدمت قواتها جنوبا إلى ميناء الأدبية جنوب السويس واستولت على الميناء .

وأصدر مجلس الأمن قراره رقم ٣٤٠ مساء يوم ٢٥ أكتوبر على أساس مشروع

تقدمت به الدول غير المنحازة ، والذى قضى بإنشاء قوة طوارىء دولية لمراقبة تنفيذ إيقاف القتال ، وتأكيد قراره بعودة القوات إلى خطوط وقف إطلاق النار .

وكانت إسرائيل قد تمكنت من قطع طريق مصر السويس الصحراوى ، الذى أصبح الورقة التى تستغلها أمريكا سياسيا عندما ظهر الدكتور كيسنجر على المسرح السياسى فى المنطقة بعد الحرب مباشرة .

وبجهود سياسية من أمريكا ، وافقت مصر وإسرائيل على إجراء مباحثات وقف إطلاق النار وإجراء الإمداد لقوات الجيش الثالث .

وتقرر تعيينى ممثلا لمصر فى مباحثات عسكرية تتم عند الكيلو ١٠١ على طريق مصر السويس تحت إشراف الأمم المتحدة لمناقشة الاعتبارات العسكرية لتطبيق قرار مجلس الأمن ٣٣٨ و ٣٣٩ وأن يسمح بمرور قول عربات تحمل إمدادات غير عسكرية إلى الجيش الثالث .

واجتمع الوفدان : المصرى والإسرائيلى فى الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم ٢٨ أكتوبر لبدء هذه المحادثات وبذلك توقف القتال يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ .

الشعب المصرى ساهم بأكبر نصيب فى نصر أكتوبر .

ويمكن اعتبار هذا التاريخ ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ النهاية الفعلية لحرب أكتوبر ، لأن المفاوضات بدأت بعد ذلك ، وهى مفاوضات لم يرض عنها الكثيرون من المصريين وخاصة من العسكريين الذين كانوا يرون أننا كنا نستطيع الحرب والنصر حتى نصل إلى مضايق الجدى مثلا واحتلالها . وبذلك تضطر إسرائيل إلى الانسحاب من سيناء كلها دون مفاوضات ، ويكون ذلك الانسحاب اعترافا كاملا منها بالهزيمة .

وأعتقد أن هذا أيضا كان رأى الفريق الجمسى ، ولكن السادات كان رجل سياسة ، وكان متمسكا جدا بنصره فى هجمة أكتوبر ، وكان سعيدا بالاستيلاء على خط بارليف ومعجبا جدا بنفسه باقتحام السد الترابى وهزيمة اسرائيل .

والحقيقة أنه يصعب الحكم على تصرف السادات فى هذه المناسبة ، وهذا طبعا لا علاقة له بنصر أكتوبر فى ذاته ، فهذا دون شك من صنع السادات ، وهو من هذه الناحية بطل عظيم من أبطال التاريخ المصرى العام ، ولكنى أتحدث عن شركائه فى هذا النصر ، وهم عسكريون ، فالكثيرون منهم كانوا يرون أنه أخطأ وتسرع فى إيقاف الحرب بعد النصر المبدئى ، وأنه بعد أن تبين أن إسرائيل قد فوجئت بالهجوم المصرى والقوة المصرية ، وكان من الممكن اكتساحها من سيناء كلها ، لأننا إذا كنا قد واصلنا الحرب كما يرى سعد الدين الشاذلى لطردنا إسرائيل إلى المضايق واحتللناها . ومن يحتل المضايق يستطع بعد ذلك احتلال كل سيناء . ولكن السادات كما قلت كان مقتنعاً تماماً بأن احتلال كل سيناء لم يكن من صالحنا ، كما قلت وكان مقتنعا تماما بأن ما وصلنا إليه عظيم ، وأننا لاينبغى أن نغامر حتى لا نواجه قوات أمريكا ، ونحن — فى رأيه — لانستطيع أن نحارب أمريكا . والسادات هنا مخطىء لأننا بالفعل كنا نستطيع أن نواجه أمريكا ونهزمها كما فعلت الفيتنام ، فقد لاقت أمريكا وانتصرت عليها وأذلتها ، ومازال الأمريكيون إلى يومنا يذكرون بالألم الشديد هزيمتهم على أيدى الفيتناميين ، لأن أمريكا لاتستطيع أن تحارب بالسلاح الأبيض أو وجها لوجه . . إنها قوة لانستطيع هزيمتها إذا حاربناها بالمدافع والصواريخ والطائرات ، ولكننا قطعا نستطيع أن نحاربها وجها لوجه أو رجلا لرجل ، والضابط والجندى المصريان اللذان كسبا نصر أكتوبر قطعا قادران على الاستمرار فى النصر إلى آخر سيناء حتى لو جاءت قوات أمريكية بل إننا كنا نتمنى أن تأتى قوات أمريكية وتغرق فى بحر سيناء ، لأن الجندى الأمريكى لايستطيع أن يحارب الا مرتاحا ، أى فى معسكر تتوافر فيه كل أساليب الراحة ، ثم الأسلحة ، أما المصرى فيدافع عن وطنه ، وهو عظيم الاحتمال ، وكان يستطيع أن يلتهم الإسرائيلى والأمريكى معا ، وهنا كان النصر يكون نصر الشعب المصرى ولافضل لأحد عليه فى ذلك .

وبهذه المناسبة أحب أن أقول للمواطنين المصريين : هل تتصورون أن أمريكا مستعدة للتضحية بكل شيء فى سبيل إسرائيل ؟ لا والله . وإذا كنا نحن قد رأينا رذالة الاسرائيليين وسئمناهم فلنتأكد أن الأمريكيين شبعوا من رذالة إسرائيل من زمن بعيد ، بل صدقونى إن أوربا كلها لاتحب الإسرائيليين وهى تعطيهم النقود لكيلا ترى وجوههم الكالحة ،

وإذا حدث أن دخلنا حربا مع إسرائيل فهناك حد تقف أمريكا عنده ، ولاتستطيع أن تقدم لإسرائيل أكثر منه ، وسنرى ذلك فى يوم من الأيام ، فإن الاسرائيليين أنانيون وطماعون وأراذل ، وحتى فى علاقاتهم بعضهم مع بعض تجدهم أراذل وأنانيين ، وقد قال ذلك الكاتب الفرنسى بيريفيت فى كتابه عن اليهود ، فقد قال إنهم يخونون بعضهم بعضا عند الضرورة ، وعندما كان هتلر يتتبع اليهود فى ألمانيا كان معظم الذين يكشفون عن اليهود للسلطات الألمانية يهودا ، واليهودى فى السجن من الممكن أن يكشف عن مائة يهودى آخر ليفلت هو ، وهذا طبع فيهم ، وقد نشرت فى كتابى «كتب وكتاب» ملخصا لكتاب هنرى بيريفيت عن اليهود ، فأرجو السادة القراء الاطلاع عليه ، فهو عظيم القيمة جدا ، ثم إننا لابد أن نكون واثقين من أننا إذا دخلنا حربا مع إسرائيل فإن أمريكا ستساعد إسرائيل إلى حد ما ، ولكن ليس إلى النهاية . لابد أن يجيء اليوم الذى يتوقفون فيه عن المساعدة ، ويدعون الاسرائيليين يحاربون وحدهم ، وهنا نستطيع أن نمسح بهم الأرض ، ولابد أن نمسح بهم الأرض يوما ما ، وبدون ذلك لن يستحوا وسيظلوا يهددوننا بحكاية إسرائيل الكبرى ، وهى أسطورة كاذبة ، فلا يمكن أن تقوم إسرائيل الكبرى هذه فى قلب الوطن العربى ، ولن يأمن الوطن العربى على نفسه إلا إذا حطم إسرائيل وكسر ظهرها ، وسيحدث هذا قطعا ، المهم أن نحتفظ بروح حرب أكتوبر . . روح الفداء والإخلاص والاتحاد ، وسنرى أننا عندما تطول المعركة بيننا وبين إسرائيل سيأخذون فى الفرار والفتنة بعضهم على بعض ، وبيع مايسمونه وطنهم ، لأنه لايوجد فى الحقيقة شيء اسمه وطن إسرائيل فى قلب العالم العربى ، وآه لو اتحد العرب يوما ! هنا قطعا ستتلاشى إسرائيل ، وسنهزم أمريكا وسنرفع رءوسنا من جديد .

وكنا نستطيع أن نصل إلى ذلك ، ولكن السادات حرمنا منه ، لأنه كان حريصا جدا على نصره الأول ، ثم إنه كان إلى جانبه ذلك الثعبان الإسرائيلى الأصل . . المسمى هنرى كيسنجر . وكيسنجر كان يعرف أننا لو مضينا فى الحرب مع إسرائيل لأكلناها ، فمضى يخوف السادات ويشجعه الثعلب المكار ريتشارد نيكسون المشهور بخيانته لأخلاقيات السياسة الأمريكية ، وقد طردوه من الرئاسة لهذا السبب . . وهذا أيضا كان يخوف السادات ، والاثنان ضحكا عليه .

* * *

والذى يهمنا هنا هو أن نقول إن نصر أكتوبر ١٩٧٣ هو من صنع رجال جيل الستينيات ، وهو أيضا من صنع شعب مصر كله ، ففى أيام حرب أكتوبر كان كل المصريين مستعدين لخوض المعركة ، وأنا كنت إذ ذاك فى الخمسينيات ، ولكنى كنت مستعدا للاشتراك فى المعركة ، وقد اكتفيت بمشاهدتها والقراءة عنها على رغمى ، ولكننى عندما أرى الجنود المصريين وشجاعتهم فى اقتحام قناة السويس وتخطى الساتر الترابى أقول : هؤلاء هم المصريون ! هؤلاء هم أهل بلدى ، أجل هؤلاء هم المصريون بشجاعتهم وبسالتهم وإخلاصهم ، ومن غير شك قام الجنود الصغار وهم من عامة الشعب بالدور الأكبر فى النصر ، ولايجوز أن نقول إن النصر صنعه القادة العسكريون وحدهم ، بل شارك فيه بنصيب الأسد شعب مصر ، ورجال مصر ، لقد بين الفريق الجمسى أن الجنود المصريين تخطوا كل ما كان القادة يتصورونه ، فأنشئوا ثمانية كبارٍ على القناة وعشرين معبرا . . أى ضعف ما أراده القادة ، واستطاع المصرى بشجاعته أن يرهب الإسرائيلى ويقحمه ويقضى عليه ، ولو أن الرئيس السادات لم يكن متواضعا فى النصر الذى سعى إليه لكنا قطعا قد حققنا نصرا أعظم ، وليس هذا كلامى وحدى ، ولكنه أيضا رأى الجمسى والشاذلى وكل القادة ، ولولا أننى أخذت من كتاب الفريق الجمسى كثيرا إلى الآن لأتيتك بصفحات أخرى جميلة منه . المهم أن نصر أكتوبر هو نصر جيل الستينيات من شعب مصر كله . . لا من الجيش فقط ، وهذا يكفى هنا .

فئة واحدة خاب أملنا فيها من جيل الستينات :

● الاقتصاديون

الأسماء كثيرة ولكن لا أحد منها يستحق الذكر

فى هذا التاريخ

مسئولية وزراء المالية والاقتصاد والتجارة والصناعة

عن تأخر مصر

العبرة فى أى شىء تعمله هى النجاح ، ولا معنى لأن تكون عبقريا وفاشلا ، ولا معنى كذلك لأن تحمل تلال الشهادات وتكون من الفاشلين ، والنجاح هنا معناه النجاح فى العمل الذى تتولاه وليس فى الوظيفة ، لأن الاقتصاديين فى مصر يحتلون وظائف كبرى ويحصلون على رواتب عظيمة ، ومكاتبهم شيفة ، وإلى جانب مكتب كل منهم تجد مكتب السكرتارية وفيه شباب وبنات ، وفيه ماكينات كتابة والكتابة على قدم وساق ، والورق رائح وجاى ، والتليفونات تصلصل والفراشون داخلون بالقهوة والشاى وخارجون ، وكل هذا فى النهاية لا شىء آخر النهار وبعد عمل يقولون إنه مرهق تجد أن دين مصر قد زاد والجنيه المصرى زاد هبوطا والأسعار أعلى وإخواننا لا يهمهم شىء لقد بذلوا أقصى ما فى جهدهم ، وهذه هى النتيجة ، لأن أقصى ما فى جهدهم هو لا شىء ، ولو كان الواحد منهم صاحب دكان لأصبح متسولا من زمن ، ولكن هذا هو الذى نحن فيه ، بلد مسكين يعطى الخائب أكثر مما يعطى الكفء ، ولا يزن الناس بميزان حقيقى . وأصحابنا الاقتصاديون على رأس الخيبانين الذين يتقاضون الألوف ، وهم كثيرون جدا ، وكل واحد منهم يحمل الدكتوراه من جامعات فى انجلترا وأمريكا ولكنهم لا يعرفون كيف ينجحون ، ولم أر فئة من فئات جيل الستينات فاشلة كلها إلا فئة الاقتصاديين ، فهؤلاء حقاً درسوا دراسات مالية عظيمة على نفقة الدولة فى معظم الأحيان ، واحتلوا مراكز عظيمة وتقاضوا مرتبات عالية ولكنهم لم يعالجوا مشاكل مصر الاقتصادية مع أن شعب مصر طيب ومطيع ، ولو أصدروا إليه القرارات لنفذ ما يأمرون به بشرط أن يكونوا مخلصين فى قراراتهم وقادرين على تنفيذها .

ولكنى أقول هنا إن الدراسة ليست كل شيء فى إدارة الأعمال ، فقد كان لى عم لم يدرس إلا القراءة والكتابة والحساب ولكنه كان موهوبا فى الأعمال ، وكنت أحبه وكان هو أيضا يحبنى . وكان يأخذنى معه فى العمل ، ومع أن محله كان عظيما واسعا فى الموسكى (عبد العزيز أمين) فإنه كان يقوم من نومه الساعة الرابعة صباحا ويتوضأ ويصلى ولايزيد إفطاره على كوب عصير قصب ، وفى الساعة الخامسة يمر فى شارع شيكولانى بشبرا وأكون أنا منتظرا لــه ، وأركب معه ونذهب إلى محكمة مصر المختلطة ، كانت فى ميدان العتبة ، وفى الساعة الخامسة والنصف يجتمع بالتجار لكى يتقاسموا البيوت والأراضى التى سيحكم ببيعها بالمزاد ، وكل منهم يختص ببيت أو عزبة ، وحوالى الظهر يصدر الحكم وكل منهم يتسلم أرضه أو بيته ويبيعها إذا أراد فيكسب ــ فى أيامها ــ خمسة آلاف جنيه وزيادة ، والرجل يأخذ النقود ويمضى وأنا معه إلى المحل ، وفى الطريق أقول له : دعنى أخرج لأفطر هنا ، فيعطينى خمسة قروش ، وأذهب لأفطر ثم أعود إليه فأجده يعمل . وفى ذات مرة اشترى صفقة أبسطة بثلاثة آلاف جنيه وخزنها ، ثم نزل المطر وتسرب إلى المخزن وأغرق الأبسطة ، وثمنها هبط إلى ألفين ، وباعها فعلا بألفين ، ولكنه قال إنه باعها بعشرة آلاف ، وسألته فى ذلك فقال : إن التجار يحسدوننى وسيقولون : انظر إلى هذا الرجل وبخته ! حتى الأبسطة التى غرقت فى الماء باعها بعشرة آلاف ! وكان لهذا أثر عظيم جدا فى أعماله ، فتزايد إقبال الناس على بضائعه .

وهذه هى العقلية التى نريدها فى وزراء المالية والاقتصاديه والتجارة ومدير البنك الأهلى عقلية عملية تعالج ولاتتفلسف ، تنظر إلى المشاكل نظرة واقعية عملية لانظرة أكاديمية فلسفية ، مثال ذلك أن عملتنا تهبط ، لماذا ؟ لأننا لاننتج الإنتاج العالمى الكافى ، ولهذا فنحن لا نصدر إلا اثنين فى المائة ، مما ينبغى أن نصدره ، فيكون العلاج إذن أن نصدر مائة فى المائة ، ومعنى ذلك أننا لابد أن نرغم الناس فى المصانع على أن ينتجوا خمسين مرة قدر ما ينتجونه اليوم ، وهذا طبعا ممكن إذا نحن استعملنا الحزم وحددنا لكل عامل مستوى وقدر مايعمل ، فإذا هو لم يفعل مانريد فلا مرتب ، ولنتأكد أن الناس فى هذه الحالة لابد أن يعملوا بالشكل الذى نريد لكى يحصلوا على المرتب ولابد أن تكون نظم التصدير عندنا مفتوحة وسهلة ، وأى موظف يعطل العمل

يفصل ، ومكاتبنا التجارية فى السفارات لابد أن يعمل فيها موظفون لهم عقلية تجار ولابد أن يتاجروا ويبيعوا كل ما نرسله إليهم ، وهنا لامحل لتعيين أقارب السيد الوزير أو أولاد معارفه ، هنا نبيع خمسين مرة قدر مانبيع اليوم وبلادنا يصلها خمسون ضعفا مما يصلها اليوم من الدولارات ، والجنيه المصرى يرتفع قدره خمسين مرة . أما نحن فماذا نعمل اليوم ؟ السيد الوزير يجتمع مع سادة وزراء آخرين ويتخذون قرارات وهذه القرارات تبلغ للموظفين ولكنها لاتنفذ لأن هؤلاء السادة الموظفين هم الذين يعطلون التنفيذ لكى يكون لهم التصرف فى الدولارات ، وماذا يعمل الوزراء مع هؤلاء الموظفين ؟ لا شيء ، لاشيء على الإطلاق لهذا تزداد الديون ويهبط الجنيه المصرى .

وإليك الخبر التالى الذى نشرته إحدى الصحف يوم ٧ يونيو ١٩٩٠ تحت عنوان : ١٤ مليار جنيه عجزا فى الموازنة بعد تنفيذ شروط صندوق النقد . الخبراء يطالبون بضغط الإنفاق الحكومى والتقشف لتفادى زيادات الأسعار . ثم يقول الخبر : «أكدت مصادر مطلعة أن المفاوضات الحالية بين الحكومة وصندوق النقد (الدولى) تتركز حول بنود وتفاصيل الموازنة القادمة للدولة للعمل بها ابتداء من شهر يوليو (١٩٩٠) تقوم البعثة الفنية لخبراء الصندوق بمراجعة بنود الموازنة ، وخاصة حجم العجز بها لإعداد تقرير عنها استعدادا لتوقيع الاتفاق الجديد مع إدارة الصندوق (وهذا الصندوق هو الذى يحكم مصر ماليا) وكان مقررا أن تصل إلى القاهرة بعثة كبار المسئولين بالصندوق (وهم أوربيون وأمريكيون وهم الذين يحكمون مصر ماليا) لإعداد مشروع الإنفاق وتأجل وصولها إلى ما بعد مراجعة الموازنة . وأشارت المصادر المسئولة إلى أن المباحثات تتركز على نقطتين أساسيتين ويؤدى تنفيذهما إلى إعداد موازنة وخطة جديدة للدولة بخلاف الخطة التى أقرها مجلس الشعب يطالب صندوق النقد بإلغاء سعر دولار مجمع البنك المركزى ودمجه فى أسعار السوق الحرة وتحديد سعره بنحو ٢٧٠ قرشا . . إلى هنا انتهى الخبر .

وأنت ترى هنا أن صندوق الصرف الدولى هو الذى يحدد سعر الدولار بمائتين وسبعين قرشا . وهذه خيبة أمل لأن الذى يحدد سعر الدولار هو وزير الاقتصاد والتجارة فى مصر برفعه قدر الإنتاج خمسين مرة فيرتفع سعر الجنيه بهذا القدر ، ومادام وزراء الاقتصاد والتجارة والمالية أيضا ـ عندنا ـ خيبانين فإن الاقتصاد المصرى يحكمه

صندوق النقد الدولى ولايصبح السادة وزراؤنا إلا زينة ومنظراً ولا شيء بعد ذلك وهذا هو الواقع .

وأضرب لك مثلاً من سوء تصرف وزراء الاقتصاد والصناعة والتجارة عندنا لتعرف أنهم مسئولون عن خيبتنا الاقتصادية . لقد أصبح الثوم اليوم من أكبر السلع التى يقبل عليها الناس فى الدنيا كلها لأنه من أكبر المنتجات الصحية التى تعالج أمراض شرايين القلب فى الدنيا كلها ومصر تكاد تكون أكبر بلد ينتج الثوم فى الدنيا . وقد ابتكر الناس حبوب الثوم أى حبوبا فيها خلاصة زيت الثوم والناس يشترونها بجنون فى أوربا . وكل المجلات فى ألمانيا وفرنسا وانجلترا تنشر إعلانات عن حبوب الثوم . ولو كان فى بلدنا وزراء اقتصاد وتجارة واعون لحولنا كل إنتاجنا من الثوم إلى حبوب وصدرناها وفى هذه الحالة كنا نحصل على ملايين الملايين ومع أننا نصنع حبوب الثوم فى مصر إلا أننا لا ننتج إلا ما يعدل ١ ٪ من الحبوب المطلوبة عالمياً . فلماذا والله لا نحول كل إنتاجنا من الثوم إلى حبوب ونصدرها ؟ لا يا سيدى إن وزراء الاقتصاد المصريين لا يفعلون ذلك ولا يدعون الناس إليه بل هم يتفرجون على المأساة دون أن يتحركوا . . هل هذا كلام يا ناس ؟! .



□ والأسماء أمامى كثيرة وكل واحد منهم يحمل شهادات يكلّ تحتها الجمل . خذ مثلا أحمد أحمد نوح ـ حامد عبد المجيد الرزاز ـ محمد جلال أبو الدهب ـ على جمال الناظر ـ محيى الدين الغريب ـ يسرى مصطفى ـ وجيه محمد شندى ـ عبد الشكور شعلان . . أسماء كثيرة بلا نهاية وقد قلت لك إن كل واحد منهم يحمل حمل بعير من الشهادات وبقى أن أقول لك هنا إن الجمل أنفع لنا لأنه جمل على الأقل يحمل ويسير ويعطينا لبنا وصوفا وعملا عظيما ، وإذا نحن احتجنا أكلناه . أما هؤلاء السادة فهم حمل ثقيل على أكتافنا ونفقات ضخمة نتحملها ولا فائدة وقد تحدث الأستاذ جمال بدوى عن هؤلاء حديثا جميلا جدا فى مقال كتبه فى جريدة الوفد بتاريخ ٧ يونيو ١٩٩٠ بدأه بقوله : «تخطىء الدولة خطأ بالغا إذا هى تصورت أن برنامج الإصلاح الاقتصادى الذى بدأت فى تنفيذه يمكن أن ينجح فى غيبة الإصلاح السياسى فالسياسة والاقتصاد وجهان لعملة واحدة والكارثة الاقتصادية التى تعانى منها مصر اليوم ليست إلا نتيجة للسياسات

الخاطئة التى ارتكبتها الدولة على المدى الطويل لتثبت جذورها فى السلطة على حساب البديهيات الاقتصادية ، فدفع الشعب الثمن غاليا . وهذا حق فإن سياستنا الداخلية قائمة على قوانين خاطئة وأنانية وضعها عبد الناصر ليرفع نفسه ويذل المصريين فمنع محاسبة الموظفين والعمال أو عقابهم لكى يؤيدوه وأفسد بذلك كل سياسيتنا الداخلية لأنك إذا لم تستطع أن تعاقب الموظف والعامل المهملينْ فكيف تسيطر عليهما ؟ إنهما هما اللذان يسيطران علينا الآن ومن هنا فإن الارتفاع بالإنتاج مستحيل إلا إذا ألغينا هذه القوانين وعدنا إلى القوانين الطبيعية : قوانين الأجر على قدر العمل والوظيفة لمن يحسن القيام بها والعقاب للموظف والعامل المهمل والفصل لهما من العمل إذا لم يحسنا التصرف فى العمل وإذا كان الفصل فيه عقاب لأسرة الموظف فأنا أقترح الجلد للموظف والعامل المهملين . وصدقنى إن خمس جلدات على ظهر أى منهما تجعله يعمل كالعفريت بعد ذلك وينصلح حاله دون أن نخصم منه مليما لأننا نحن المصريين تعودنا على استعمال الضرب وقولوا لى والله من منكم لايضرب ابنه إذا أخطأ وأصر على الخطأ ونحن بطبيعة الحال نضرب الابن لكى نصلحه ونضربه لأننا نحبه ولولا أننا نحبه لما ضربناه . ويوجز الأستاذ جمال بدوى عيوب نظامنا الاقتصادى فى النقط التالية :

ـ عدم تكافؤ الزيادة فى معدلات الأجور مع الارتفاع الجنونى فى الأسعار .
ـ التزايد المستمر فى معدلات التضخم بالداخل .
ـ عدم تكافؤ الإنتاجية مع معدلات الإنتاج .
ـ الانخفاض المستمر فى سعر صرف الجنيه المصرى أمام سعر صرف معظم العملات الخارجية حتى وصل إلى ٢٠ فى المائة من قيمته .
ـ تزايد الاعتماد على الاستيراد خاصة فى القمح والذرة والزيوت والمواد الغذائية .
ـ تزايد حجم مديونية الدولة سواء بالنسبة للدين الخارجى أو الداخلى من سنة إلى أخرى .
ـ تضارب القرارات الاقتصادنة .
ـ تحول الحافز فى معظم المواقع إلى ملحقات للأجور هى فى الحقيقة إعانة اجتماعية للغلاء بطريقة غير مباشرة .
ـ تقادم مشكلة الإسكان والبطالة مع استمرار تزايد خريجى الجامعات سنويا .

وهذا كله كلام طيب ولكنى أوجزه كله فى أننا لابد أن نلغى قوانين عبد الناصر تماما ونلجأ إلى القوانين الطبيعية فما معنى أن من يؤجر الإنسان شقة يظل يتمتع بها هو وأولاده إلى الجيل الرابع برغم أنف صاحب البيت ؟ ومامعنى أن البيت يعتبر حق الرجل دون المرأة وإذا هو طلقها ولم يكن لها أولاد فلا بد أن تخرج من البيت وإذا بقيت فيه بقيت بصفتها مربية حتى يبلغ الأولاد السن التى يستحقهم فيها الزوج فتطرد الأم من البيت ؟ من هو الأحق بالعناية المرأة أم الرجل ؟ ومامعنى أنك لاتستطيع أن تفصل موظفا مهما أخطأ ؟ وما معنى أن أى موظف أو عامل مخطىء وقع عليه عقاب يستطيع رفع قضية أمام مجلس الموظفين ويكسبها ويعود إلى العمل برغم أنف رئيسه . هذه قوانين لاتوجد فى الدول الناجحة . لايعرفونها فى انجلترا أو فرنسا أو ألمانيا أو أمريكا أو اليابان . فإذا كنا نريد أن ننفع فلماذا لانقلد الدول الناجحة ؟ ولماذا نصر على الوقوف فى هذا الموقف الخائب ؟

□ المسئول عن ذلك هم وزراء الاقتصاد وعلى رأسهم عاطف صدقى الذى يقولون إنه اقتصادى عظيم وهذا حق ولكن لم يعرف كيف يعالج مشاكل مصر الاقتصادية ومازال الموظف والعامل فى حكومته أقوى من الدولة . وإذا كان رئيس الوزراء لايستطيع أن يصدر قرارا بأن يعمل الموظفون والعمال عشرين أو ثلاثين أو خمسين مرة أكثر مما يعملون فى اليوم فنحن لن ننهض أبدا . وهم يقولون لنا إنه رئيس وزراء برغم أنفه . ونقول : وبرغم أنفنا أيضا . فنحن لسنا فى حاجة إلى أن نصير حملا على رجل لايريد أن يحملنا .

لقد تحدثت فى هذه الدراسة عن رجال ناجحين ولابد أن أقول إن هؤلاء الاقتصاديين الناجحين الذين حدثتك عنهم من غير موظفى الحكومة لايحترمون القوانين السائدة بل يسيرون على قوانين النجاح قوانين الأجر على قدر العمل والمكافأة للمحسن فقط والعقاب للمخطىء وفصل المهمل وليفعل بعد ذلك مايريد ، إن هؤلاء الرجال الناجحين رجال فيهم شهامة وقوة ووطنية وهم موظفون فى خدمة الوطن المصرى ولايتبعون إلا قوانين النجاح المصرية ، والموظفون عندهم يحترمونهم لأن الموظف يريد أن يرى نفسه يعمل مع رئيس محترم يستطيع أن يكافئه ويحميه ، لقد رأيت الموظفين عند

محمد فريد خميس وتقى الدين عبد الحميد ، فرأيتهم رجالا محترمين متقنين والواحد منهم منصرف إلى عمله فى إخلاص وحب وهو يتقن عمله إتقانا تاما ، أما موظفو الدولة والشركات العامة فهم يعرفون أنهم يعملون فى الهواء ولا رؤساء لهم ومرتباتهم تأتيهم وكأنها تخرج من تحت الأرض . والواحد منهم ميت القلب لا يؤدى أى عمل ولاتقل لى هنا إن العيب فى القطاع العام . فقد زرت شركات قطاع عام يعمل الموظفون والعمال فيها عملا مثاليا لأن الرئيس مثالى . وانظر مثلا إلى مصانع ستيا لنسيج الصوف والقطن فى الإسكندرية تر العمال يعملون فى إخلاص وإتقان لأن الرئيس مخلص ومتقن وحاسم وحازم ووطنى صادق .



إن عيوبنا الاقتصادية واضحة وعلاجها واضح ولكن السادة وزراء المالية والتجارة والاقتصادية لايتجهون إلى العلاج كأنهم لايريدونه . وهل من المعقول أن يحدث مثل هذا فى فرنسا أو انجلترا ؟ لقد وضعت مسز تاتشر قانونا بضريبة شخصية يدفعها كل المواطنين وهذه الضريبة تصل إلى ٢٧٠ جنيها فى السنة يدفعها الكل . وأصبح الناس وقالوا إن مسز تاتشر ستخسر الانتخابات ولكنها لم تهتم ونفذ القانون ومسز تاتشر زادت ثباتا فى مكانها فهل يستطيع وزراء الاقتصاد عندنا أن يفعلوا ذلك ؟ مستحيل إنهم يخافون على وظائفهم ولاتصدق أن واحداً منهم لايريد الوظيفة ، كلهم يشكون من الوظيفة ويحبونها ، وهل يمكن أن ترغم الدولة مواطنا على أن يصبح وزيرا وهو لا يريد ؟ معقول هذا الكلام ؟ إنهم يا سيدى يضحكون علينا لأن الحقيقة أنهم يعبدون الوظيفة ! حقا إن الواحد منهم يخرج من الوظيفة . اليوم ويعينونه فى الغد رئيسا لمجلس إدارة بنك أو عضو مجلس إدارة شركة وراتبه يزيد ، ولكن الوزارة هى الوزارة وهى معبودة أولئك الناس ، وهى أيضا معبودة معظم المصريين .

ولا يدرى إنسان لماذا لايعمل أولئك الناس على تحقيق مايحلمون به إنهم وزراء والوزراء أقوى سلطة تنفيذية فى هذا البلد والدكتور عاطف صدقى رئيس وزراء ورجل اقتصادى فى الوقت نفسه ، فلماذا لايأخذ ــ مثلا ــ عشرة آلاف من المعينين فى الحكومة دون عمل ويطلب إلى وزير الحربية أن يمرنهم ليحولهم إلى ضباط نظام ونظافة . ثم

يبتكر لهم ملابس رسمية خاصة ويوقفهم فى نقط المرور فى القاهرة والجيزة ويعطى كلا منهم ٣٠٠ جنيه فى الشهر مرتبا ؟ يقول منين ؟

وأقول له من الغرامات . لأن المصريين شعب تعوّد الإهمال فهو يعتدى على النظام ويتخطى خطوط المرور ونحن سنرسم خطوط المرور واضحة والضابط يقف عندها كالسبع ، وأى تخط للخط الأبيض يعنى غرامة من ٥٠ إلى ٥٠٠ جنيه والدفع فى الحال هذا يجرى فى اسبانيا،والإذاعة والتليفزيون هناك يقولون لا تخرج من بيتك بأقل من عشر آلاف بيزيتا لكى تدفع الغرامات إذا وقعت عليك فى الحال . لأنك إذا أخرت الدفع تضاعف مقدار الضريبة ، والناس هناك يدفعون ، والمرور منتظم والشوارع نظيفة . وفى شارع المنيل فى القاهرة لاتجد بائعا إلا ويحتل مساحة من الرصيف ، هذا معناه غرامة ، والغرامة تجبى فى الحال وضابط النظام كالأسد لايتزحزح ، وهناك ضباط يطوفون الشوارع على موتوسيكلات وهم يسيرون اثنين اثنين ويوقعون الغرامات ولايخافون أحدا ولايضعفون أمام أحد لأن راتبهم الشهرى يبدأ بثلاثمائة جنيه ويصل إلى خمسائة . لماذا لايفعل وزراء الاقتصاد عندنا ذلك ، لأنهم ضعفاء يخافون أن يعزلهم الشعب ومن شهرين رفعت الحكومة سعر السكر من ١٠٠ قرش إلى ١٦٠ قرشا فماذا حدث ؟ لاشيء دفع الناس ثمن السكر الجديد .

ووزير الصناعة يستطيع الاعتماد على هؤلاء الضباط أيضا فى كل مصنع يعمل عشرة ضباط والعامل لابد أن ينتج إنتاجا متقنا من عشرة أضعاف إلى خمسين مرة مقدار ماينتج اليوم وإلا فالخصم أو الفصل ، وصدقنى أن العمال سيعملون كما يريد السيد الوزير لأننا شعب شغال ومطيع وليس فينا شر ولا سوء نية . وقد رأيت بعض المصانع الخاصة فى القاهرة و ١٠ رمضان والإسكندرية والعمال يعملون بالضبط كما يريد المدير والمصانع مشرقة ونظيفة ودورات المياه تلمع . لماذا ؟ لأن رئيس العمل رجل حاسم وحازم . أما وزراء الاقتصاد فليس فيهم حسم أو حزم إنهم يخافون أن يفقدوا الوزارة . وأنا أرى أنه لابد أن يكون هناك قانون لايخرج وزير أو موظف كبير من الحكومة:مفصولا أو مستقيلا نجده بعد أيام عضو مجلس إدارة بنك أو رئيس مجلس إدارة شركة بمرتب أكبر وامتيازات أحسن . هذا الحكم الضعيف الفاسد لابد أن ينتهى .

أقول للسيد وزير الصناعة : عندى عادة قديمة وهى أننى كلما أمسكت بشىء أنظر أين صنع ؟ وخلال الشهور الماضية كلما شربت كوب ماء أو شاى نظرت فإذا الكوب مصنوع فى اسبانيا أو إيطاليا أو فرنسا أو غيرها ، وأقول نحن نصنع هذه الأكواب فى مصر لأن صناعة الكوب ليست شيئا معقدا ولكننا نصنع مثلا عشرة ملايين كوب فى السنة فما المانع من أن نصنع مائة مليون ، المانع ضعف وزير الصناعة ، فهو يستطيع أن يصدر الأوامر وتنفذ ، ونفس العمال الذين يصنعون عشرة ملايين كوب فى السنة هم الذين سيصنعون مائة مليون كوب فى السنة فأرجو أن تجرب ذلك ياسيدى الوزير ، وجرب ذلك فى كل الصناعات المشابهة لصناعة الكوب : ألواح الزجاج وزجاج السيارات والكور التى يلعب بها الأولاد والشباشب والأحذية والملاعق والشوك والسكاكين وكل هذه الأشياء التى تستهلك منها الملايين فى السنة لماذا نستوردها ؟ تصور يا سيدى أننى آخر مرة كنت فى ألمانيا دخلت متجر أحذية فوجدت فيه كل مايخطر ببالى من أحذية وشباشب وصنادل فاشتريت أشياء مازلت أستعملها إلى اليوم ، لماذا يعملون ذلك كله فى ألمانيا ؟ لأنهم يفكرون ويعملون طول الوقت ويعملون عملا [illegible] . وزير الصناعة هناك وزير حق أى أنه ليس مجرد السيد الوزير الجالس فى غرفة فاخرة مبطنة بالخشب دون لزوم لأن الخشب ليس ضروريا فى مصر والأرض مفروشة بالموكيت وفوق الموكيت سجادة وهناك أيضا السكرتارية ، والهانم السكرتيرة هذا كله غير مهم هناك لأن وزير الصناعة يريد أن يكون وزير صناعة فعلا ، ثم إنهم فى ألمانيا ليسوا فى حاجة إلى وزراء صناعة لأنه ليست لديهم خوازيق القوانين التى لدينا ، ومن يريد أن يصنع فليصنع والعمال هناك مثقفون لأن وزراء الصناعة من أيام بسمارك أنشئوا نظاما سليما للصناعة أما أنت يا سيدى الوزير فماذا تصنع ؟

ومثل هذا الكلام أقوله لوزير التجارة فالتجارة يا سيدى الوزير معناها أن نبيع لا أن نشترى فقط ، وواجبك ياوزير التجارة أن تذلل صعوبات التصدير ، واجبك أن تدرس مسألة الإسكندرية مثلا هل هى ميناء تصدير أو ميناء ركاب ؟ هذه مسألة هامة جدا وقد درسوها فى اليابان وحلوها والميناء التجارى فى طوكيو يقع على بعد خمسة كيلو مترات جنوب طوكيو . هنا تجرى كل أعمال التصدير والضرائب وقطارات البضائع تصل ميناء

طوكيو للشحن مباشرة فتعال ياوزير التجارة وانظر إلى خيبة الأمل فى الميناء وأتعس موظف هناك إمبراطور يفرض ضرائب ويسرق وأنت ولا هنا .



ولكن ياويلك إذا وقعت فى يد رجل مثل الدكتور يسرى مصطفى وزير الاقتصاد أو الدكتور محمد حسن فج النور رئيس هيئة «سوء» المال وقد كنت أريد أن أكتب عن هؤلاء ضمن من أكتب من جيل الستينيات اللذين يصنعون مصر اليوم وغدا ولكنى لم أجد أنهم يساهمون فى بناء مصر بل يعملون على هدمها أو قل إنهم بسوء تصرفاتهم يعطلون مصر وهذا هو السيد فج النور ماذا فعل فى مسألة الناس اللذين يعملون فى توظيف الأموال . لاشىء لقد عقد الموضوع وأوقع كل الناس وفى مقدمتهم المودعون فى مشاكل لاتنتهى . وفى ذات مرة كانت لى مسألة عند السيد وزير المالية فتصور أننى ذهبت ثلاث مرات على موعد لكى أقابله فلم أستطع . دائما يقولون لك : مش موجود . فى لجنة . تعال غدا السيد الوزير يعتذر ويتأسف . قلت فى نفسى ماذا يعمل وزير المالية ؟ فى رأيى لاشىء لأن هذه اللجان التى يحضرها كلها لا قيمة لاشتراكه فيها والورق يدخل الجلسة ميتا ويخرج ميتا والسيد الوزير يصل فى السيارة المرسيدس ويخرج ليذهب إلى بيته فى السيارة المرسيدس وسيادته فيما يقولون راتبه مع الإضافات سبعمائة جنيه ولكنه يعيش فى مستوى سبعة آلاف ، منين ؟ الله أعلم ! لهذا آسف أيها السادة وزراء المالية والتجارة والاقتصاد ورؤساء سوق المال لا أستطيع أن أذكركم فى هذا الكتاب الذى سيكون أساس تاريخ مصر فى الغد . لأنكم لاتعملون شيئا فى صالح مصر وكفاية عليكم الرفاهية والقيافة والنطاجة والترف .

- **مصر**

بلد فن وفنانين

- **صلاح السعدنى - سناء جميل - سهير البابلى - عبد الله غيث**
- **فاتن حمامة - كرم مطاوع - جلال الشرقاوى - محمود مرسى**

مصر
بلد فن وفنانين

مصر بلد فن وفنانين ، وكل بقايا الماضى المصرى القديم أعمال فنية ، وادخل المتحف المصرى فى القاهرة لترى أعظم إنتاج فنى فى التاريخ ، إن الدنيا كلها تأتى إلى مصر لكى تملأ عيونها من ذلك الفن المصرى العريق .

وكنا شعبا فنانا فى كل مراحل تاريخنا ، وها هو ذا المتحف اليونانى الرومانى فى الإسكندرية ، إنه هو الآخر عجيبة فنية ، والدنيا كلها تشترك اليوم فى إعادة بنائه لأن محتوياته فعلا جزء لا يتجزأ من تراث الانسانية كلها ، والآثار التى فى هذا المتحف إغريقية ورومانية فيما يقال ولكنها مصرية الروح ، والذين صنعوا هذه التحف مصريون ، وفيه تماثيل ولوحات عملت فى أشكال مصرية إغريقية .

وأمامك مساجد مصر الإسلامية من مسجد أحمد بن طولون إلى اليوم ، إنها أعظم عمل فنى إسلامى فى الدنيا لأن المساجد الإيرانية مثلا لم يعملها أتراك فقط بل عملها ناس من كافة نواحى الدنيا ، وسنان بن عبد المنان منشىء عجائب العمارة التركية تعلم الفن الاسلامى فى مصر ، تعلم وهو يتأمل مساجد مصر التى أنشأها مصريون ، وقد

تعودنا أن نحمل على المماليك ونقول إن نظامهم السياسى لا يعجبنا ، ولكننا ننسى أن المماليك كانوا أعظم الحكام الذين شجعوا الفن فى مصر ، ومساجد المماليك من أعظم الآثار فى الدنيا ، وكذلك مصاحفهم وآثارهم فى الكتابة العربية ، وليس فى التاريخ سلطان أو أمير مملوكى إلا له مسجد أو مصحف أو كلاهما .

وعندما قامت ثورة ١٩١٩ كان الفن أساسا من أسسها ، وقد أطلعت الثورة الموسيقى سيد درويش والمثال محمود مختار والرسام أحمد سعيد ، وهم من أعاظم الفنانين فى العالم الإسلامى ، وسيد درويش بالذات هو الموسيقى الوحيد الذى اتجه إلى إنشاء فن شعبى ، فإن أغانيه وموسيقاه نشأت من روح مصر ، بل إن الرجل سافر إلى إيطاليا ليدرس فن الأوبرا ، ثم وضع الأوبرات وأنشأ موسيقاها ، وعمله هذا لم يتكرر بعد ذلك ، وكذلك عمل محمود مختار المثال الفريد فى نوعه فلم يحدث قط أن أطلعت مصر مثالا يعمل تماثيل مثل نهضة مصر وسعد زغلول وكل المثالين المصريين «عيال» بعد محمود مختار ، وانظر مثلا إلى السخافة التى تسمى تمثال أحمد شوقى الذى أنشأه السجينى ووضعناه فى روما .

ولكن جيل الستينيات لم يستطع أن يخرج فنانين لأن عبد الناصر اجتهد فى قتل الشخصية المصرية . . .

وكان ينبغى أن تستمر نهضة الفن فى العصر الحديث ، ولكنها ــ مع الأسف لم تستمر بالصورة التى نتمناها فعلا ، ظهر ممثلون عظماء حقا مثل زكى رستم وحسين رياض وروزا اليوسف وفاطمة رشدى وفاتن حمامة ، ولكن الملكة الفنية عند الكثيرين منهم قليلة ، يوسف وهبى مثلا لم يكن ممثلا مجيدا ، وفى حياته لم يحسن التمثيل إلا فى رواية بيومى أفندى ، ولكن الرجل كان مديرا ناجحا ومنظما ، وقد أنشأ مسرح رمسيس الذى كان مدرسة فنية كبرى ، ومن هنا فهو يستحق التمجيد ، وأنور وجدى كان ممثلا سطحيا ولكنه كان منتجا ومخرجا عظيما ، وقد قام بدور عظيم فى إنشاء السينما المصرية .

ولكننا مع الأسف الشديد لانجد ممثلين ممتازين فى جيل الستينيات ، مثال ذلك أن لدينا ممثلين كبار نعتبرهم نجوم ذلك الجيل ، وهم محمود ياسين ونور الشريف ويحيى الفخرانى ، الوحيد من هؤلاء الذى يمثل كما ينبغى هو يحيى الفخرانى أما محمود ياسين ونور الشريف فمع احترامنا لهما كرجال فإنهما ليسا من كبار الممثلين ، ومحمود ياسين بالذات منظر ، حقا إنه منظر عظيم وصوت أعظم ، ولكنه ليس ممثلا ، وكذلك نور الشريف مثل كثيرا جدا ولكن مستواه الفنى مازال منخفضا ، ولم يصل واحد منهما إلى مستوى زكى رستم مثلا ، وزكى رستم هو دون شك أعظم ممثل فى تاريخ الفن المصرى الحديث .

أما يحيى الفخرانى فهو أحسن بكثير من معاصريه الذين ذكرتهم ، ولو أننا لاحظنا أن مستواه فى ليالى الحلمية كان مملا ولا تجديد فيه ، ولكنه على أى حال فنان كبير ، وطبعا عندما يترك إنسان ممارسة الطب لكى يمارس التمثيل فلابد أن يكون فنانا حقيقيا .

ولكن الذى أريد أن أقوله بالنسبة لمحمود ياسين ونور الشريف وكذلك لفريد شوقى : إن هؤلاء السادة الذين أنفقوا معظم أعمارهم فى تمثيل روايات هلس قد جمعوا ملايين من ذلك الكلام الفارغ .

يريدون أن يكسبوا من الفن دون أية تضحية

ومع ذلك فإن أحدا منهم لايفكر فى تخصيص مليم مما كسب فى سبيل الفن ، فإن السينما المصرية اليوم فى حالة سيئة جدا ، وكل الشركات والاستوديوهات أنشأها رجال الجيل الماضى ، أما أصحابنا نجوم جيل الستينيات من الممثلين فينادون الحكومة لكى تنشىء لهم الاستوديوهات ودور سينما ، وهم يعرفون أن أهل الفن فى الدنيا هم الذين يحملون الفن ، وفى أمريكا مثلا نجد أن الممثلين هم الذين ينشئون الشركات والاستديوهات ، وهم يكسبون الملايين بعد ذلك ، ولكنهم يغامرون ، أما أصحابنا هنا فلا يجودون فى سبيل الفن بمليم مع أن المغامرة هنا مضمونة النتائج ، ولو أن رجلا مثل فريد شوقى الذى كسب الملايين من السينما أعلن عن تكوين شركة سينما لإنشاء ستوديو

ودور سينما ورصد من ماله نصف مليون مثلا ودعا زملاءه لشراء أسهم فى هذه الشركة لاستطاعوا أن يجمعوا عشرين أو ثلاثين مليون جنيه ودولار وينشئوا شركة السينما المطلوبة ، ويمكنهم أن يجعلوا السهم بألف جنيه ، وكل الممثلين والممثلات سيشتركون وسيتقاسمون الأرباح ، وسيشترك فى هذه الشركة المؤلفون وكتاب السيناريو ، وسيكون لمجلس إدارة الشركة الحق فى مراجعة النصوص والسيناريوهات وكل شىء ، وهنا سنتخلص نهائيا من الأفلام التافهة والمهينة التى يقول السادة الممثلون إنهم يرغمون على قبولها إرضاء للمنتجين ، وأنت ياسيدى القارىء لاتتصور تفاهة أو بتعبير أدق حقارة الأفلام التى يمثلها رجل محترم مثل نور الشريف ، وأنا عندما أذهب إلى السعودية أرى فى الفيديو أفلاما معيبة جدا لبطلها إن كان الاشتراك فى هذه الأفلام يسمى بطولة حاجة قرف كلها تدور حول النصب والاحتيال ، وكلها أيضا ضرب وقفز ومقالب وكلام فارغ . وهو يزعم أنه يرغم على قبول العمل فى هذه الأفلام وهذا أمر عجيب لأن الرجل مليونير فكيف يرغم على قبول العمل فى أفلام مهينة لمركزه ؟ والأغرب من ذلك أن كل ممثلى السينما فى مصر يقولون إنهم يرفضون العمل فى أفلام لاتتفق مع فنهم أو مراكزهم ، ونحن نقول إذا كنتم تقبلون العمل فى هذه الأفلام الساقطة فما هى والله الأفلام التى ترفضون العمل فيها ؟

لا إنقاذ للسينما إلا بأن يجتمع رجال السينما ـ وفيهم عشرات من أصحاب الملايين ـ وينشئوا الشركة أو الشركات . وهم لن يخسروا بل سيكسبون قطعا ، لأنهم سينقذون السينما من الهوان الذى هى فيه لأن الحكومة لن تستطيع أن تنشىء شركة السينما وشراء الكاميرات والأجهزة . أعتقد أن رجلا مثل فريد شوقى ـ ويلقبونه بالملك ـ يستطيع تبنى هذا المشروع وإنقاذ السينما من الضياع . أليس هذا أحسن من تكديس الأموال وتوريثها للأولاد وهؤلاء سيبعثرونها ولاشك ؟ لقد ضحى يوسف وهبى وأنور وجدى بأموالهما فى سبيل الفن وكسبوا ، ولكن أصحابنا الفنانين اليوم لايريدون أن ينفقوا على الفن مليما ، إنهم يريدون أن يكسبوا فقط .

وقد سبق أن تكلمت عن شركة السينما هذه فى حديث آخر وأعتقد أن ماقلته هنا كاف لإقناع ممثلين مثل فريد شوقى ومحمود ياسين ونور الشريف بصفتهم من جيل

الستينيات ــ أن يساهموا فى بناء الغد ، وإذا كان يوسف وهبى وحده قد أنشأ مسرح رمسيس ومدينة رمسيس فهل تعجزون أنتم عن إنشاء شركة تخدمكم ؟

فإذا فرغنا من ذلك فإننا نستطيع أن نتحدث عن بعض الممثلين الممتازين الذين نعتقد حقا أنهم يساهمون فى بناء مصر اليوم والغد ، لقد ذكرت يحيى الفخرانى ، وهو جدير بالذكر حقا وإن كنت أرجوه أن يتنبه إلى أنه ليس من الضرورى أن تكون كل كلمة يكتبها أسامة أنور عكاشة ممتازة ، فإن الرجل كاتب مجيد ، ولكنه يسرف فى الكتابة ، وهذا أمر غير مأمون ، ثم إن الذى يهمه هو نفسه لا يحيى الفخرانى أو غيره ، وأنت يا دكتور يحيى قد نجحت فحافظ على نجاحك ولا تعمل مثل محمود ياسين ونور الشريف . . جابر محمد عبد الله (وهذا هو اسمه الكامل) ، وقد حدث ذات مرة أن كان محمود ياسين يمثل فيلمين فى وقت واحد ، والاثنان زفت ولكنها الفلوس ، وفى واحد من الفيلمين كان يمثل دورا تافها مثلوه فى أوربا عشرات المرات ، وهو دور سائق التاكسى الوسيم الصورة الذى يعجب النساء ، وفى هذا الفيلم وقعت فى غرام محمود ياسين سيدة وبنتها وصديقة لهما ، وفى الفيلم الثانى كان محمود ياسين يمثل دور خادم أو جرسون فى مطعم ، والفرق فى الملابس كان معطفاً أو بالطو يلبسه فى أحد الفيلمين ولا يلبسه فى الثانى ، ونظرا لأن سيادته كان يمثل الفيلمين فى نفس الوقت فقد كان يخرج من دور الجرسون ليدخل فى دور السائق ، والتمثيل مستمر والمشاهد متوالية ، فتصور أنه لم يكن يحسن لبس المعطف فى بعض المشاهد فكنا نرى أقدام البنطلون !

المهم دعنا من محمود ياسين ونور الشريف ومحمود عبد العزيز لكى نتحدث عن غيرهم ، ولابد أن أذكر هنا أننى ــ رغم ماقلت ــ أحترم الرجلين وأقدرهما وأكون آسفا جدا لو آلمهما كلامى لأننى فى الواقع لم أرد إلا خيرهما ، وعلى ذكر محمود عبد العزيز أقول إن رأفت الهجان لم تكن رواية محترمة ، بل فيها هجص كثير ، والمؤلف أراد أن يخلق شخصية مصرية مستحيلة ففشل طبعا ولابد أن أضع فى مجموعة تمثل جيل الستينات الذين أضاعوا فرصتهم محمد كمال الشناوى ومحمود رضا ، فهؤلاء وأمثالهم أتيحت لهم الفرصة ــ بل الفرص ــ وفشلوا فى أن يكونوا ممثلين ممتازين حقا مثل زكى رستم مثلا ،

وارجو أن يكون فى كلامى هذا الذى أقول بكل إخلاص فائدة لهم وخاصة فيما يتعلق بشركة السينما فهى الإنقاذ الوحيد لهم وللسينما أيضاً .

وأبدأ بالكلام على صلاح السعدنى فهذا فعلا ممثل ممتاز ، وما رأيناه فى رواية إلا كان قمة فعلا ، وأنا هنا أحييه وأطلب منه المزيد ، وطبعا أنا لن أتحدث هنا عن أمينة محمد رزق فهى من جيل الستينيات ، فقد ولدت فى ١٠ أبريل ١٩١٣ بطنطا واشتركت فى فرقة رمسيس ، وكانت نجمة فى الثلاثينيات ومازالت نجمة إلى الآن ويكفى هذا عنها هنا لأن المساحة لاتسمح ، ومن أسف أننى لم أجد أحدا كتب عنها بما تستحق وإن شاء الله أكتب عنها مقالا خاصا .

سناء جميل

ثم أتكلم عن ثريا يوسف عطا الله (سناء جميل) فهى نجمة عظيمة فعلا ، وكل الأدوار التى مثلتها فخر لمصر ، ثم إنها سيدة مثقفة تتقن الفرنسية وتمثل بها ، وقد مثلت على مسارح باريس .

وقد ولدت عام ١٩٣٠ بمحافظة الجيزة ، وحصلت على بكالوريوس المعهد العالى للفنون المسرحية سنة ١٩٥٣ ، وعملت من ذلك الحين فى معظم المسارح التى أنشئت فى مصر بما فى ذلك فرقة المسرح الحديث والمسرح العسكرى . وهى عضو المسرح القومى منذ سنة ١٩٥٤ ، وعضو لجنة تطوير المسرح منذ سنة ١٩٦٨ ، وقد أبدعت فى كل ما مثلت وخاصة رواية الحصان ، وهى مونودراما أى رواية بطلها شخص واحد هو الذى يتحدث طول الرواية ، وقد قدمت مسرحية باللغة الفرنسية على مسرح بيير كاردان سنة ١٩٧٦ .

وأعادت تقديمها فى مصر ، ويصعب تتبع كل إبداعاتها على المسرح وفى السينما والإذاعة والتليفزيون .

سهير البابلى

وهناك أيضا سهير حلمى إبراهيم البابلى (سهير البابلى) فهذه فعلا نجمة كبيرة ، وكما قالت هى مرة إن المسرح هو عالمها الحقيقى ، فقد صدقت ، وفى حياتى ما رأيت نجمة مسرح كوميدية مثل سهير البابلى ، واذكروا كيف أبدعت فى رواية ريا وسكينة ومسرحية الدخول بالملابس الرسمية وعلى الرصيف ، وقد ولدت بفارسكور محافظة دمياط وتخرجت فى معهد الفنون المسرحية سنة ١٩٥٩ ومعهد الموسيقى العالى (١٩٥٩) ومن ذلك الحين وهى فى عالم المسرح ، حتى أصبحت من كبار نجماته فعلا ومازالت إلى الآن موظفة فى الحكومة فهى تشغل وظيفة مدير عام فى هيئة المسرح بوزارة الثقافة .

عبد الله غيث

ولابد أن نذكر هنا عبد الله غيث (عبد الله سيف الدين الحسينى غيث) فهو حقيقة فنان ممتاز ، ومن ميزاته أنه يمثل بالعربية الفصحى وباللهجة المصرية بنفس البلاغة ، ولد فى ٢٨ يناير ١٩٣٠ ، وحصل على دبلوم المعهد العالى للفنون المسرحية (١٩٥٥) ، وعمل بالمسرح القومى منذ تخرجه ، ومازال إلى يومنا هذا من أنشط الممثلين فى مصر والعالم العربى كله على المسرح وفى السينما والتليفزيون . ومن رواياته التى لاتنسى الدخان والفتى مهران والحسين ثائرا والخال فانيا (لتشيكوف) والوزير العاشق . ومن أفلامه الكبرى أدهم الشرقاوى ، والرسالة وفى التليفزيون هارب من الأيام وشىء من الخوف .

فاتن حمامة

وهل يمكن إهمال النجمة العظيمة فاتن حمامة هنا؟ هذه فعلا نجمة تختار أدوارها بعناية ولهذا فهى تلقب ـ بحق ـ سيدة الشاشة المصرية ، ولدت فى ١٧ مايو ١٩٣١ بالقاهرة ، وقد التحقت بمعهد التمثيل المسرحى عند افتتاحه سنة ١٩٤٣ ، وبدأت العمل السينمائى وهى فى الخامسة من عمرها فى فيلم يوم سعيد لمحمد عبد الوهاب ، وقامت وهى طالبة بالمعهد العالى للتمثيل المسرحى بأول بطولة قامت بها فى فيلم ملاك الرحمة ليوسف وهبى . وهى من ذلك الحين نجمة ممتازة فى المسرح والسينما والتليفزيون ، ولها روايات لاتنسى مثل دعاء الكروان لطه حسين وبين الأطلال ليوسف السباعى ولا عزاء للسيدات وأريد حلا ، وقدمت فى الإذاعة مسلسلات لاتنسى مثل ليلة القبض على فاطمة وأفواه وأرانب . ومازالت إلى يومنا هذا ملكة السينما المصرية .

كرم مطاوع

ثم نذكر الأستاذ كرم مطاوع واسمه الكامل كرم مصطفى مطاوع ، فهو من كبار الممثلين والمخرجين المبتكرين الذين يقومون فعلا ببناء الحاضر والتمهيد للمستقبل . ولد بالقاهرة فى ٧ ديسمبر ١٩٣٣ ، وحصل على ليسانس الحقوق من جامعة عين شمس سنة ١٩٥٦ وحصل فى نفس الوقت على بكالوريوس الفنون المسرحية ، ثم حصل على الدكتوراه فى الإخراج المسرحى من الأكاديمية الوطنية للفنون المسرحية سنة ١٩٦٣ ، ومن يوم تخرجه فى معهد الفنون المسرحية إلى اليوم وهو نشيط فى العمل التمثيلى بكل أنواعه : تمثيلا وإخراجا ومسرحا وسينما وإذاعة وتليفزيونا ، وقد تولى إدارة مسرح الجيب ثم إدارة المسرح القومى ، ثم أصبح مستشارا بوزارة الثقافة ، ثم وكيلا للوزارة ، وأصبح كذلك المشرف العام على المركز القومى للسينما . وفى نفس الوقت هو أستاذ بالمعهد العالى للفنون المسرحية . وهو يمثل ولكن نشاطه الأكبر موجه إلى الإخراج ، وهو مخرج رواية الفرافير ليوسف إدريس والفتى مهران وأجا ممنون ، وليلة مصرع جيفارا ، أما تمثيله فقليل . وقد عمل سنوات فى المعهد المسرحى فى الكويت ومازال من أنشط رجال المسرح فى العالم العربى .

محمد جلال الشرقاوى

ولابد أن نذكر فى قادة الستينيات من أهل الفن الأستاذ محمد جلال الشرقاوى ، فهو مخرج وممثل عظيم ، ولد فى ١٤ يونيو ١٩٣٤ بالقاهرة وحصل على بكالوريوس العلوم من جامعة القاهرة ١٩٥٤ ، ثم حصل على دبلوم فى التربية من جامعة عين شمس سنة ١٩٥٥ ، ولكن ميله الفنى دفعه إلى دخول المعهد العالى للفنون المسرحية ، وحصل على الدبلوم سنة ١٩٥٨ ، ثم أرسل فى بعثة فنيه إلى فرنسا ، وحصل على دبلوم معهد جوليان برتو للدراما فى باريس سنة ١٩٦١ ، وفى السنة التالية ١٩٦٢ حصل على ماچستير الإخراج للدراسات السينمائية ، وعاد إلى مصر ، فدخل فى هيئة التدريس بالمعهد العالى للفنون المسرحية ، ومازال فيها إلى الآن ، وأصبح عميدا للمعهد سنة ١٩٧٥ ، وفيما بين سنتى ١٩٦٧ و ١٩٧٠ ، كان مديرا لمسرح الحكيم ، فنحن إذن امام رجل واسع الثقافة عظيم التجربة ومازال إلى يومنا هذا من أظهر شخصيات المسرح والسينما والتليفريون فى مصر ، والمسرحيات التى أخرجها كثيرة جدا أشهرها مدرسة المشاغبين التى أظهرت للعمل السينمائى والمسرح المصرى أكبر ممثل كوميدى فى مصر اليوم ، وهو عادل إمام .

محمود مرسى

وأختم الكلام على أهل المسرح بذكر واحد يعتبر فعلا من أعظم من خدموا المسرح ، وهو محمود مرسى ، وهو ممثل عبقرى فعلا ، ولد فى القاهرة سنة ١٩٢٣ . ودرس فى مصر ثم سافر إلى باريس ولندن حيث درس فن التمثيل دراسة متعمقة ، وعاد إلى مصر فعمل فى سنة ١٩٥٦ مخرجا فى البرنامج الثانى بالإذاعة . ثم انضم إلى التليفزيون عند إنشائه ، وعمل فيه مخرجا ١٩٦٣ ، وعمل أستاذا بمعهد التمثيل منذ ١٩٦٤ ، ومازال إلى اليوم مخرجا فيه ، وهو ممثل ممتاز جدا ، ورواياته تعتبر نماذج فنية يدرسها الأساتذة والطلاب ، ورواياته سواء فى الإخراج أو فى التمثيل أكثر من أن تحصى هنا ، وهو دون شك من عباقرة جيل الستينيات .

- الفنانون التشكيليون

- **حسين بيكار**

.. رسام عظيم ورجل أعظم

- **صلاح طاهر ..**

مصور عبقرى متجدد

- **محمد صبرى ..**

رسام مبدع فى التصوير بالباستيل وتوزيع الألوان

الفنانون التشكيليون

المصريون هم الذين وضعوا أساس الفن التشكيلى فى تاريخ الحضارة الإنسانية ، إنهم أقدم وأعظم المثالين والتصويريين العالميين ، ومازالت آثار فنهم العجيب باقية إلى اليوم تبهر العيون والعقول ، وقد استمر الفن المصرى القديم زاهرا نحو أربعة آلاف سنة ، أخرج فيها المصريون ألوف الألوف من الأعمال الفنية ، وتصور أن الباقى إلى أيامنا من ذلك الفن ــ وهو شيء يسد عين الشمس ــ هو الذى وجدناه فى القبور فحسب ، فتصور مقدار ما كان فى حياة الناس مما زال واندثر اليوم ؟!

وأنا أعتقد أن المصريين لابد أن يكونوا قادة الدنيا فى الفنون التشكيلية فى كل العصور ، وأنه حرام أن يجيء فنان مصرى اليوم وينشيء أعمالا فنية يقلد فيها بيكاسو أو سلفادور دالى أو ميرو ، ويقول إنه ينشيء فنا مصريا ونحن نقول لهم إنه فنكم ولكم وحدكم ، فإذا كان يعجبكم فكلوه أو بيعوه خارج مصر ، أما نحن فلا نرى هذا فنا مصريا ولا فنا مطلقا ، ومع الأسف الشديد فإن هؤلاء الفنانين الذين ينشئون مايسمونه فنا مصريا لا يلقون أى نجاح ، ولكن هذا الذى يسمونه الفن الحديث أسهل بكثير من

الفن الأصلى ، وأى واحد من هؤلاء يرسم خطين يقول لك : هذه لوحة فن حديث ! ونحن نقول له : إذا كان هذا فنا حديثا فهو لك أنت وحدك ، أما نحن فلا نشتريه ولانعجب به ولا حتى نتفرج عليه ، لقد لجأ إليه الأوربيون بعد أن امتلأت بيوتهم وقصورهم ومتاحفهم من اللوحات الكلاسيكية والرومانتيكية ، وكانوا فى حاجة إلى جديد من الفن فابتكروا هذا العبث الذى يسمى الفن الحديث ، وبابلو بيكاسو نفسه بدأ حياته فنانا تقليديا ، ورسم مئات اللوحات التقليدية المتقنة ، وعندما رأى أنه لن يصل إلى الصدارة التى يتمناها ابتكر هذه التصاوير العجيبة من مثل امرأة بثلاث عيون أو رجل رأسه بصلة ، واجتذب الناس بذلك ونجح فيه واستمر ، ولكنه أولا وقبل كل شىء رسام تقليدى ناجح ، وكذلك سلفادور دالى ، إن لوحاته التقليدية كثيرة وعظيمة ، ولكنه مال إلى الفن الحديث فى مرحلة متأخرة من حياته ، أما أن يجيئنا إنسان بلعب أطفال ويزعم أنه فن فهذا شىء لانقبله ، ولهذا فسأكتفى هنا بالكلام على عباقرة الفن التقليدى ، أما الباقون فليبحثوا لأنفسهم عن كاتب آخر يكتب عنهم ، ولا مكان لهم فى عبقريات جيل الستينات الذين يبنون مصر اليوم للغد .

حسين بيكار

وأبدأ بالكلام عن حسين بيكار وهو رسام تقليدى بارع ممتع ، ولد فى ١٢ يناير سنة ١٩١٣ بمحافظة الإسكندرية ، وتخرج فى مدرسة الفنون الجميلة العليا بالقاهرة سنة ١٩٣٣ ، وتخرج كذلك فى المدرسة الفنية لتعليم الرسم (١٩٣٤) وعمل بالتدريس فى المدارس وفى كلية الفنون الجميلة ، ومارس الرسم التقليدى فى نفس الوقت واشتهر

بلوحاته الجميلة التى تدل فعلا على عبقرية فنية وخاصة فى البورتريهات . واختاره مصطفى أمين ــ صياد العباقرة ــ ليعمل فى أخبار اليوم والأخبار محررا ورساما ومستشارا فنيا ، واشتهر أمره بتصاويره الجميلة فى كل ميدان من ميادين الفن ، واتسعت شهرته وعرفه كل المصريين وتزاحم عليه الرجال والنساء ليرسم لوحاتهم ، ومازال نشيطا فى مجال الرسم التقليدى واللوحات الشخصية إلى يومنا هذا .

وحسين بيكار رجل حسن الخلق جدا ، إنه مثال فى النزاهة وحسن الأدب والصدق وهدوء الجانب ، لقد عرفته من زمن بعيد ، وازداد إعجابى به مع الزمن ، لأن أخلاقه مثالية مثل فنه ، ولقد صاحبته فترة من الزمن وزاد إعجابى بأخلاقه ، حتى إن الرجل لايناقش قط فى أجر أتعاب أى لوحة يرسمها ، إنه يأخذ مايعطونه ويضعه فى جيبه ولايكاد يعده ، ولوحاته اليوم مئات ، كلها أعمال فنية غاية فى الإبداع ، ومدرسته الفنية كبيرة ولكن أحدا من تلاميذه لايكاد يقاربه ؛ لأن الفن موهبة من الله ، وإذا كان الله سبحانه لم يهبك الموهبة فلا فائدة وانظر فى التليفزيون ، لترى سيدات يزعمن أنهن فنانات ويكتبن أسماءهن على كل سخافة يرسمنها ، وهن يسمين هذا فنا ، ونحن نقول : ربما ولكنه فن حكومى ، والفن الحكومى لايكون إلا هكذا ، وكليات الفنون فى مصر تخرج كل عام مئات من الشباب ليس فيهم رسام واحد ، إنها دبلومات حكومية ، والحكومة توظفهم فى المدارس والمصالح وأحيانا فى أشياء مثل التليفزيون ، وبعضهم لايستطيع رسم شيء ، فيلجأ إلى مايسمى بالفن الحديث ، وكله زفت وقطران ، ورجل مثل حسين بيكار لا يمكن أن يعمل شيئا كهذا ، ولا يمكن كذلك أن يعلم التلاميذ غير الموهوبين كيف يرسمون ، ولهذا فهو يبذل جهده فى تعليمهم دون نتيجة .

وحسين بيكار عضو فى لجنة الفنون التشكيلية بالمجلس الأعلى للثقافة ، وقد شارك فى تأسيس متحف الشمع فى القاهرة سنة ١٩٣٣ ، كما شارك فى عدة معارض محلية ودولية ، وله ــ إلى جانب لوحاته ــ كتب وأفلام كثيرة مثل كتاب صور ناطقة وخروف العيد والدجاجة السوداء وعروس النيل ، وحصل على أوسمة كثيرة . إنه نعمة من نعم الله على مصر ، هذا إلى أنه يعزف على العود والبزق بكل مهارة .

صلاح طاهر

صلاح طاهر ليس من جيل الستينيات، إنه من جيلى جيل الثلاثينيات الذى جاء بعد جيل العشرينيات وهو جيل ثورة ١٩١٩ ، ولكنى فى الحقيقة لم أجد من أبناء جيل الستينيات من الفنانين التشكيليين إلا عددا قليلا جدا أستطيع الكتابه عنه ضمن من يبنون مصر اليوم للغد ، فكلهم مع الأسف الشديد لا أستطيع أن أذكرهم لانهم احترفوا فن التجريد فلم يعودوا شيئا يذكر ، فرأيت أن أكتب عن حسين بيكار وصلاح طاهر هنا لأنهما نشيطان إلى اليوم ، لكى أعطى درسا لأهل الفن فى الجيل التالى لهما ، وهو جيل الثمانينيات لكى يعرفوا أن الباقين لم يؤدوا لمصر شيئا وأنهم مجرد عياشين .

ولد صلاح الدين طاهر محمد بالقاهرة فى ١٢ مايو ١٩١١ ودرس وتخرج فى مدرسة الفنون الجميلة ١٩٣٤ ، وبعد فترة عمل فى المدارس انتقل مدرسا بكلية الفنون الجميلة سنة ١٩٤٤ ، وتدرج فى الوظائف بها حتى أصبح أستاذا فى التصوير ثم أستاذا فى الدراسات العليا ، وفى سنة ١٩٥٢ عين مديرا لمرسم الأقصر ، وهناك درس الفن المصرى القديم وتشبع به ، ثم عاد إلى القاهرة سنة ١٩٥٩ مديرا لمكتب وزير الثقافة ، ثم أصبح مديرا عاما للادارة العامة للفنون الجميلة فى وزارة الثقافة ، وفى سنة ١٩٦٢ أصبح مستشارا فنيا لجريدة الأهرام ومازال إلى اليوم .

وصلاح طاهر وضع أساس فن تشكيلى ممتاز ، وقد أبدع فى كل ألوان اللوحات وخاصة البورتريه الذى وصل فيه إلى أعلى المستويات ، ومازال إلى اليوم يرسم لوحات بديعة ولكنه منذ دخل الأهرام اتجه إلى جانب الفن التقليدى اتجاها تجريديا ، فرسم فى جريدة الأهرام لوحات كثيرة من الفن التجريدى لا الفن المصرى ، وهو هنا يوزع الألوان ويبدع فى ذلك ، ولم أر إنسانا يعرف قدر صلاح طاهر إلا يتأسف على هذا الاتجاه التجريدى ، لأنه فى الحقيقة لايعنى إلا توزيع الألوان ، ولو أنه بدلا من ذلك رسم لوحات تقليدية مصرية لأصبحت دار الأهرام بفضله متحفا مصريا ، ولكن هذا هو الذى حدث مع الأسف الشديد .

وصلاح طاهر نشيط جدا ، ونحن نحس بعمله فى عشرات الميادين ، فقد انتدب لتدريس مادة الثقافة الفنية للدراسات العليا بمعهد السينما ومعهد التليفزيون وفى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وهو رئيس جمعية محبى الفنون الجميلة ، وعضو بالمجلس الأعلى للثقافة ، والمجالس القومية المتخصصة .

وقد أقام صلاح طاهر ٧٢ معرضا فنيا خاصا داخل مصر وخارجها فى البندقية وباريس ولندن ونيويورك وواشنطون وسان فرانسسكو وچنيف والدوحة والكويت وجدة ، هذا غير معارضه الكثيرة فى مصر ، وصلاح طاهر من أغزر الفنانين إنتاجا وله أسلوب فنى متميز خاص به ، وقد قدم أعمالا تشخيصية مستلهمة من الطبيعة المصرية ، كما عالج الصورة الشخصية (البورتريه) ببراعة قبل أن يتجه إلى التجريد .

فنحن إذن أمام فنان متميز فعلا بل هو رئيس مدرسة ، وليته يجد تلاميذ يأخذون عنه ؛ لأن مثل هذه العبقرية الفنية لن تتكرر ، وقد حصل على جائزة الدولة التقديرية فى الفنون سنة ١٩٧٤ مع وسام الاستحقاق ، كما حصل على جائزة جوجنهايم فى التصوير سنة ١٩٦١ .

جاذبية سرى

جاذبية حسن سرى هى فعلا رسامة عظيمة وفخر من مفاخر جيل الستينات ، ولدت فى القاهرة سنة ١٩٢٥ وحصلت على دبلوم التصوير من المعهد العالى للفنون الجميلة سنة ١٩٤٨ ودبلوم التربية الفنية فى العام التالى ، ثم سافرت إلى باريس ودرست هناك سنة ١٩٥١ ، ثم انتقلت إلى روما ١٩٥٢ ، وعند عودتها إلى مصر عملت بالمدارس الفنية ومدارس المعلمات بوزارة التربية والتعليم وبالمعهد العالى للتربية الفنية ١٩٥٩ ، وقد أصبحت أستاذة للتصوير بكلية التربية الفنية بجامعة حلوان من ١٩٧٠ إلى ١٩٨١ ، وفيما بين عامى ١٩٦٢ و١٩٦٦ حصلت على منحة تفرغ من وزارة الثقافة ، وحصلت على زمالة مؤسسة هانتجتن هارتفورد الأمريكية ١٩٦٥ ، وعضوية هيئة التبادل الثقافى بألمانيا الغربية ، وهى عضو فى عدد عظيم من الجميعات الفنية فى مصر وخارجها ، ولازالت إلى يومنا هذا من أنشط أهل التصوير فى مصر . مد الله فى عمرها .

وجاذبية سرى مجيدة فى تصويرها ، ولوحاتها تشمل كل أنواع التصوير من المناظر الطبيعية إلى البورتريه ، وخطوطها الفنية رقيقة جدا مثل شخصيتها فهى إنسانة غاية فى الرقة والإنسانية ، ومجموعاتها الفنية توجد فى كل مكان ممتاز فى مصر والعالم ، ولوحاتها توجد فى انجلترا وفرنسا وألمانيا والصين ، وهى مشهورة جدا فى نواحى الدنيا كلها ، وأنا شخصيا أعجب أشد الإعجاب باستعمالها للألوان وتوزيعها لها وبُعد خيالها وقدرتها الرائعة على التصوير ، هذا إلى كمال خلقها وهدوء طبعها ، وهى من أقل الناس اهتماما بالكسب المادى ، وفى بعض الأحيان تقدم أعمالها الفنية دون مقابل ، وقد رأيت صورها فى روما ؛ فقد حصلت على جائزة روما للتصوير ، وأصدرت عنها مصلحة الاستعلامات كتابا بديعا ، وأتمنى أن يكون لها تلاميذ وتلميذات يأخذون عنها لأنها بالفعل مدرسة فنية .

الحسين فوزى

ولابد أن أكتب عن الفنان العظيم الحسين فوزى ولو أنه من مواليد ١٩٠٥ أى من جيل الثلاثينيات ، ولكن الجيل الحاضر فقير جدا فى ميدان الفن التشكيلى ؛ فأنا أكمل الكلام عنه بالكلام عن الجيل السابق عليه لعله يتعظ بذلك ويتعلم ، ثم إن حسين فوزى من فنانى الستينات أيضا والحسين فوزى مصور مجيد بحق ، وقد شق طريقه بجهده فى نشر لوحاته فى الصحافة المصرية وخاصة بمجلة روز اليوسف ، ولد فى القاهرة فى ٤ سبتمبر سنة ١٩٠٥ وحصل على دبلوم الفنون الجميلة سنة ١٩٢٨ ثم حصل على دبلوم فن الحفر (١٩٣٢) ودبلوم الزخرفة من مدرسة الفنون والزخارف العليا بباريس (١٩٣٣) ثم قام بدراسة خاصة فى التصوير الزيتى بمرسم الأستاذ فوجسيرا بباريس ، وعاد إلى مصر فعين أستاذا ثم اختير عضوا فى لجنة الفنون التشكيلية بالمجلس الأعلى للثقافة . والأستاذ حسين فوزى فنان مجيد أصيل له أسلوب فنى متطور من الواقعية الأكاديمية إلى الأسلوب التأثيرى مستوحى من البيئة ، وأعماله فى الرسم والتصوير الواقعيين بديعة ، والكثير منها محتفظ به فى متحف الفن الحديث بالقاهرة ومتاحف أخرى كثيرة فى مصر وكذلك فى مكتبة الكونجرس بالولايات المتحدة ، ومن أعظم أعماله تصوير مساجد مصر بالألوان المائية الكاملة فى مجلدين ، وقام بعمل لوحات لمتحف الحضارة المصرية والمتحف الطبى بالقاهرة ومتحف شيكاغو فى أمريكا ، كما قامت شركة ستين جلاس بتنفيذ تصميمه بطريقة الحفر البارز على كأس من الكريستال معروضة بمتحف نيويورك ، وقد حصل على جائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٨٨ ، فنحن إذن أمام فنان يعتبر مدرسة فنية ، وأنا أكتب هذا عنه لكى يعرف الشباب أن فى مصر فنانين ممتازين على مستوى عالمى ، وأنا تعجبنى كل لوحاته لأنه فنان دقيق متقن يرسم بخطوط غاية فى الإبداع ، ولو كان فى بلد غير مصر لكان له مكان أعظم .

وهذا رسام ممتاز حقا وله إبداع لاشك فيه فى تصوير المناظر الطبيعية ويتجلى إبداعه فى التصوير بالباستيل ولوحاته موجودة فى مصر واسبانيا والكثير من البلاد الأوربية

محمد محمد صبرى

ولد فى القاهرة فى ٢١ ديسمبر ١٩١٧ . ودرس فى مصر حتى حصل على دبلوم كلية الفنون التطبيقية ، وهذه الكلية من أعظم كليات الفن فى مصر ؛ لأنها تعلم الطلاب تعليما عملياً فيخرجون منها وهم يتقنون شيئاً ، بعكس كليات الفنون الأخرى التى يقتصر التعليم فيها على الناحية النظرية والطالب يتخرج فيها وهو لايجيد شيئا ، وقد أرسل إلى مدريد فى بعثة ، فالتحق فى مدريد بكلية سان فرناندو للفنون الجميلة وحصل على دبلومها ، وبهذه المناسبة نقول إننا هنا نسمى دبلوم كلية سان فرناندو أستاذية مع أنه مجرد دبلوم . ودبلومات الفنون الجميلة فى مصر أعظم قيمة منه ، ثم حصل على دبلوم الدراسات الاسبانية من كلية الآداب بجامعة مدريد (١٩٥٦) . وكان قد عمل مدرسا فى كلية الفنون التطبيقية فى القاهرة وترقى فيها حتى وصل إلى الأستاذية ، ثم عمل فى وزارة الثقافة مديرا للمعارض ، ثم مستشارا فنيا للهيئة العامة للفنون الجميلة بوزارة الثقافة من ١٩٦٥ إلى ١٩٧٢ ، ثم عين وكيلا ثم خبيرا فنيا بالمعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد من ١٩٧٢ إلى ١٩٨٠ ، وخلال هذه الفترة رسم مجموعة من أعظم لوحاته . وقد نال نجاحا عظيما فى اسبانيا سنة ١٩٦٧ ثم عين عضوا فى أكاديمية سان كارلوس للفنون فى بلنسية سنة ١٩٧٣ .

والفنان محمد صبرى ساهم بجدية فى الحركة الفنية المعاصرة فى مصر من أواخر الثلاثينات ، وتناول جميع خامات التصوير وتخصص فى الرسم بالباستيل ويعتبر فعلا أعظم رسام بالباستيل فى مصر ، وله طريقة خاصة به فى توزيع الألوان ، وهو ماهر جدا فى أن يجعل فى لوحة جزءا مضيئا بالشمس فتنير اللوحة كلها ، ثم يوزع الألوان بعد ذلك بمهارة عظيمة ، ولوحاته فى اسبانيا كثيرة جدا ، وهو بلا شك من أعاظم الفنانين من جيل الستينيات .

● ممدوح فؤاد الليثى

يدير أفلام التليفزيون بذكاء وكفاءة وامتياز

● عبد المنعم مدبولى

وفؤاد المهندس

مأساة الكوميديا فى مصر :

● صلاح عبد الكريم

وحامد ندا وعمر النجدى .

فقر مدقع فى الفنون التشكيلية فى جيل الستينيات

● يوسف السيسى

أكبر مايسترو فى تاريخ الفن الموسيقى المصرى .

● سمحة الخولى

عَالِمة ذات شهرة عالمية فى الموسيقى

ممدوح الليثى

■■ لا يمكن أن نتكلم عن الفنانين الممتازين فى جيل الستينات دون أن نذكر ممدوح الليثى مدير أفلام التليفزيون ، وهو دون شك من أعظم رجال دار الراديو والتليفزيون التى تضم ٢٣٠٠٠ موظف ، ولد ممدوح الليثى فى ١٠ ديسمبر ١٩٣٧ ، ودرس حتى حصل على بكالوريوس كلية الشرطة ، وقد عمل ضابط شرطة حتى سنة ١٩٦٧ ، ومع امتيازه فى عمله الشرطى فإن ميله الحقيقى كان إلى العمل الفنى ، فدخل ـ أثناء عمله ـ معهد السينما وحصل على الدبلوم (قسم السيناريو) ، وكان قد حصل قبل ذلك على ليسانس الحقوق من جامعة عين شمس ، فنحن إذن أمام رجل فنان واسع الثقافة دائب العمل . ومن حسن الحظ أنه دخل إدارة التليفزيون ، وأصبح رئيس قسم السيناريو ثم رئيس أفلام التليفزيون سنة ١٩٨٢ ، ومازال فى هذه الوظيفة إلى اليوم ، وممدوح الليثى من عائلة فنية ، فإن أخاه أيضاً يعمل بالعمل الفنى ، والمهم عندنا أنه أبرع كاتب سيناريو فى مصر ، وقد كتب سيناريوهات عدد كبير من روايات نجيب محفوظ بنجاح عظيم مثل ميرامار وثرثرة على النيل والسكرية والكرنك إلى جانب سيناريوهات أخرى ، وأكبر خدمة يقوم بها للعمل الفنى فى مصر أنه يشرف إشرافا حقيقيا وفعالا على أفلام التليفزيون ويقدم لنا بذلك خدمة نحن فى أشد الحاجة إليها .

عبد المنعم مدبولى وفؤاد المهندس

أما مأساة جيل الستينيات فى عالم الفن فتظهر فى الفشل الذريع الذى وصل إليه اثنان مشهوران جداً ، وكل واحد منهما يزعم أنه يواصل عمل الريحانى ، وهما عبد المنعم مدبولى حسن وفؤاد المهندس ، فأما عبد المنعم مدبولى حسن ، فقد ولد فى ٢٨ ديسمبر ١٩٢١ ، وحصل على دبلوم المعهد العالى للفنون المسرحية سنة ١٩٣٩ ، ثم عمل مدرسا بكلية الفنون التطبيقية من ١٩٤٤ إلى ١٩٨١ ، وكان فى سنة ١٩٦٣ مشرفا على المسرح الكوميدى التابع لمسارح التليفزيون ، كما عمل فى فرقة الريحانى سنة ١٩٧٣ ، ولكنه لم يستفد من العمل مع الريحانى شيئاً فإن الريحانى بدأ عمله فى المسرح مهرجا فى شخصية كشكش بك ، ولكنه انتهى بعبقريته إلى أن يصبح كوميديا فيلسوفا فى رواياته الأخيرة مثل غزل البنات ، أما عبد المنعم مدبولى فقد بدأ فى التمثيل مهرجا وانتهى مهرجا أسوأ ، وآخر رواية رأيتها له كان يمثل فيها شخصية أب هجاص يروح ويجىء على المسرح ويقول : ح نأكل أكل ! وهذا التمثيل مسخرة والرجل أنهى حياته مهرجا هلاسا ومن نوع ردىء مع الأسف الشديد لأن موهبته الحقيقية هى التهريج ، ولا مكان له بين عباقرة الستينيات .

أما المأساة الحقيقية فهى مأساة فؤاد زكى المهندس ، فهذا الرجل كان يستطيع أن يكون فعلا استمرارا لعبقرية الريحانى لأنه فعلا فنان عظيم ورجل مثقف متميز . وأنا أحبه ، ولولا أننى أحبه لما كنت غاضبا عليه لأنه أضاع فرصته وضيع علينا الأمل فى مواصلة عبقرية الريحانى ، ولد فؤاد زكى المهندس فى ٦ سبتمبر ١٩٢٤ ، ووالده رجل عظيم من رجال العلم فى مصر ، وهو الأستاذ زكى المهندس عميد كلية دار العلوم ، وحصل فؤاد على بكالوريوس التجارة من جامعة القاهرة سنة ١٩٤٨ ، وعمل فترة بإدارة رعاية الشباب بجامعة القاهرة ثم تفرغ بعد ذلك للعمل الفنى ، وتخصص فى الكوميديا ، وبدلا من أن يختار الروايات بعناية ، كما كان الريحانى يعمل ، أخذ يعمل فى روايات غاية فى الإسفاف مع أنه ــ كما قلت ــ صاحب ملكة كبيرة ورجل مثقف . ولكن مسرحياته مهازل ، خذ مثلا كيف «مصَّر» رواية «سيدتى الجميلة» ، وهى مسرحية كوميدية على أساس مسرحية بيجماليون لبرنارد شو ، والمسرحية الموسيقية التى اقتبسوها

من بيجماليون فى انجلترا ومثلها ريكس هاريسون كانت شيئا عظيما سواء فى رسم الشخصيات أو الموسيقى ، وأهم شخصية هى شخصية عالم اللغة الذى يمثله ريكس هاريسون ، ثم بنت الشوارع التى أراد الأستاذ أن يعلمها اللغة ويرفع مستواها حتى أصبحت فعلا سيدة ممتازة وأحبها ، فماذا فعل فؤاد المهندس ؟ مسخرة ! لقد رسم شخصية البنت فى صورة غاية فى السخافة وأفسد بذلك ملكة شويكار التى لم تستطع بعد ذلك أن تصبح ممثلة جيدة ، والرواية كلها هلس ولا مستوى لها ، خسارة يا أستاذ فؤاد خسارة والله لأنك رجل قيم وكنت تستطيع أن تكون ممتازا ولكنك مع الأسف حولت نفسك إلى مهرج .



وقد استوقف نظرى الفقر المدقع فى الفنون التشكيلية فى جيل الستينيات ، والسبب فى ذلك هو كارثة معاهد الفنون الجميلة فى مصر ، وهى لا تعلم شيئا ، ثم مصيبة الفنون التجريدية والتكعيبية وغيرهما من المدارس الفنية الحديثة ، فالغالبية العظمى من الفنانين المعاصرين يسيرون فى هذا الطريق لأنه أسهل ، وأى إنسان طبعا يستطيع أن يكون فنانا تشكيليا على طريقة التكعيب أو التجريد أى فى مدرسة من مدارس اللعب الفنى التى انتشرت فى أيامنا ، واذكر أننى ذات مرة تحدثت مع المرحوم صلاح عبد الكريم وكان مثالا عبقريا ولكنه مع الأسف الشديد اتجه إلى أن يصنع تماثيله من بقايا المعادن فهو يضم بعضها إلى بعض ويشكل منها تماثيل أو مجموعات نحتية جميلة بدلا من أن يصنع تماثيل طبيعية كالتى كان يعملها محمود مختار مثلا ، وسألته عن السبب فى ذلك فقال : وهل هذا الذى أعمله لا يعجبك ؟ قلت إنها ليست مسألة يعجبنى أو لا يعجبنى ، ولكن لماذا تسير فى الطريق المعوج بدلا من أن تسير فى الطريق المستقيم ؟ فلم يجب ، والحقيقة أن صلاح عبد الكريم كان فنانا مجيدا حقا ، وأعماله موجودة فى مصر وجدة فى السعودية وأوروبا وكان فعلا يستطيع أن يكون خلفا لمحمود مختار ، ولكنه سار فى الطريق الذى ذكرته وأبدع فيه ، ولو أنه سار فى الطريق التقليدى لكان أفضل لنا وله ، لأن بلادنا فقيره جدا فى النحت فى العصر الحديث ، ومهما تنظر فإنك لا تجد نحاتا واحدا . جديرا بأن يوصف بأنه مجيد من أبناء الستينيات .

وها هى ذى الأسماء ونماذج الإنتاج الفنى كلها أمامى ، ولا أجد بينها شيئا تستطيع أن تقول إنه إنتاج متميز يدل على أن صاحبه فعلا مثال أورسام عظيم ، وها هى ذى أمامى صورة تمثال صنعه الدكتور حسن خليفة أستاذ النحت بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة ، إنه تمثال «نص نص» ليس فيه إبداع حقيقى . إننا فى حاجة إلى مواهب أكثر من ذلك لكى نصنع مستقبلا فنيا لمصر ، وقد رأيت أعمالا فنية طيبة لفاروق إبراهيم محمد فهمى ــ عميد التشكيليين وربما كان محمد صدقى الجباخانجى أعظم هؤلاء . ولكن هذا الرجل ولد فى ٢٧ مايو ١٩١٠ أى أنه من جيل الثلاثينيات ، ولكنى ــ كما قلت فيما سلف ــ أتكلم عن بعض رجال الثلاثينيات التشكيليين فى حديثى عن عصرنا لعدم وجود نحاتين من الدرجة الأولى فى جيل الستينيات ماعدا صلاح عبد الكريم الذى يعتبر فعلا أعظم فنان تشكيلى فى جيل الستينيات ، فقد كان بالفعل مثالا ممتازا لولا أن طريقته فى التعبير الفنى كانت خاصة به ولا يمكن أن تكون له مدرسة .

وقد رأيت أعمالا فنية لأحمد نوار رئيس المركز القومى للفنون التشكيلية ، و د. حسن صادق يوسف أستاذ النحت بكلية الفنون الجميلة ، وكلها أعمال عادية لا امتياز فيها . أما أعمال الباقين من فنانى جيل الستينيات فأقل من هذه ، وقد كان حامد ندا رساما ممتازا أول الأمر ثم تحول إلى التجريد ففقد مركزه كقائد للفن فى جيل الستينيات وقد توفى إلى رحمة الله سنة ١٩٩١ .

إننا فى حاجة فى عالم الفن إلى مواهب ، ولكن كل الذين لدينا أصحاب وظائف والوظائف لاتعنى من الناحية الفنية شيئا . كلهم أساتذة ورؤساء أقسام فى كليات الفنون ، وهذا شىء مهم بالنسبة لهم ، ولكن لا أهمية له بالنسبة لنا ، ويمكن الإشارة هنا إلى عمر صلاح الدين على النجدى فهو رجل موهوب ، ولكن إنتاجه الفنى لايرشحه إلى وظيفة قيادية فنية ، فقد ولد فى القاهرة فى ٢٨ نوفمبر ١٩٣١ وحصل على دبلوم كلية الفنون التطبيقية سنة ١٩٥٧ والدكتوراه سنة ١٩٦٩ ، فهو من أبناء جيل الستينيات القائد اليوم ، وقد عمل معيدا بكلية الفنون التطبيقية وتدرج فى وظائف هيئة التدريس بها حتى أصبح رئيسا لقسم التصميم الداخلى بها ، ثم أعير للسعودية وعمل أستاذا

بجامعة الملك سعود بالرياض ، ثم عاد إلى مصر وتابع نشاطه الفنى ، وهو أحد المؤثرين فى الحركة الفنية التشكيلية بمصر فى سنة ١٩٥٠ ، وأنشأ فى سنة ١٩٦٤ جماعة فسيفساء الجيل المصرى التى كان لها تأثير فى مجال الموزاييك المعاصر ، ومازال نشاطه مستمرا .

وأكبر دليل على فشل فنانى جيل الستينيات فى ميدان الفن التشيكلى هو أننا عندما أنشأنا مبنى البانوراما فى مدينة نصر لتخليد نصر أكتوبر ١٩٧٣ لم نجد رسامين مصريين يرسمون الرسوم الداخلية ، فرسمها رسامون من كوريا ، فهل هناك دليل أكبر من ذلك على الفشل وخيبة الأمل ؟ حقا إننا فى حاجة إلى فنانين تشكيليين موهوبين لأن أساتذة كليات الفنون الجميلة وأصحاب الوظائف الفنية الكبيرة فى عصرنا لايؤدون شيئا له قيمة خالدة .



رأينا خيبة الأمل فى جيل الستينيات فى ميدان الفنون التشكيلية ، إنها فعلا خيبة أمل ، فإن الجيل فقير جدا فى هذه الناحية ، وربما كان السبب هو أننا أسرفنا فى إنشاء كليات ومعاهد فنية وعمل الفنانون فيها فأكلتهم الوظائف ، وأرجو بطبيعة الحال أن يعرف من لم نذكرهم من أهل الفن التشكيلى؛التصوير والنحت أننا هنا لا نقول إلا الحق كما نراه ولايهمنا أن يكون (فلان أو علان) أستاذا فى الكلية الفلانية أو عميدا لكلية أخرى أو رئيسا لإدارة كبرى أو صغرى فى الحكومة فهذه كلها لاتعنينا ، ورجاؤنا أن يعرف رجال الفن التشكيلى أن رجالهم مقصرون حقا فى جيل الستينيات ، وهم أقل من أن يكونوا وارثين لفنانين عظماء من طراز محمود مختار ومحمود إسماعيل .

ولكن ميدان الفن اتسع فى جيلنا هذا ودخلت الموسيقى مثلا فى عصر جديد لأن موسيقانا إلى ماقبل الستينيات كانت غناء ، وعظماء الموسيقيين من جيل العشرينيات كانوا مغنين عظماء ونذكر منهم خمسة يعتبرون عباقرة فعلا قد وصل فن الغناء على أيديهم إلى قمته ، ويمكن أن يظهر عندنا مغنون أعظم منهم وأعنى بذلك محمد عبد الوهاب وأم كلثوم وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ وليلى مراد ومع الأسف الشديد توقف فى ذلك الجيل تراث سيد درويش فى الأوبرا والغناء الشعبى والغناء الجماعى .

السيدات ملك إسماعيل وسهير وسامية الاتربى

ولكن ميدان الموسيقى اتسع ودخلته الموسيقى الغربية وكان لابد أن تدخله ، وظهر عازفون مصريون عباقرة حقا وظهر كذلك نقاد فنيون وأساتذة ممتازون وهؤلاء لايمكن إغفالهم فى كلامنا عن جيل الستينيات ، ثم إن الاذاعة والتليفزيون دخلا عالم الفن وظهر مذيعون ممتازون لايمكن إهمال ذكرهم فى هذه الدراسة وهل يمكن مثلا أن نهمل هنا الكلام عن ملك إسماعيل هذه المذيعة الموهوبة التى تتعرض فى أحاديثها الممتعة إلى مشاكلنا الكبرى ويقف كبار المسئولين أمامها كأنهم تلاميذ . هده أستاذة ولاشك وهى شخصية ممتازة من شخصيات جيل الستينات ، ومثلها اثنتان من الأخوات الاتربى الثلاث سهير وسامية وكل منهما فى حقيقة الأمر قائدة حركة كبرى فى الإذاعة .

يوسف السيسى

يوسف السيسى دون شك من أعاظم جيل الستينيات فهو أستاذ موسيقى متميز مصريا وعالميا ، ولد فى ١٩ مارس ١٩٣٥ فى شبين الكوم بمديرية المنوفية وحصل على دبلوم المعهد العالى للموسيقى المسرحية سنة ١٩٥٦ ، وليسانس فى الأدب الإنجليزى من جامعة القاهرة ١٩٥٧ ثم سافر إلى فرنسا والتحق هناك بالأكاديمية العالمية وتخصص فى الإدارة الموسيقية (١٩٦٣ ــ ١٩٦٤) ، ثم حصل على شهادة النضوج الفنى من

أكاديمية الموسيقى بفيينا فى قيادة الموسيقى والتأليف الموسيقى سنة ١٩٦٥ ، ثم عمل مترجما بإذاعة صوت أمريكا سنة ١٩٥٧ ومدرس بيانو بالمعهد العالى للمعلمين (١٩٥٧ ـ ١٩٥٩) ، وأصبح قائدا لأوركسترا القاهرة السيمفونى (١٩٦٥) وأستاذا منتدبا بمعهد الكونسرفاتوار ومدير تحرير مجلة الموسيقى (١٩٧٣ ـ ١٩٧٧) ورئيسا لقطاع الموسيقى والأوبرا بوزارة الثقافة سنة ١٩٧٩ ولايزال يشغل هذه الوظيفة الفنية الصعبة الكبيرة إلى يومنا هذا .

ويوسف السيسى علامة فى الموسيقى الغربية وهو من مديرى الأوركسترا الكبار فى العالم كله ، وله فضل عظيم فى إنشاء الأوركسترا المصرى ومعظم رجاله من تلاميذه وهو رجل نشيط جدا ودائم العمل ، وقد طاف ببلدان الدنيا وقاد الفرق الموسيقية فى الولايات المتحدة والصين وكوريا الجنوبية وانجلترا وتشيكوسلوفاكيا ، وقد اختير لقيادة أوبرا عايدة بالأهرام ويطول الأمر لو مضينا نعدد وظائفه أو المراكز التى شغلها ولكن يكفى أن نقول هنا إنه من أعاظم مديرى الأوركسترا فى العالم كله وهذا فخر عظيم لنا كلنا .

ويوسف السيسى لايكل عن العمل على الرغم من أن المجال الذى يعمل فيه صعب جدا فى مصر ، فإن ميدان نشاطه هو الموسيقى الغربية وهو ميدان فنى صعب جدا بالنسبة لنا فى مصر ، فقد تعودنا على موسيقى الغناء حتى أصبحنا لا نكترث إلا إلى المغنين ، أما الموسيقى الصرفة والسيمفونيات والكونشيرتات وما إليها فأشياء لم نكن نعرفها ، ويوسف السيسى يجاهد فى هذا الميدان ويعمل على إدخالنا فى عالم الموسيقى الغربية ، ونجح فى ذلك إلى حد بعيد ، وقد استهلك صحته فى هذا الجهاد فالرجل مريض بالقلب ولكنه لا يكترث لصحته ويمضى فى جهاده وقد نجح فى ذلك نجاحا عظيما وقاد الفرق الموسيقية فى معظم بلاد الدنيا ، وكان يستطيع أن يترك مصر ويعمل فى أمريكا مثلا ولكنه يصر على العمل فى مصر لأنه مؤمن بفنه ووطنه ، وقد كتب قطعا موسيقية كثيرة وكلها طبع وذاع فى أنحاء الدنيا كلها .

سمحة الخولى

سبق أن تكلمنا عن أبيها أمين الخولى وأخيها أسامة الخولى والآن نتحدث عنها فهى فى الحقيقة عبقرية مثله وما أظن أن عبقريا من عباقرتنا أنجب أولادا عباقرة مثل هؤلاء إلا أستاذنا أمين الخولى ، وقد ولدت السيدة الدكتورة سمحة الخولى فى القاهرة سنة ١٩٣١ وحصلت على دبلوم المعهد العالى للموسيقى سنة ١٩٥١ ، ثم أرسلت فى بعثة إلى المعهد العالى للموسيقى فى انجلترا حيث حصلت على الدكتوراه فى تاريخ الموسيقى من جامعة أدنبره سنة ١٩٥٤ وأتقنت عزف الموسيقى ـ البيانو ـ وحصلت فى ذلك على دبلوم الأكاديمية بلندن سنة ١٩٥٤ .

ثم عادت إلى مصر وعملت بالتدريس بالمعهد العالى للتربية الموسيقية بوزارة التعليم العالى من ١٩٥٤ إلى ١٩٥٩ ، ثم عملت مدرسة فى الكونسرفاتوار فى المعهد العالى للموسيقى منذ إنشائه سنة ١٩٥٩ ، وتدرجت فى وظائف التدريس العالى حتى أصبحت أستاذة التاريخ والتحليل الموسيقى بالمعهد سنة ١٩٦٨ ، ثم أصبحت عميدة المعهد سنة ١٩٧٢ ورئيسة لقسم علوم الموسيقى به (١٩٨١) ورئيسة لأكاديمية الفنون ١٩٨٢ .

وسمحة الخولى عالمة بتاريخ الموسيقى الغربية ومحيطة بكل قطعها ، وقد عرفنا ذلك جميعا من أحاديثها فى ذلك الموضوع فى التليفزيون وإن كانت قد حلت محلها فيه أخيرا تلميذتها عواطف عبد الكريم وهى أستاذة موهوبة أيضا ، وأما سمحة الخولى ، وهى شخصية شمولية فيما يتعلق بالموسيقى فهى فى الحقيقة تعرف هنا كل شيء وأنا أستطيع أن أقول ذلك لأننى درست الموسيقى الغربية فى جامعة زيوريخ وأستطيع أن أقدر الجهد العظيم الذى بذلته سمحة الخولى لتصل إلى ما هى عليه اليوم ، والموسيقى الغربية بحر واسع جدا ، ونحن إذا قارنا تراثها بما لدينا من الموسيقى العربية تبينا أن عالم الموسيقى العربية لا شيء إلى جانب البحر الزاخر من الموسيقى الغربية ، ويكفى أن نذكر أن كل تراث الموسيقى العربية لايصل إلى حجم الموسيقى التى أنشأها رجل أوربى واحد وهو موتسارت ، ونحن لانهمل الموسيقى العربية أو نقلل فى شأنها ، فإنها مجال واسع بالنسبة

للعاملين فيها ولكنها محدودة جدا وميدانها لا يتسع للإبداع الواسع ، وانظر مثلا إلى سيمفونيات بيتهوفن وكونشيرتاته وقطعه الكثيرة جدا تتبين أن العاملين فى الموسيقى الغربية كثيرون ومجتهدون جدا ، ولكن العمل الذى يقوم به أمثال يوسف السيسى وسمحة الخولى بالنسبة للموسيقى العربية فى ذاتها فهو عظيم لأن الموسيقى العربية كما تمارس فى أيامنا هذه فقيرة جدا ، والذين يعرفون ذلك يقولون إن معرفة اللحن والمغنى بالموسيقى الغربية تقويه وتنفحه ، وإذا أردنا المقارنة بين الموسيقى العربية والموسيقى الغربية لقلنا إن المغنى الذى يكتفى بالموسيقى العربية يشبه رجلا يمسك فى يده بوردة أو فلة واحدة فى حين أن الذى يمارس الموسيقى الغربية يشبه رجلا يمسك فى يده بباقة أو بوكيه (بوكيه) من الورد والفل والزهور المختلفة ، وحتى إذا كان المغنى غنيا مثل محمد عبد الوهاب فهو يشبه رجلا يمسك بيده باقة من الورد أو الفل فحسب فموسيقاه بديعة ولكنها وحيدة النغم والموسيقى العربية وحيدة النغم ، ولهذا فهى مملة مع الزمن فى حين أن الموسيقى الغربية غنية ، وهل هناك أغان تزيد إملالا من تلك التى يغنيها سيد مكاوى مثلا ، بل إنك تستطيع أن تقول إن الغناء العربى مات فعلا بعد الأربعة الكبار محمد عبد الوهاب وأم كلثوم وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ ، فلابد من تغذيتها بمادة موسيقية جديدة ، وهذه المادة تأتى من الموسيقى الغربية ، ولهذا فإننا نستطيع أن نقول إن الأساتذة الذين نتكلم عنهم الآن يقودون الموسيقى العربية ويفتحون أمامها أبوابا واسعة جديدة وبدونهم تموت .

● **رمزى يس**

عازف دولى على البيانو

● **عمر خيرت**

موسيقى ممتاز من مستوى عالمى

المخرجون والمبتكرون فى السينما والمسرح :

● **يوسف شاهين ، على رضا ،**

صلاح أبو سيف ، فريدة فهمى

● **الفنون**

تدخل فى عصر جديد فى جيل الستينيات

رمزى يس
عازف دولى للبيانو

هذا أستاذ فريد فى بابه . إنه صغير السن فقد ولد فى القاهرة سنة ١٩٤٨ وكانت والدته أستاذة فى البيانو فعلمته ورعته ودفعت به فى مجال الموسيقى الغربية وعندما شب التحق بكونسرفاتوار القاهرة سنة ١٩٥٩ وتولى رعايته الدكتور أبو بكر خيرت عميد الكونسرفاتوار إذ ذاك . وقد أظهر من سنه الباكرة براعة فنية فائقة تجمع بين حساسية منفردة فى الأداء وفهم للأعمال الموسيقية التى يعزفها .

ظهر وهو فى الرابعة عشرة من عمره مع أوركسترا القاهرة السيمفونى وعزف فى أوبرا القاهرة التى احترقت وكانت تخرج أعمالا لهايدن وغيره من نجوم موسيقى الغرب ، وأقبل رمزى يسى على الموسيقى بإخلاص كامل فبلغ مستوى عاليا جدا وأوفدته الدولة إلى موسكو للدراسة ودرس وتمرن خمسة أعوام ، ثم أوفد إلى باريس حيث تتلمذ على يدى الموسيقية البولندية ماريان ريبكى واستطاع بمثابرته أن يحقق سمعة دولية ونجح فى الكثير من المسابقات العالمية وحصل على جوائزها . وأصبح عازفا عالميا للبيانو ، وعزف فى لندن وباريس وأمستردام وروما وفيينا وبراج ، وعزف فى الاتحاد السوفييتى

والبلاد العربية وتركيا واليابان ، وله تسجيلات خاصة عزف فيها مع أوركسترات عالمية فى طليعتها أوركسترا الفيلهارمونى الملكى البريطانى ، كما عزف مع قادة عالميين وهو فخر لمصر ولاشك ، وأحب أن أقول هنا إنه ليس من السهل أن يصل الإنسان إلى نجاح عالمى فى عزف البيانو فعازفو البيانو المتنافسون فى الدنيا ألوف ، فإذا كان رمزى يسى قد وصل إلى هذا النجاح العالمى فهذا فخر عظيم لمصر ونحن جديرون بأن نضاعف اهتمامنا به ، وياحبذا لو بذلنا أقصى ما نستطيع لكى يظل فى مصر ويعزف مع الأوركسترا المصرية طوال العام ، لأن الرجل نادر فعلا ، فقد حصل على جوائز عالمية موسيقية منها الجائزة الأولى وجائزة التمييز «كازانوفا» وجائزة بالوما أوشيا ، وقد كرمته بعض الدول الأوربية ومنحته شهادات وجوائز عالمية كثيرة منها ميدالية فرانتس ليست من الحكومة المجرية ، وهو يقوم بتدريس البيانو فى معهد مدرسة المعلمين العليا (ايكول نورمال) فى باريس .

عمر خيرت . موسيقى ممتاز من مستوى عالمى

نستطيع أن نقول إن عمر خيرت هو أكبر موسيقى معاصر فى مصر اليوم ، حقا إن لدينا موسيقيين كبارا آخرين مثل محمود الشريف ومحمد الموجى وكمال الطويل وبليغ حمدى وغيرهم ولكن عمر خيرت يمتاز بثقافة موسيقية واسعة جدا ويتميز بقدرة عظيمة على التلحين برغم أنه لايزال شابا ، وهو رجل كريم الخلق ومتواضع جدا ولانظر له إلى المال ، فهو يكاد يلحن مجانا ، وهو بسيط جدا مع كثرة العمل والإقبال على التلحين . وهو يمتاز على غيره بأنه يدخل فى ألحانه أنغاما غربية أو غير عربية ويعطيها الطابع العربى ، وربما كان ذلك راجعا إلى والده أبى بكر خيرت الذى كان من عظماء الموسيقيين . وعمر خيرت يتبنى الكثير من المغنين والموسيقيين الشباب ، يلحن لهم ويتولى تدريبهم ومعظم من ترى من المغنين والمغنيات الشبان الناجحين يرجع الفضل فى ظهورهم ونجاحهم إلى عمر خيرت فهو صبور جدا وواسع العلم ، ولايزال يجرب مع الشباب الذى يلحن له حتى يجد له الأنغام التى تناسبه ، ومن هنا كان حب الشبان له

وإقبالهم عليه ، وقد عرفت مغنية مغربية أتت إلى مصر وهى فى البداية ، فمازال عمر خيرت يعمل معها حتى جعل منها مغنية ذات مستوى عظيم ، وهو طول اليوم فى بيته يعمل ونادرا ماتراه فى حفلات لأنه مخلص جدا للموسيقى ، ولاشك أننا فخورون به لأنه على الأقل من أسرة كريمة رفيعة المستوى ، وأنغامه جميلة ورفيعة وهو يتحدث فى هدوء ورزانة وألحانه كثيرة جدا ، وأحيانا يتولى عمل الموسيقى الكاملة لفيلمين فى وقت واحد ، وأنا شخصيا أعتبره وسيطا بين الموسيقيين العرب الخالصين والموسيقيين ذوى التكوين الغربى ، ومن هنا فإن موسيقاه جديدة جدا وغنية جدا ، وقد اكتفيت بالكلام عنه من الموسيقيين المعاصرين فى مصر لأنى لا أستطيع الحديث عن كل منهم على حدة . فهم كثيرون جدا .

رتيبة الحفنى ، مغنية أوبرا وموسيقية وناقدة فنية

لقد تربت رتيبة الحفنى تربية موسيقية كاملة ، فتخرجت فى معهد الموسيقى فى مصر وذهبت فى بعثة إلى أوربا حيث تعلمت فن الغناء الأوبرالى وغنت عايدة وكسبت شهرة عالمية ثم عادت إلى مصر وواصلت نشاطها الفنى فانضمت إلى فرقة الأوبرا المصرية وغنت أدوارا عظيمة منها عايدة ، وهى إلى جانب ذلك واسعة الاطلاع على الموسيقى العربية وتاريخها ، فهى فى الحقيقة دائرة معارف موسيقية ، وقد تدرجت فى الوظائف الحكومية . وآخر وظائفها مديرة للأوبرا الجديدة أى مؤسسة الثقافة الموسيقية المصرية ، هذا إلى جانب أحاديثها الأسبوعية فى الإذاعة ، وهى من أحسن ماقدم للإذاعة والمنجذبون من أحاديث ، وقد تعلمنا منها كثيرا جدا

المخرجون فى السينما والتليفزيون

ونتتقل الآن إلى عالم السينما والإذاعة والتليفزيون وهو عالم جديد وواسع ، وقد ظهرت فيها كلها شخصيات من جيل الستينيات تعتبر قائدة ومنشئة لنهضات فنية فى ميدانها ، ولابد أن أقول هنا إن الإخراج عندنا عالم فوضى ، لأن أى إنسان لديه قروش ويريد أن يخرج فيلما أو مسلسلا يستطيع أن يفعل ذلك ويخرج روايات سيئة جدا يسىء بها إلى مصر ، لأن لقب المخرج أو المنتج ليس لقبا علميا مثل الدكتور طبيب أو المهندس وإنما هو لقب شعبى مطلق ، فكل إنسان يستطيع أن يسمى نفسه مخرجا ولا أحد يعترض على ذلك ، لأن الميدان هنا مفتوح على مصراعيه ، وكل الممثلين الكبار وأحيانا الصغار قاموا بالإخراج والإنتاج وسببوا لنا بلاوى كثيرة ، ويحاول البعض ضبط الإخراج والإنتاج ولكن ذلك مستحيل لأن الدنيا هنا سبهللة وبلد من غير عمدة .

يوسف أديب شاهين ، ممثل ومخرج عبقرى

وأبدأ بالكلام هنا عن يوسف شاهين فهو دون شك من أعاظم مخرجى السينما فى مصر والعالم وقد ولد فى ٢٥ يناير سنة ١٩٢٦ بمحافظة الإسكندرية وتخصص فى السينما من أول الأمر وقد درس الإخراج السينمائى فى مصر أولا ثم فى الولايات المتحدة وحصل على ماجستير دراما وفنون مسرحية من معهد باسادينا وجامعة بيركلى بكاليفورنيا ثم عاد إلى مصر ودخل ميدان الإخراج السينمائى وأبدع من أول الأمر وقد قام بإخراج ٢٨ فيلما سينمائياً وثلاثة أفلام تسجيلية منها ابن النيل (١٩٥١) وصراع فى الوادى (١٩٥٤) وباب الحديد (١٩٥٨) والناصر صلاح الدين (١٩٦٣) وفيلم الأرض ــ على أساس قصة عبد الرحمن الشرقاوى ـ وهذا الفيلم يرينا عبقرية يوسف شاهين بأجلى صورها ــ والاختيار (١٩٧٠) والعصفور (١٩٧٣) وإسكندرية ليه (١٩٧٨) وحدوته مصرية (١٩٨٢)

وغيرها كثير . وهو فى هذه كلها متميز حقا لأن الرجل موهوب وواسع الثقافة وأحاديثه فى التليفزيون دروس بالنسبة لنا لأننا هنا أمام فنان أصيل من مستوى عال فعلا ، وأنا لم أسمع فى حياتى فنانا مصرياً يتكلم بهذا العلم الواسع والذكاء الشديد واللطف أيضا لأن يوسف شاهين خفيف الظل ، وقد حصل على عدد كبير من الأوسمة المصرية والعالمية وهو يستحقها فعلا ، وقد مثل مصر فى كل المهرجانات السينمائية العالمية وشارك فى المؤتمرات الثقافية التى عقدت فى السوربون والمؤتمر الثقافى فى موسكو ومؤتمر اليونسكو فى بلغراد الخاص بتطوير التعليم السينمائى ومؤتمر واشنطون للقرارات الأساسية الخاصة بمصر الراهنة ، ويوسف شاهين هو المخرج المصرى الوحيد الذى لايسمح لممثل أو منتج بالتحكم فيه .

على رضا محمد رضا منشىء فن الرقص القومى والشعبى فى مصر .

يعتبر على رضا من عباقرة الفن فى جيل الستينيات بل هو واحد من أكبر الفنانين المصريين فقد أنشأ فى مصر ــ والعالم العربى أيضا ــ فن الرقص القومى والشعبى ، وقد نجح فى ذلك نجاحاً عظيما لأنه فنان أصيل وهو أحد مؤسسى فرقة رضا للرقص الفنى والشعبى ، وقد قام بتمرين عشرات من الراقصين والراقصات وأنشأ رقصات ناجحة ولكن تدخل الحكومة فى شئونها يكاد يقضى عليها ، ويكفى أن نعرف أن عدد راقصى الفرقة مائتان فى حين أن الموظفين الحكوميين الذين يقال إنهم يرتبون أمور هذه الفرقة يصلون إلى ٨٠٠ إنسان !

وعلى رضا رجل ذو ذوق ممتاز وحركاته التى أدخلها فى الفن المصرى غاية فى الرشاقة والجمال بالإضافة إلى أصالتها ، وقد مرن الفنانين بصبر عظيم وفن أعظم ، ولايزال يعمل إلى اليوم برغم تدخل الحكومة فى أعماله وهو تدخل مخرب وقد عمل قبل أن ينشىء

فرقة رضا مخرجا سينمائيا ومسرحيا وموسيقارا ، وألف قصصا سينمائية وأخرج عددا من الأفلام منها «إجازة نصف السنة» و «غرام فى الكرنك» و «وآه ياليل يازمن» و «قضية عم أحمد» ولكن عمله الفنى العظيم هو فرقة رضا التى لاتضارع فنا وجمالا ومازال الرجل صغيرا وهو يستطيع أن يعمل لولا أن الحكومة تفسد فنه .

صلاح أبو سيف من أكابر المخرجين السينمائيين

لاشك فى أن صلاح أبو سيف من أعاظم المخرجين الفنيين فى مصر والعالم العربى كله ، فقد أخرج عشرات الأفلام بجدية وإبداع وقد ولد فى القاهرة سنة ١٩١٥ وقد حصل على دبلوم المحاسبة ، وهو مخرج سينمائى قدير ورائد من رواد السينما المصرية والعربية وهو أستاذ مادة الإخراج السينمائى بالمعهد العالى للسينما سنة ١٩٥٩ ورئيس مجلس إدارة الشركة العامة للإنتاج السينمائى من يناير سنة ١٩٦٣ وحتى يونيو سنة ١٩٦٥ وهو عضو لجنة السينما بالمجلس الأعلى للفنون والآداب وعضو لجنة الفنون بالمجالس القومية وعضو مجلس الأساتذة بالمعهد العالى ، وقد أخرج عددا عظيما من الروايات التى تعتبر من أعظم أعمال السينما المصرية ومن أفلامه الممتازة : دايما فى قلبى (١٩٤٦) والمنتقم (١٩٤٧) وريا وسكينة (١٩٥٢) والوحش (١٩٥٤) والوسادة الخالية (١٩٥٧) ولا أنام (١٩٥٧) ومجرم فى إجازة (١٩٥٨) والطريق المسدود (١٩٥٨) وأنا حرة (١٩٥٩) والبنات والصيف (١٩٦٠) وبداية ونهاية (١٩٦٠) ولاتطفىء الشمس (١٩٦١) وشىء من العذاب (١٩٦٩) ، وقد أنشأ عشرات الأفلام الناجحة وهو دون شك من كبار المخرجين المصريين ، وله أسلوب فنى ممتاز عميق لأن صلاح أبو سيف رجل مثقف ومخلص ، ويكفى أنه أخرج رواية «الزوجة الثانية» من تأليف رشدى صالح ومازال نشيطا فى الإخراج برغم كبر سنه وهو من عبقريات الفن السينمائى المصرى ومن أعماله الفنية العظيمة «شىء من العذاب» (١٩٦٩) و «فجر الإسلام» سنة ١٩٧١

و«سنة أولى حب» (١٩٧٦) و«سقطت فى بحر العسل» ١٩٧٧ و«القادسية» ١٩٨٢ و«البداية» ١٩٨٦ وقد مثل مصر فى الكثير من المؤتمرات الدولية وهو دون شك من أعاظم المخرجين المصريين بل هو من كبار منشئى السينما المصرية ومن أصحاب الفضل فى تقدمها .

فريدة فهمى راقصة مصر الأولى

اسمها الكامل ميلدا حسن فهمى وهى من الراقصات الممتازات فى فن الرقص القومى والشعبى ووالدها المهندس حسن فهمى من أصل عريق وقد ولدت سنة ١٩٤٠ بالقاهرة وحصلت على ليسانس الآداب الإنجليزية من جامعة القاهرة ثم حصلت على الماچستير من إحدى جامعات كاليفورنيا سنة ١٩٨٧ ثم اتجهت إلى الرقص الشعبى والقومى فى مصر وهى رائدته فى مصر وقد بدأت حياتها الفنية كراقصة أولى بفرقة رضا ، وقد بدأت نشاطها فى الرقص سنة ١٩٥٩ أى وهى فى التاسعة عشرة من عمرها كراقصة أولى بفرقة رضا وتتميز برقة وخفة وجمال جسم وخيال عظيم وقد قدمت الكثير من الاستعراضات الشعبية الجامعية وطافت مع الفرقة معظم أنحاء العالم وحققت شهرة عالمية ، وقد شاركت بالتمثيل فى الكثير من الأفلام السينمائية مثل « إجازة نصف السنة » و « غرام فى الكرنك » ، وهى أول (باليرينا) فى تاريخ مصر .

على إسماعيل مؤلف وموزع موسيقى فريد فى بابه

ولا يمكن أن نختتم الكلام هنا دون الكلام على على إسماعيل الذى كان أعظم موزع أنغام عرفناه فى تاريخنا . والتوزيع الموسيقى والآلى شىء لم نكن نقوم به نحن المصريين بل كانت العادة أن يؤلف الموسيقى اللحن الأساسى فقط . أما إخراج الأغنية وعمل مقدمة موسيقية لها وإدخال شتى الآلات فى عزفها فكان يقوم به بعض الأوربيين المقيمين فى مصر فجاء هذا الرجل على إسماعيل وأتقن فن التوزيع الموسيقى إلى درجة كبيرة وكان موسيقيا موهوبا ورجلا مقبلا على العمل ومن هنا فقد نقل بجهده الموسيقى المصرية من مستوى إلى مستوى أعلى وأضاف إلى الموسيقى المصرية عمقا واتساعا ونغما جماعيا جديدا ، وقام بالتوزيع حتى لكبار الموسيقيين من أمثال محمد عبد الوهاب ومن أسف أنه توفى ــ رحمه الله ــ صغيراً فحرمنا من الاستفادة من فنه أكثر مما استفدنا فعلاً .

والمخرجون والممثلون والموسيقيون كثيرون ولا يتسع المجال هنا لذكر كل الظاهرين منهم ، ولهذا فإننا نكتفى بمن ذكرنا وكان بودى أن أتكلم عن عاطف سالم وعامر محمود الألفى (نبيل الألفى) وكمال الطويل ومحمد عبد الوهاب وهنرى أنطون بركات وغيرهم كثير ولكن القارىء يستطيع أن يجد المعلومات عنهم فى مراجع أخرى ويكفى ما ذكرناه إلى الآن .

- **صنع فى مصر**

مجد رفع رايته جيل الستينات

- **لابد من إصلاح الإدارات الحكومية**

لكى نستطيع النهوض بالصناعة

- **لابد من إلغاء كل القوانين**

التى صدرت فى العصر الناصرى

صنع فى مصر

■■ لم تخل مصر من الصناعة أبداً . كانت لدينا دائماً صناعات ، ومن أيام محمد على كانت لدينا صناعات ، ولكنها قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ كانت صناعات صغيرة محدودة فى الغالب ، وهذا لا يمنع من القول بأن جيل ثورة ١٩١٩ أنشأ فى مصر صناعات عظيمة أو سار بصناعات كانت قائمة فعلاً إلى مدى بعيد كالنسيج مثلاً أو صناعة الإسمنت وصناعة الطوب وبعض المصنوعات المعدنية ، ولكن كل أعمال ثورة يوليو كانت محدودة لكثرة أحداث الثورة ، ولهذا فلم يتسع وقت رجال الثورة للنهوض بالصناعة ، فقد كانت البلاد بعد هذه الثورة كأنها مشدودة من شعرها بصور مستمرة والحروب مع الإنجليز وقوات الاستعمار وأعداء العروبة كانت متوالية ومتشابكة . ورجل مثل عبد الناصر عاش عمره كله فى صراع إلى آخر لحظة من حياته ، ولكنه أنجز مثلاً السد العالى وهو مشروع من أكبر مشروعات مصر الصناعية ، وقد خاض الرجل معارك طاحنة مع الأمريكيين والإنجليز لكى ينجز هذا المشروع ، ويضمن لمصر مصدراً من الكهرباء عظيماً جداً .

ولكن جيل الستينات هو الجيل الصناعى حقاً فى تاريخ مصر الحديث ، وسواء أقمنا بالصناعات كلها فى مصر أو حصلنا على موافقة الشركة الأوروبية لاستيراد الأجزاء ثم تركيبها فى مصر ، فإننا نستطيع أن نقول إن كل شىء يصنع الآن فى مصر على درجات ومستويات مختلفة وعبارة « صنع فى مصر » أصبحت اليوم أملاً مصرياً قومياً منذ طالبنا الرئيس مبارك بذلك ، حقاً إن الإدارة الحكومية عندنا مازالت مثقلة بالعيوب ، ولكننا نحاول ونجتهد ونرجو أن تتخلص الإدارة الحكومية من عيوبها فى يوم من الأيام ، ومن الآن نقول إنها لن تتخلص من عيوبها القاتلة أحياناً إلا إذا قامت فى مصر حكومة حاسمة حازمة مدركة لحقائق الوضع الذى نعيشه اليوم وعارفة بما يستطيع المصريون أن يحققوه وقادرة على تحقيق التغيير المطلوب والإدارة المصرية الحالية بتركيبها وقوانين تنظيمها الحالية غير قادرة على ذلك . وأقولها بكل اختصار : لا أمل فى النهوض المطلوب ، إلا إذا ألغيت كل القوانين التى صدرت فى العصر الناصرى خاصة بالتنظيم الإدارى وإيجارات المساكن والأراضى وتوزيع الثروات . لابد من إلغاء ذلك كله لكى نستطيع أن نبنى من جديد ونحن لا نستطيع ذلك الآن لأن عقلية موظفى الحكومة لم تتطور إلى الحد الذى تدرك به أن هذا العمل ضرورى .

ولكن إذا كانت الإدارة الحكومية غير قادرة على الإدراك والتطور فإن الشعب المصرى قادر ونحن اليوم نعيش فى مصر نهضة صناعية شاملة والمصانع الجديدة تولد كل يوم والعمل تسير سيراً حسناً لولا مضايقات الجهاز الحكومى الذى لا يضايق لأنه يريد أن يضايق بل لأنه لا يفهم . ومن أيام ذهبت أشترى شيئاً من محل تابع لشركة حكومية . كانت الساعة العاشرة والنصف ، ولكن البنت التى كان ينبغى أن تبيعنى لم تكن قد أتت بعد ، والمحل كان مشغولاً بالزبائن ، فقلت بعد أن انتظرت عشر دقائق ألا يستطيع أحد منكم أن يبيعنى ما أريد ؟ قالوا : لا . قلت : من مدير هذا المحل ؟ فرد على موظف كبير السن ، وقال أنا مدير المحل هنا ولكننى لا أستطيع أن أفرض إرادتى على الموظفين وهذه البائعة ستأتى فى أى حال ، فانتظر حتى تأتى . فاستأذنت لأمضى لشأنى ، وفى ذلك الحين أتت البائعة وهى مبتسمة فطلبت منها الشىء الذى أريده ، وكان فى دولاب العرض ، فناولتنى إياه ، وكتبت الإيصال بمبلغ ١٧ جنيهاً ، وكنت قد لاحظت

أن السعر ٣٧ جنيهاً ، ولكن مادامت هى قد كتبت ذلك السعر فهى تعرف ماذا تكتب ودفعته ومضيت . بعد الظهر أتت هذه الآنسة إلى بيتى ولابد أنها سألت عنه وقالت إنها أعطتنى شيئاً ثمنه ٣٧ جنيهاً بسبعة عشر وهى ترجو أن أعطيها الباقى قلت :

ــ يا آنسة أنت كتبت الإيصال بيدك

ــ أخطأت

ــ ربما ولابد أن تخطئى لأنك لا تلتفتين لعملك الالتفات الكافى وأنا لن أدفع لك شيئاً وأرجو أن تتفضلى بالخروج الآن . .

قالت : أرجوك يا سيدى هذا الفرق سأدفعه أنا من جيبى .

قلت : ولم لا تدفعينه من جيبك لأنك غير ملتفتة لعملك فأنت أولاً أتيت متأخرة وأنا انتظرتك . ثم إنك لم تنظرى فى الثمن بالعناية الكافية .

ــ أرجوك يا سيدى .

ــ لا يا آنسة انتهينا والآن أرجو أن تتفضلى بالخروج وخرجت ، وفى الليل اتصل بى رئيس من الوزارة التى يتبعها المحل ورجانى أن أسدد للآنسة الفرق فقلت اسمع يا صديقى أنا أعرفك وأقدرك ، وكنت أتمنى أن أستجيب لما تفضلت بطلبه ، ولكن هذه الآنسة تستحق ما جرى لها وأرجو بدلاً من أن تساعدها على استعادة الفرق أن تطلب إليها أن تلتفت إلى عملها ثم إن الشىء الذى اشتريته من المحل لا يساوى فى الحقيقة أكثر من ١٧ جنيها .



والحقيقة أنه لا سبيل إلى تحسين الأوضاع الاقتصادية لمصر تحسيناً حاسماً مادام النظام الناصرى الاقتصادى مازال يسودنا إلى اليوم . لقد نشرت دار الأهرام أخيراً دليل الهيئات والشركات فى مصر ودرسته وتعجبت كيف يمكن أن تشرف وزارة الصناعة مثلاً على إحدى عشرة شركة وهيئة ومعهداً ، وكل شركة أو هيئة تتبعها شركات كثيرة ، ومن فى الوزارة يشرف على هذه الهيئات ؟ الوزير وكيف ومتى ؟ هذا نظام مستحيل . إن هيئة واحدة من الهيئات التابعة للوزارة وهى هيئة القطاع العام للصناعات الكيمياوية ،

تتبعها ٢٢ شركة ، فكيف والله يقوم وزير الصناعة بإدارة هذه الشركات والهيئات كلها ؟ لا أريد أن أتدخل أكثر من ذلك فى هذا الموضوع خشية أن يقال إننى أثير مشكلة القطاع العام والقطاع الخاص ، وقد تحدثنا عن ذلك بما فيه الكفاية فيما سبق . ثم إننى ألاحظ أن الدولة تميل الآن إلى التصرف فى القطاع العام ، وربما ينتهى بها الأمر إلى بيع ما تستطيع بيعه من شركاته فلأدع ذلك الموضوع الآن لكى أتحدث عن موضوع الصناعات فى مصر ، أنا أرى أن جيل الستينات جاد جداً فى مسألة التصنيع . حقاً إننا نعانى من تصرف الحكومة مع شركات توظيف الأموال ، وهذا التصرف فى ذاته كارثة اقتصادية ، ولكن الشعب المصرى يجتهد اليوم فى التصنيع وينشىء الشركات ، وعن قريب تتحسن الأحوال وتنفك العقد الاقتصادية التى تقيد مصر الآن ، وسأصرف النظر هنا عن شركات الصناعة وشركات تجميع الصناعات لأننى واثق من أنه حتى شركات التجميع ستتحول مع الزمن إلى شركات صناعة ، وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول إننا بالفعل نعيش فى عصرنا هذا فترة تحول اقتصادى شامل ، وسأتحدث هنا عن أهم الشركات الصناعية التى ولدت خلال عصرنا هذا وأنظر من خلالها إلى مستقبل مصر الصناعى وأحب أن أضيف هنا أننى لا أفرق بين شركات كبيرة وصغيرة ، فكلها هيئات مصرية تعمل وتخدم مصر ، وعلينا أن نحييها كلها ، لأنها تعمل على النهوض اقتصادياً بمصر خلال عصر الستينات .

ولكن هيئات القطاع العام فى حاجة إلى إصلاح أو قل إنقاذ ، لأن إدارتها الحكومية مليئة بوجود النقص والعيوب ، ولا يمكننا احتمالها زمناً طويلاً بوضعها الحالى ولابد من إجراء شىء حاسم بشأنها ، واقرأ الخبر التالى الذى نشرته جريدة الوفد فى عددها الصادر فى ٢٦ يوليو ١٩٩٠ ، ولابد أن تقول ــ على فكرة ــ إنه ليس من الضرورى أن يكون كل ما تنشره الوفد دعاية ضد الدولة لأنها جريدة معارضة . لأنها فى الحقيقة جريدة محترمة جداً ، وهى تمس الحقيقة فى الكثير مما تنشر فى حين أن جرائد الحكومة الثالوث المشهورة الأهرام والأخبار والجمهورية ــ نادراً ما تنشر الحقائق بالصراحة اللازمة يقول خبر الوفد تحت عنوان : ١٥٠ شركة قطاع عام تلاعبت فى الميزانيات لتحقيق أرباح وهمية . صافى نشاط القطاع العام « تحت الصفر » والدولة تواصل الدعم . . ثم يقول

الخبر : كتب جمال شوقي : كشفت عمليات تحليل ميزانيات شركات وهيئات القطاع العام عن مفاجآت مذهلة . تبين قيام نحو ١٥٠ شركة بالتلاعب في الأرقام والأسس المحاسبية والاقتصادية السليمة لتحقيق أرباح وهمية . وكان وزراء القطاع العام قد اعترفوا بوجود خسائر في ٥٥ شركة فقط بخلاف الشركات المتلاعبة تبين من عمليات التحليل للحسابات الختامية والميزانيات أن معظم الشركات حققت أرباحاً من أعمال غير أعمالها الأصلية ، وفشلت في تحقيق أرباح عن نشاطها الأساسي . كما كشف أحدث تقرير أعده جهاز رقابي عام أن صافي أنشطة القطاع العام « تحت الصفر » وأكد التقرير أن الأرباح الوهمية للشركات جاءت من عمليات المتاجرة وبيع الأصول الرأسمالية وليس من النشاط الجاري الحقيقي . وتبين أن خزانة الدولة قدمت خلال العام الماضي استثمارات قدرها ٣,٥ مليار جنيه لشركات القطاع العام ، كما قدمت الدولة للشركات والهيئات خدمات البنية الأساسية والقيود القروض ذات الفائدة البسيطة بالإضافة إلى الدعم في عدة صور وكشف التقرير عن تزايد عمليات السحب على المكشوف من البنوك . وبلغت قيمة الفوائد المستحقة للبنوك خلال العام الماضي فقط [illegible] مليون جنيه كاملة . ويطالب التقرير بضرورة إصلاح القطاع العام إصلاحاً جذرياً لمنع تزييف المال العام كما تضمن التقرير مقترحات لمراحل الإصلاح وبرنامجاً كاملاً له . ويتضمن البرنامج ضرورة إلغاء هيئات القطاع العام لعدم جدواها » وهذا كلام جيد جداً ، ونحن نطالب ــ لصالح الدولة ــ بنشر هذا التقرير .

وشهادتي : لا أحب أن أتدخل في مشكلة القطاع العام الذي [illegible] النزاع ... لا [illegible] أصحابه بالذات ... بالدفاع عنه وتصر على الإبقاء عليه ، مع أن شركات القطاع العام [illegible] أن تظل تبع الدولة هي شركات المنافع العامة فقط مثل السكك الحديدية والبريد والشيء الوحيد الذي يمكن الاستمرار في دعمه هو الخبز ، ومن الممكن أن يرفع ثمن الرغيف إلى تكاليفه على الدولة لأن الناس في أيامنا هذه يشترون الخبز في نواح كثيرة بسعر [illegible] للرغيف ، ولكن دعنا بعيدين عن القطاع العام مادمنا قد قلنا رأينا وبينا أن [illegible] كما هو خسارة قومية كبرى .

وعلى الرغم من ذلك فإننا ينبغى أن نسلم بأن رجال الستينات قد استطاعوا ــ رغم المتاعب الحكومية ــ أن ينهضوا بالصناعات فى شتى الميادين لأن المصريين كما قلت شعب ذكى شغال ، ثم إن الإحساس الوطنى عندنا قوى فعال ، وسنحاول أن نستعرض وجوه النجاح الصناعى فى عصرنا بادئين بالكلام على صناعات المعادن ، وهى أساس الصناعة فى عصرنا الراهن .

وينبغى أن نقول ــ فيما يتعلق بصناعات المعادن ــ إننا مازلنا فى البداية ، وبحسب علمنا لا توجد فى مصر إلى الآن شركات تصنيع معدنى تقوم باستخراج المعادن من مصادرها وصهرها وتشكيلها ، ولكن لدينا شركات صناعات نصف معدنية بمعنى أنها تتسلم ــ مثلاً المعادن مستخلصة من أصولها ومشكلة فى هيئة مكعبات أو ألواح مثلاً ثم تصنع منها ما تريد .

فهناك مثلاً الشركة العامة للمشروعات الفنية « يتيكو » وهى تصنع لوحات توزيع جهد منخفض ومتوسط ومصانعها بطريق ترعة المنصورية الهرم مدينة ٦ أكتوبر المنطقة الصناعية الأولى وهى شركة معادن ضخمة تقوم بعلاج المعادن وتصنيعها .

وهناك الشركة المصرية اليابانية لأعمال الصلب ، وهى تصنع قطع الغيار المعدنية المطروقة ، وهى شركة تصنيع معدنى كبرى يديرها الدكتور مهندس محمد سلطان . ولابد من ذكر شركة جنرال موتورز مصر ، وهى تعمل فى تصنيع السيارات . ومع أن معظم عملها تجميع إلا أنها تصنع الكثير من القطع المعدنية .

وهناك كذلك مصانع البساتين للأشغال المعدنية (الصفطاوى وشركاه) وهى متخصصة فى صناعة وتجهيز أثاثات وأدوات المستشفيات ، وهى تصنع سراير الكشف والبرافانات المعدنية وحوامل المحاليل وحوامل أنابيب الاختبار وكل اللوازم المعدنية للمستشفيات ، وهى شركة كبيرة وجادة وجديرة بكل تشجيع .

وشركة الأثاثات المعدنية للمكاتب والمنازل ومصانعها بمدينة الخانكة قليوبية ، وهى تصنع قطعاً معدنية متقنة ويديرها المهندسان عبد الهادى (عبد المنعم وسامى فهيم .

وشركة الإسماعيلية لصناعة الألومنيوم بالمنطقة الصناعية فى الإسماعيلية ، وهى من أكبر شركات تصنيع الألومنيوم فى مصر .

وشركة أورليكون مصر لصناعة الأسياخ ومهمات اللحام ، ومديرها المسئول جورج زكى السبع .

وشركة ميتال ايكس للصناعات الهندسية بمدينة الخانكة قليوبية .

وشركة سالى لتصنيع الألومنيوم وهى تنتج أوانى الألومنيوم بمدينة نصر بالقاهرة .

وشركة موج للأثاثات المعدنية وتجهيزات الفنادق والمستشفيات والمنشآت السياحية بالحى السادس بمدينة نصر .

وشركات السعد ، القطاع الصناعى ـ الكتروستارز السعد للتبريد ، مصانع المصاعد الكهربائية ـ الأثاث ومصانعها بمدينة ٦ أكتوبر .

وشركة شريدر للمعدات الكهربائية ومستلزمات المدن بمنطقة الصبحية سموحة البر القبلى بعد السينالكو خلف عزبة حجازى بالإسكندرية .

ولم أذكر إلا بعض شركات التصنيع المعدنى ، وكما قلت إن صناعات المعادن فيها جزئية ، ولابد لمصر من إنشاء صناعات معدنية كاملة وأساسية ، وهذه بطبيعة الحال تحتاج إلى علم ومال وجهد ، ولكن لا مفر منها إذا أردنا أن يكون بلدنا بلداً صناعياً حقاً . وبدون صناعة المعادن لن تصبح مصر دولة قوية أبداً ، ولن تصبح من بلاد الصف الأول . ومن حسن الحظ أن كل الأسس اللازمة لصناعة المعادن موجودة فى مصر ، وكذلك العلم موجود فعلينا أن نضع الخطة أمامنا ، ونسير فى التحقيق . ولا مفر لنا من ذلك لأن العالم اليوم عالم صناعات معدنية ، والدول الكبرى توصف بأنها كبرى لأنها تملك صناعات المعادن . وجيل الستينات قد وضع الأساس ، وعلينا نحن ـ أو قل على الأجيال التالية ـ أن تواصل العمل فى ذلك الاتجاه .



وقد تحدثت عن صناعة الموتورات فى مقالات وأبحاث سابقة لأن العالم اليوم عالم موتورات . ولا يمكن لنا أن ننهض حقاً إلا إذا صنعنا الموتورات ، وقد حاولت إحدى الشركات أن تبدأ بصناعة الموتورات فقالت المصانع الحربية إنها هى التى ستصنع الموتورات فى مصر . ونحن نقول : ولم لا ؟ إن الموتورات اليوم أصبحت عشرات الأصناف والقوات ، فهناك موتورات ضخمة مثل موتورات السد العالى وموتورات غاية فى الصغر إلى درجة أنها تدخل فى صناعة أدوات التصدير ، ونحن نحتاج إلى عشرات مصانع الموتورات فلتصنع المصانع الحربية منها ما تريد ولتدع الناس يصنعوا منها ما يستطيعون . لأن صناعة الموتور معقدة جداً . فهى تتكون من عشرات القطع من شتى المعادن . وهذه تصنع بغاية الدقة ، والشركات التى تصنعها تعتمد فى ذلك على علم غزير ومهارة صناعية متقدمة ، ونحن اليوم نشترى الموتور ربع كيلو من أوروبا بمائتى جنيه مع أنه يتكلف عشرين جنيهاً فحسب ، فلماذا هذا الإهدار لأموالنا ؟ وإذا كنا نستطيع صناعة الموتور فلماذا لا نصنعه ؟ ولماذا لا نصنعه بشتى أحجامه وقواته ؟ وأنا هنا أطالب بأن نعطى الشركة التى طلبت الإذن لصناعة الموتورات التصريح والمساعدة ، وهى شركة الشريف ، الإذن فى إنشاء المصانع ، فهذه الصناعة ستغير وجه مصر تماماً وستخطو ببلادنا إلى الأمام خطوات واسعة ، وسنستطيع أن نقدم للبلاد العربية كل ما تحتاج إليه من الموتورات . والمصانع الحربية تستطيع أن تصنع من الموتورات ما تريد ويكون هناك تعاون بين الجانبين . أنا هنا أرجو رجال الدولة أن يقرءوا ما نكتب وأن يفهموه وينفذوا ما يقتنعون به منه لأن العلم لا يقتصر على موظفى الدو ، فالبلد حافل بأهل العلم والقدرة الصناعية ، وحرام أن نقف فى وجه أى طريق من طرق التقدم الصناعى . وفى إيطاليا وحدها أكثر من خمسين مصنع موتورات وقد زرت فى اسبانيا مصانع شركات موتورات ذات قوات مختلفة ، ولا أدرى ما السبب فى معارضتنا صناعة الموتورات ومادمنا نستطيع صناعة الموتورات فلماذا لا نصنعها ؟!

• يوسف إدريس

وروح جيل الستينات

• مصطفى محمود

ظاهرة عمرانية
طبية أدبية

يوسف إدريس

■■ خلال الخمسينات والستينات كانت مصر تتمتع بنشاط واسع جداً . تلك كانت سنوات الثورة ، وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كانت ثمرة تجارب مصرية طويلة منذ سنة ١٩١٩ ، والثورة عندما قامت حققت الشيء الكثير ، ويكفى أن نقول إنها أخرجت الإنجليز من مصر نهائياً سنة ١٩٥٤ ، ونفذت مشروع السد العالى ، وجعلت فكرة وحدة العالم العربى أساسية فى كل بلاد العالم العربى ، ولكنها تردت فى الكثير من الأخطاء الشخصية فى الغالب ، ووقعت فى نكبة الهزيمة سنة ١٩٦٧ ، هذه الهزيمة التى كسرت قلوب المصريين ، وجعلت أهل الطموح منهم يصممون على ضرورة النصر ، وفعلاً بدءوا يعملون .

وكان أول ما فكر فيه أولئك الطموحون من جيل الستينات هو أنه لابد من التخلى نهائياً عن قوانين ثورة ١٩٥٢ . لقد حققت هذه الثورة ما استطاعت ، ولكن مصر كان لابد لها من ثورة أخرى تخرجها من النكبة ، وهذه الثورة كانت ثورة الستينات ، وقد عرضت عليك فيما مضى نماذج من أبطال الستينات ، ولابد أنك رأيت أنهم فى مجموعهم

يمثلون ثورة مصرية جديدة تعمل الآن لتخرج مصر من النكبة التى أوقعتها فيها الخلافات الشخصية بين رجال ثورة ١٩٥٢ . وبعد نكبة ١٩٦٧ أصبحت الثورة الجديدة نداء العصر ، وقد قادها الرئيس أنور السادات ، ولكن فكرها ينبغى أن يكون جديداً ، وأعتقد أن أول من ذكر مصطلح الستينات كان الدكتور يوسف إدريس ، ولم يحاول أحد إلى اليوم تقدير الدور التاريخى الذى قام به يوسف إدريس ، لأن كل اهتمامنا متجه إلى إنتاجه الأدبى الغزير وقصصه القصيرة ، ولكن هذا الرجل عندما ترك العمل الطبى بعد تخرجه فى كلية الطب سنة ١٩٥٢ ، واتجه إلى العمل فى الأدب بادئاً من جريدة الجمهورية ، أعطى جيل الستينات اسمه وشخصيته ، وقصصه القصيرة كانت ميلاداً لفلسفة فكرية جديدة فى تاريخنا ، وأظن أنه أول من استعمل مصطلح الستينات ، وإذا كانت الثورة عسكرية إلى ذلك الحين فإن يوسف إدريس وجيله قد جعلوها ثورة شعبية ، وكان هذا أساس نصر جيل الستينات ، ويوسف إدريس دخل ميدان الأدب العربى من باب القصة ، ومجموعة « أرخص ليالى » كانت أول مجموعة قصصية نشرها ، وكان لها عندما نشرت دوى عظيم ، ثم تطرق إلى المسرح وأبدع فى مجاله ، ومسرحيات : جمهورية فرحات والفرافير والبهلوان كانت فتوحاً فى الأدب العربى ، أما قصصه القصيرة فمازالت إلى يومنا هذا أعظم القصص القصيرة فى الأدب العربى ، ويكفى أن نذكر مجموعة « أرخص ليالى » . والرجل إلى جانب ذلك كاتب ممتاز له كتب كثيرة حافلة بالآراء والأفكار الجديدة ، ولا شك أنه فعلاً من صناع جيل الستينات ، فهو رائد التجديد فى الأدب العربى ، وفى أسلوبه عمق وشمول لا تجدهما عند أى كاتب آخر معاصر له ، وفى كتاباته نضجت فكرة جيل الستينات ، وأصبح عصراً جديداً من عصور تاريخ مصر ، وأنور السادات نفسه صانع نصر ١٩٧٣ كان فى الأصل عسكرياً ، وظل طبعاً عسكرياً ، ولكنه فى تصرفه ومعاملاته للناس أصبح مدنياً ، ولهذا التف المصريون حوله وكسبوا النصر على إسرائيل ، ولو أن العرب تنبهوا إلى أهمية ما نادى به السادات والتفوا حوله فربما كنا قد حصلنا على انتصار أكبر وأكثر حسماً على الصهيونية .

وحول يوسف إدريس يتجمع الأدباء والكتاب من جيل الستينات ، وبفضل هؤلاء أصبح مصطلح جيل الستينات مصطلحاً حياً وقوياً ، ولا يستطيع الآن أن يؤرخ أحد لمصر دون أن يذكر جيل الستينات ، وهو كما رأينا جيل قوى وغنى ، وبعد أن قاد هذا الجيل مصر إلى نصر أكتوبر اتجه إلى بناء مصر جديدة هى التى نراها اليوم فى عصر مبارك ، وهو عصر البناء العسكرى الأصيل والمدنى الشامل ، وربما استطعنا أن نقول إننا قد تخطينا جيل الستينات ودخلنا جيل الثمانينات ، وهو جيل عودة مصر إلى الصف العربى أو قل عودة الصف العربى إلى مصر ، وليس من الضرورى أن تستفيد مصر من عودتها إلى الصف العربى ، ولكن من المؤكد أن العرب يستفيدون من مصر إذا هى عادت إليهم ، فإن العرب مع الأسف الشديد لا يتعلمون ، فمازال هناك فى العرب من يعيشون تحت استبداد رجل واحد يزعم أنه الوحيد القادر على حكمهم ، ويفرض عليهم أن ينتخبوه حاكماً لهم مدى الحياة ، مع أنه ثبت بالتجربة أنه لا يوجد إنسان يصلح للحكم مدى الحياة ، ومن المؤكد أن الحاكم أياً كان لا يستطيع أن يحكم عشرين سنة متوالية دون خطأ ، وقد تخطينا نحن فى مصر هذه المرحلة ، ولكن ما العمل ومازال فى العرب من لا يزالون تحت هذا المستوى من الحكمة السياسية ؟

المهم أن يوسف إدريس ــ فى تصورى ــ كان المنادى بذلك العصر الجديد فى مصر . . عصر الحكمة وعصر الديموقراطية الحقيقية أى عصر الشورى التى هى أساس كل توفيق سياسى .

وإذا ذكرنا مسرحيات يوسف إدريس وقصصه القصيرة فلنذكر رواياته الطويلة ومنها أعمال فنية حقيقية مثل (الحرام) و (ولا وقت للحب) والمهم أن هذا الأديب الكبير هو أول من ذكر مصطلح جيل الستينات ، وتنبأ بما يمكن أن يعنيه جيل الستينات ، وما تعنيه ثورة الستينات التى انتصرت وبدأت العصر الجديد فى السبعينات .

الدكتور مصطفى محمود

لا نجد بين شخصيات الستينات رجلاً متنوع الملكات والاهتمامات والنشاطات مثل مصطفى محمود واسمه الكامل مصطفى كمال محمود حسين ، وهو من مواليد شبين الكوم فى ٢٥ ديسمبر ١٩٢١ ، وهو طبيب ، فقد تخرج فى كلية الطب سنة ١٩٥٢ ، وفى طفولته وصبوته وشبابه اجتاحه المرض وكتبت له السلامة آخر الأمر . وهو أديب ، فهو من أغزر كتابنا وأكثرهم تنوعاً فى الكتابات والموضوعات ، وكتبه صغيرة الحجم فى العادة ، ولكنها دسمة غنية جداً فى المعانى ، عددها يبلغ حوالى ٦٣ كتاباً ، وأنا قرأتها كلها لأن أسلوبه العقلى واللفظى يعجبنى جداً ، وأعتقد أن كتابه « القرآن كائن حى » من أبلغ وأعمق ما كتب فى الإسلاميات ، وكمثال لهذه البلاغة آتيك هنا بفقرة من كلامه عن العلم فى القرآن الكريم ، قال — ص ٥ و٦ — من الكتاب: « وكمثال نأخذ كلمة العلم فى القرآن فنجد أن العلم يأتى فى البداية مجملاً بمعنى النظر فى خلق السماوات والأرض ، ثم نجد هذا النظر يأتى بعد ذلك مفصلاً . . (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت) وهذه هى علوم الأحياء والفلك والجيولوجيا والجغرافيا كما نعرفها الآن ، ثم ينقلنا القرآن إلى نظر من نوع آخر (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كانت عاقبة الذين من

قبلكم) وذلك هو النظر فى التاريخ ،ثم تنوع آخر (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) وهذا هو النظر فى التطور وعلم الأجناس ، وكيف كانت بداية ذلك كله : (خلق كل دابة من ماء) (والله خلقكم من تراب) (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) ذلك هو الأمر كما ورد (خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين) ثم تفصيل أكثر (ألم يك نطفة من منى يمنى) (القيامة ٧٥ / ٣٧) ، ثم نرى النطفة تأتى فى عشرة مواضع ، فنجدها كل مرة تأتى بمشهد تفصيلى مختلف ، فهى نطفة أمشاج (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً) (الإنسان ٧٦ / ٢) أى أخلاط من صفات وخصائص متنوعة ، وهذا هو ما نعرفه الآن بالجينات الوراثية ، ثم يأتينا القرآن بتفصيل أكثر بأن النطفة المنوية هى التى تحدد جنس المولود إن كان ذكراً أم أنثى (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى) (النجم ٥٣ / ٤٦) ، ثم تفصيل ثالث وهو أن هذه النطفة مقدرة بتركيبها هذا من الخالق ، وليست شيئاً عشوائياً من تدبير الصدفة (قتل الإنسان ما أكفره . من أى شىء خلقه . من نطفة خلقه فقدره) (عبس ٨٠ / ١٩) ثم ينقلنا القرآن إلى مشهد مكانى (ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين) (المؤمنون ٢٣ / ١٣) تلك النطفة مستقرها الرحم ، ثم ينقلنا إلى مشهد زمانى ، فيضع هذه النطفة فى سياقها التاريخى ويربطها ببدئها الأول السحيق من التراب (فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة) (الحج ٢٢ / ٥) . ثم يعطينا تفاصيل أكثر لما حدث فى السياق التاريخى . إن النطف كانت فى البداية نطفاً غير جنسية تتكاثر بالانقسام الخضرى بدون تزاوج ، ثم تنوعت بعد ذلك إلى ذكر وأنثى ، وظهر التكاثر التزاوجى ، وتأتى هذه الإشارة فى قوله تعالى (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً)(فاطر ٣٥ / ١١) . . » إلى آخر هذا الكلام البالغ العمق والإدراك العلمى الذى يجده الإنسان فى الكتاب (ص ٨) ، وهو كلام لا يصدر إلا عن رجل علوم ، لا يقرأ القرآن بعقلية فقيه ، بل بعقلية متخصص فى العلوم ، وهو لهذا يرى من أسرار بلاغة القرآن واتساع معانيه ما لا يراه الفقيه الذى يقتصر علمه على الماضى أو النظر فيما قال الماضون ومقارنة بعضه ببعض : قال فلان وقال علان . . دون تفكير أصلاً .

وقد آتيتك بهذه الفقرة لكى أقرر فى ذهنك مكانة مصطفى محمود كمفكر إسلامى ومفكر عام ، فما بالك وله فوق الستين كتاباً كلها بهذا العمق والشمول العلمى ؟

وهذه ناحية واحدة من نواحى مصطفى محمود ، والرجل متعدد النواحى ، وهو دون شك من بناة جيل الستينات ، وأنا فى كتابة تاريخ ذلك الجيل أقف عند الرجال . عند البناة أى عند صناع التاريخ ، أى صناع العصر الذى أؤرخ له .

د. مصطفى محمود- أثر الايمان الدينى فى نبوغه

قلنا إن مصطفى محمود تخرج فى كلية الطب سنة ١٩٥٢ ، وفاتنى أن أذكر أنه كان فى صبوته وشبابه مريضاً حتى اضطر وهو فى كلية الطب إلى البقاء فى المستشفى سنتين . وهذه فرصة لكى نسأل : هل صحيح ما يقولون من أن العقل الصحيح لا يكون إلا فى الجسم الصحيح ؟ غير صحيح لأن العشرات من العظماء وبناة التاريخ كانوا مرضى ، بالأجسام طبعاً لا فى العقول . وبهذه المناسبة يقول مصطفى محمود : « وأستطيع أن أقول إن المرض والمعاناة والعزلة الطويلة فى غرف المستشفيات قد فجرت مواهبى . . والألم كان الأب الحقيقى لكل الايجابيات والمكاسب التى كتبتها كانسان وفنان وأديب ومفكر ، والألم أيضاً هو الذى صقل أخلاقى ، وجلا معدن نفسى ، وفجر الحس الدينى فى داخلى ،وكان أداة التنوير والصحوة والتذكير بالله » . وأذكر أننى قرأت مثل هذا الكلام لاكاديوس موتسارت ، فقد مرض هو الأخر طويلاً ، وقال إن المرض والوحدة فى الفراش والألم هى التى صقلت مواهبه الموسيقية . وقد نضج مصطفى محمود مع الزمن ، وصفاً ذهنه ، ورق إحساسه الإنسانى ، وقال بعد ذلك عن نفسه : ولو سئلت بعد هذا المشوار الطويل من أكون ؟ هل أنا ذلك الأديب القصاص أو المسرحى أو المفكر أو الفنان أو الطبيب ؟ لقلت : كل ما أريده أن أكون مجرد خادم لكلمة « لا إله إلا الله » وأن أكون بحياتى وبعملى دالاً على الخير ، وقد صدق فيما قال ، وتحقق ما كان يحلم به ،

فكانت حياته وعمله دليلاً على الخير ، لقد عمل طبيباً من ١٩٥٣ إلى ١٩٦٠ فكان طبيباً نائباً فى مصحة العباسية الصدرية ومستشفى دمياط الصدرى ومستوصف أم المصريين وفى سنة ١٩٦٠ استقال من عمله كطبيب ، وتفرغ للكتابة فى الصحف ، مثله فى ذلك مثل يوسف إدريس .

وفى الصحافة كان لمصطفى محمود شأن جديد ، فقد كان يكتب فى مجلة روز اليوسف ، وجدير بالذكر أن مجلة روز اليوسف كانت ـ ولاتزال ، مدرسة الموهوبين فى الصحافة ، وقد اشتهر فى مقالاته بعمق الفكرة وجمال الكلمة ، ولم يلبث أن أصبح فى مدى قصير جداً أديباً ومفكراً كبيراً ، وقد قال إن هزيمة سنة ١٩٦٧ والانهيار الاقتصادى والأخلاقى فى بلادنا كان المشكلة الأولى ومازال ، وهو على حق فى ذلك ، لأننا وإن كنا قد انتصرنا فى حرب ١٩٧٣ فإن هزيمة ١٩٦٧ مازالت محفورة فى صدورنا لأنها كانت هزيمة رهيبة ، وكانت عقاباً قاسياً جداً لنا ، وكانت بداية جديدة لعصر جديد من تاريخنا . وهذا كلام قلته فى هذا البحث أكثر من مرة . وليس من السهل على رجل بالغ الإيمان بالإسلام أن تلقى بلاده مثل هذه الهزيمة على يد إسرائيل ، والمفروض بحسب ما يقوله القرآن الكريم هو أن الإسرائيليين سيعلو أمرهم مرتين ، ولكنهم فى النهاية لابد أن يلقوا العقاب على أيدى أهل الإيمان . وهذا هو ما لابد أن يحدث إن شاء الله .

فى كتابات مصطفى محمود نرى كيف استقر فى ذهنه ـ كما استقر فى أذهان قادة الستينات ـ أنه يجب الخروج من المستنقع الاشتراكى ، ومن بقايا الاقتصاد الشمولى الذى خلفه عبد الناصر : القطاع العام ، والمجانية العشوائية فى التعليم ، والخمسين فى المائة عمالاً وفلاحين ، والظلم الواقع على الملاك من مستأجر الأرض الذى لا يزرعها بل يعود فيؤجرها هو الآخر من الباطن ، وهجرة الريف إلى المدينة وانهيار الزراعة ، وروح الكسل والتواكل وعدم الانتماء والسلبية فى كل شىء ، يجب الخروج تماماً من هذا المنهج الناصرى الفاشل والمخرب ، لأنه لا يمكن البناء على أساس فاسد ولا يمكن رفع البنيان على خراب ، هنا نجد أن مصطفى محمود قد مس فى هذه العبارة بروح ثورة جيل الستينات ثورة عبد الناصر ، وهى ثورة نقودها نحن اليوم ، ولا سبيل إلى إنقاذ مصر من

مآسى العصر الناصرى إلا بالثورة الكاملة عليه . وكما قلت أكثر من مرة قبل ذلك . . إن هذا ليس نقداً لعبد الناصر ، بل إنه نقد للعصر الناصرى ، لأن عبد الناصر كان زعيماً شهماً وقائداً عظيماً للعرب ، ولكن رجاله كانوا من مستوى سيىء ، وهم الذين علموه الاستبداد بعد انتصاره على محمد نجيب وانفراده بالحكم ومصطفى محمود يسأل : متى نخرج من قوقعة الحقد والكسل والخراب النفسى الذى جلبته علينا الاشتراكية ، ونعود أمة عاملة منتجة ؟ متى نخرج من عقدة الفقير والغنى ؟

المسجد مركز الحضارة الاسلامية

ولكن الخطوة الحاسمة فى حياة مصطفى محمود كانت عند إنشائه مسجده ، وكان فى بداية أمره ـــ من ١٣ سنة ـــ مجرد مسجد فى موقعه المعروف اليوم فى المهندسين ، ولكن ذلك المسجد الذى كان إذ ذاك متواضعاً ، كان يضم كل فكرة مصطفى محمود عن المسجد ، وهو أنه مركز الحضارة الإسلامية ، ورسول الله عندما أنشأ مسجده فى المدينة المنورة أنشأه مركزاً للفكر والمجتمع الإسلامى إلى جانب أنه موضع الصلوات . هنا فى جانب من المسجد كان رسول الله ﷺ يعيش فى غرف له ولأزواجه أمهات المؤمنين ، ومن المسجد ولد المجتمع الإسلامى والحضارة الإسلامية ، أريد أن أقول إن مصطفى محمود عندما أنشأ المسجد بمعاونة مالية من أهل الخير كان فى ذهنه أن هذا المسجد لابد أن يلد المستشفى ، وبالفعل ولد المستشفى ، وما كان من الممكن أن ينشىء الرجل المسجد والمستشفى إلا إذا كانت الفكرة فى ذهنه من أول الأمر ، ثم تطور هذا المستشفى ، وزادت ثقة الناس فيه ، فهذا رجل يقدم له الناس تبرعاتهم الكثيرة واثقين من صدقه وإيمانه وعلمه وبعد نظره ، فالمسجد أصبح من أجمل مساجد القاهرة ، وإلى جانبه ـــ ومنه ـــ نشأ مستشفى محمود ، وقد سماه باسم أبيه ، وهذا المستشفى كان فى أول الأمر صغير الحجم ، ولكنه عظيم القيمة ، ثم عظم واتسع بعد ذلك ، ففيه كل التخصصات ، والألوف يعالجون فيه ، ولم يسبق قط أن استطاع مصرى أن ينشىء مسجداً ويخرج منه مستشفى بهذا الكمال ، والرجل ينشىء ما ينشىء وهو فى الغاية من

التواضع ، لأنه مسلم عميق الإيمان ، والمستشفى الذى يتطور كل يوم يتطور فى الاتجاه الصحيح ، لأن الرجل طبيب ، وطبيب مخلص صادق ، وهو أمين جداً ، فالناس تضع فى يده تبرعاتهم العديدة وهى واثقة أن كل مليم منها سينفق فى موضعه ، وأنا قد تفرجت على مستشفى مسجد محمود أو قل مستشفياته واستوقفنى علم ذلك الرجل وأمانته ، فقد نما المستشفى حتى أصبح مستشفيات ، وكلها على أحسن الصور وأكملها علمياً . والرجل ينشىء ذلك كله بأموال ناس من المصريين والعرب من محبى الخير والإنسانية ، وهو يدير ذلك كله دون مرتب أو أتعاب ، إنما هو يقوم بذلك العمل الجليل لوجه الله سبحانه وتعالى ، لأننا هنا مع رجل هو الغاية فى الأمانة والإسلام ، وهو فى ذاته أكبر رد على أولئك الذين يتهمون هذا الجيل ويزعمون أنه كله لصوص . لا يا سادة . . هذا جيل وطنى أمين كريم ، وهو يبنى بالأمانة والذمه والضمير مصر اليوم للغد .

وقد قص مصطفى محمود قصة مستشفياته فى مدخل التقرير السنوى للنشاط الطبى لسنة ١٩٩٠ ، وملخص كلامه أن أول ما تم إنشاؤه من المؤسسات العلاجية الملحقة بالمسجد كان معملاً متواضعاً للتحاليل الطبية وعيادات للأمراض الباطنة والعيون والأسنان ، وكانت القاعدة أن تساهم الزكاة فى دفع نفقات العلاج للمريض المعدم أو محدود الدخل ، كما كانت تساهم فى سداد خسائر الوحدة من النفقات فى البداية لقلة الوارد ، وحينما زاد عدد المرضى حتى بلغ ٢٥٠٠٠٠ مريض فى السنة ، أصبحت السياسة هى استخدام فائض الدخل فى استحداث منشآت جديدة أو شراء أجهزة طبية متطورة وحديثة أو إدخال تخصصات جديدة فى الطب لم تكن موجودة من قبل ، وتدعيم الخدمة بكل ما هو حديث بإحلاله محل القديم وصيانة الموجود من خلال شركات متخصصة مع التطلع الدائم لكل جديد يتوصل إليه العلم لتحسين الخدمة ، وهكذا تطورت البداية البسيطة من مجرد عمل متواضع وعيادات قليلة إلى مدينة طبية متكاملة ، مركزها مسجد محمود بوحداته العلاجية المتعددة ، ثم المركز الطبى بعمارة الكوثر ، وهو الركن الثانى بشارع جامعة الدول العربية ، ثم الركن الثالث وهو مستشفى محمود ٢٤ شارع النيل الأبيض بميدان لبنان بالمهندسين ، وجميعها تؤلف وحدة خدمية روحها

المسجد ، وفكرة الخير والعطاء وجوهرها معنى نؤمن به جميعاً وهو أن قيمة الإنسان هى ما يضيفه للحياة بين ميلاده وموته ، وأن الدين عمل ، والتقوى عمل وليست مجرد طقوس ومناسك .

وهذا كله أنشأه مصطفى محمود بالنية الطيبة والتقى والإسلام وحب مصر ، فإن الناس ــ كما قلت لك ــ تضع فى يده الملايين وهى واثقة من أنه سيستخدم المال للخير . وبالفعل نحن نسأل : ما قيمة المال ؟ والجواب أقصد جواب مصطفى محمود : أن قيمة المال هى ما يأتى به من الخير ، لأن المال فى ذاته لا قيمة له ، وعلى الذين يقولون إن زماننا هذا زمان لصوص أن يذكروا أن مصطفى محمود من أبناء هذا الجيل ــ جيل الستينات ــ وهو رجل خير وعلم وفكر وإيمان ، وأمامك منشآته ، ففكر فيها وقل لى إذا لم تكن قد اقتنعت بعد أن جيل الستينيات جيل خير وإنشاء وإيمان .

- **الاستبداد في الحكم**

هو سبب هزيمة ١٩٦٧

- **الفلسطينيون**

ينبغى أن يغيروا سياستهم
جيل الثمانينات وقضية المستقبل

- **د. إبراهيم أحمد شركس**

نحن في حاجة إلى تغيير لا إلى مجرد تطوير
لم يعد من الجائز لنا أن نقبل الأمية

الاستبداد فى الحكم
هو سبب هزيمة ١٩٦٧

■■ أظن أن ما قلناه إلى الآن عن جيل الستينات فيه كفاية فكل ما قصدنا إليه هو أن نوضح الدور الحاسم الذى قام ويقوم به جيل الستينات فى تاريخ هذا البلد ، وهذا مثال من التاريخ الحاضر ، والتاريخ الحاضر مفهوم جديد فى التاريخ فقد كانت العادة ألا نؤرخ إلا للماضى بل كانت هناك قاعدة تقول لا تؤرخ إلا لما انقضى عليه خمسون سنة وقد تغير ذلك وظهر التاريخ المعاصر والتاريخ الحاضر بل ثبت أن التاريخ المعاصر والحاضر لهما ميزتان كبيرتان وهما أنك تؤرخ لأشياء أنت حضرتها وتعرف عنها الكثير وتستطيع أن تكشف عن الكثير من حقائقها وأسرارها .

ونحن بالفعل كشفنا الكثير من حقائق الستينات وإن كنا قد اضطررنا إلى ذلك لأن هذه أول محاولة للتأريخ لذلك العصر اضطررنا إلى الكلام على الأشخاص أو الأعلام لأن هؤلاء الأعلام هم الذين يصنعون التاريخ . وقد تأكدنا من ذلك فى كلامنا وبسطنا كيف أن رجالاً بأعيانهم صنعوا النصر والنهضة الكبرى ووضعوا أسس عصر الصعود الذى نعيشه اليوم ، ومن الممكن لمن يريد أن يعيد النظر فيما كتبته لكى يبحث عن أسرار

جديدة لتاريخ مصر المعاصر . والعامل الأكبر الذى دفعنى إلى كتابة هذا التاريخ الحاضر هو أننى لا أريد أن تنحط مصر مرة أخرى إلى المستوى الإدارى المنخفض الذى انتهى بها إلى هزيمة ١٩٦٧ فتلك كانت جريمة فى حق مصر . وهل كان من المعقول أن ينهزم جيشنا دون أن يحارب ؟ وأن نفقد سيناء وتتعطل قناة السويس بسبب خلاف شديد بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ؟ وقد بينت أن تلك الهزيمة التى كانت فى الوقت نفسه إهانة للكرامة المصرية كانت العامل الأساسى فى بناء النصر الذى حققناه فى أكتوبر ١٩٧٣ لأن زعماء المصريين اعتبروا أن التصرفات التى أدت إلى تلك الهزيمة المهينة لا يمكن أن توصف إلا بأنها خيانة ، وأن على كل المصريين أن يتجمعوا ويتحدوا ويرتفعوا بالمستوى المعنوى لمصر لكى نخوض معركة حقيقية مع إسرائيل وننتصر عليها ، وليس من المعقول على أى حال أن ندع إسرائيل تحقق ما تحلم به من إنشاء دولة إسرائيلية كبرى داخل وطننا العربى ورسالة جيلنا ــ الثمانينات والتسعينات ــ هى إيقاف إسرائيل عند حدها .

رأينا كيف أن مصر كلها نهضت بعد هذه الهزيمة وجمعت صفوفها ونجحت فى هزيمة إسرائيل واسترداد سيناء وحركت قناة السويس ثم واصلت العمل بعد ذلك حتى عادت إلى العالم العربى وتولت قيادته فى المعركة التى لابد أن تقع بين العرب وإسرائيل ، لأن مطامع إسرائيل خطيرة ولابد من إنقاذ العالم العربى منها ، ولا تكفى هنا هزيمتها سياسياً بل لابد لكى نضمن مستقبلاً آمناً للعالم العربى من أن نحطم إسرائيل تماماً ولا مفر من ذلك . وإسرائيل لا تخفى نواياها ، وفى أيامنا هذه يتجه إسحاق شامير ومن حوله نحو إنشاء دولة إسرائيلية ضخمة فى قلب العالم العربى . وهذه الدولة تهدد كل العرب ، ومن هنا فلابد أن تكون للعرب سياسة للنجاة من ذلك الخطر وهذا هو ما سأتناوله فى هذا الفصل الأخير من هذه الدراسة .

كان السبب الأساسى فى هزيمة ١٩٦٧ هو الاستبداد فى الحكم فليس هناك أخطر على الدول من حكم الرجل الواحد الذى يستبد بالأمر ويتصرف فى شئون البلاد كما يريد ، ولو أن حكومة عبد الناصر كانت ديموقراطية أو شورية تتلاقى فيها آراء ووجوه النظر وتتولى شخصيات من المتخصصين نواحى الإدارة المدنية والعسكرية لما وقعت هذه الكارثة ، ولكن المصيبة أنه كان هناك رجل واحد يعتقد أنه هو السيد الأعلى الوحيد لهذا

البلد وصاحب الكلمة العليا التى لا يجوز لأحد أن يناقشها ، وهذا الرجل عبد الناصر كان شخصية عظيمة وكان رجلاً قادراً ولكن الاستبداد يفسد الرجال . ولنتصور هنا أن ذلك الرجل كان مستاء جداً لأن مواطناً مصرياً آخر هو عبد الحكيم عامر لم يكن خاضعاً له ، وكان هذا يغضب عبد الناصر فلم يكن يتحمل أن يكون فى مصر رجل آخر له جانب من السلطان إلى جواره . والصراع بين الرجلين كان من أكبر أسباب الهزيمة وعلينا أن نحذر من الآن فصاعداً أن يحكمنا رجل واحد لأن ذلك غير معقول ومشاكل الدول أصبحت اليوم من التعقيد بحيث لا يمكن أن تسير أمورها سيراً مأموناً إلا بحكم الجماعة وهذا هو الذى انتهينا إليه قبل نصر أكتوبر أيام الرئيس السادات واستمر العمل عليه فى أيام الرئيس مبارك فالحرية أو الديموقراطية هى أساس قوتنا اليوم . وإذا كانت بعض البلاد العربية الأخرى لاتزال تخضع لحكم الرجل الواحد فلابد أن تغير من أمورها ، وأنا أستثنى هنا الحكومات الملوكية لأن الملوك وإن بدا أنهم مستبدون فإن الأمر على خلاف ذلك والحكومات الملوكية من أكثر البلاد حرية وديموقراطية لأن الملك لا يحكم مستبداً بنفسه أبداً ، بل لابد أن يكون حوله رجال من أسرته ومستشارون من غيرها يشيرون عليه بالرأى والتوجيه والملوكية فى الغالب مركز استقرار وثبات سياسى . وقد بينت فى فصول هذا البحث كيف أن الأذكياء والموهوبين نهضوا بهذا البلد مصر فى شتى الميادين وتحدثت عن الكثيرين منهم والآن أتحدث عن آخرين من أهل المواهب والقيادات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لأننا نمر الآن بعصر من أخطر عصور تاريخنا . فإن إسرائيل فى قلب العالم العربى وهى تعمل على أن تتحول إلى أقوى دول المنطقة وتتصرف فى أحوالها كلها بحسب ما فيه مصالح اليهود فحسب وهذا أمر فى غاية الخطورة ولابد أن نعرف أن هذه السياسة الإسرائيلية لابد أن توقف وهى لن توقف إلا إذا اجتمع العرب كلهم عليها لإنقاذ الوطن العربى والإسلامى من ذلك الخطر الداهم . وأحب أن أقول هنا إننا إذا أردنا نستطيع الوقوف فى وجه إسرائيل ونحن مع العرب بطبيعة الحال أقوى ، ومن هنا فإن سياستنا اليوم ينبغى أن تتجه إلى إنقاذ عالمنا العربى من الخطر الإسرائيلى وقد نجح الرئيس مبارك فى تجميع العرب وقام فى هذا المجال بجهد كبير حقاً ودولتنا المصرية كلها تسير فى هذا الاتجاه اليوم وبقى علينا أن

نضم إخواننا العرب إلينا ، والذى يبدو اليوم أن ذلك عسير ولكنه ممكن وعلينا أن نعمل بكل قوة لكى نحقق التجمع العربى ، بل إننى أذهب إلى أنه من الضرورى أن نضم إيران إلينا ، فقد تغيرت إيران بعد الخمينى ويبدو أن الرئيس رفسنجانى مستعد للتعامل والتعاون فهو مسلم عظيم فلماذا ندعه خارج الصورة أى خارج المعركة ؟

وقد خلف لنا جيل الستينات جيشاً ممتازاً وجيشنا اليوم قوى فعلاً وفى غاية التنظيم وقائده عظيم ولكن إسرائيل فى غاية العدوان ، ونحن محتاجون إلى قوة كبرى لكى نكسب المعركة القادمة ومن حسن الحظ أننا نجحنا فى إضعاف العلاقات الخطيرة التى كانت تجمع إسرائيل إلى الولايات المتحدة والسبب الرئيسى فى هذا التباعد بين إسرائيل وأمريكا هو كبرياء الإسرائيليين فهم فى غاية الكبرياء ولا يهمهم فى الدنيا أحد ، حتى أوربا تقف منهم اليوم موقفاً حذراً لأنهم يسيئون إلى أوربا كلها بتصرفاتها .

الفلسطينيون ، لابد أن يغيروا سياستهم

وقبل أن نتكلم عن إسرائيل ينبغى أن ننظر إلى الفلسطينيين وخاصة منظمة التحرير الفلسطينية . فالحقيقة هى أن رجال المنظمة مغرورون جداً ، ولا سبيل إلى التفاهم السليم مع ياسر عرفات وإذا كان ولابد أن نخوض معركة مع إسرائيل ، فلابد ــ قبل كل شىء ــ من النظر فى أمر المنظمة ورئيسها ياسر عرفات . ويبدو أحياناً أنهم لا ينظرون إلى تحرير الوطن الفلسطينى بالعين نفسها التى ننظر بها نحن إليه وياسر عرفات بالذات لا يبدو الزعيم القادر على تحرير فلسطين ، لأن زعماء فلسطين الحقيقيين هم أهل الوطن الفلسطينى الذين يعيشون اليوم تحت ذل إسرائيل ويواجهونها بالانتفاضة التى أدهشت الدنيا كلها ، ومع أن رجال الانتفاضة ينادون بأن منظمة التحرير هى

رياستهم فإن ذلك مجرد كلام وعندما يجيء الوقت للتفاهم على إنشاء الوطن الفلسطيني المستقل عن إسرائيل سنرى أنهم يختلفون تماماً عن رجال المنظمة الذين عاشوا إلى اليوم على جهاد الكلام وجمع الأموال دون أن يخوضوا معركة ، وأظن أن خير ما نعمله الآن هو أن نصرف النظر عن المنظمة فهي في الواقع لن تخوض المعركة ، وإنما هي تنتظر اللحظة المناسبة للرياسة ، وأن يتركز جهدنا على دول الجماعة العربية وخاصة السعودية وبلاد الخليج ومن هنا فإن اهتمامنا ينبغي أن يتركز الآن على السياسة الخارجية ، فإن مصر وصلت فعلاً إلى مستوى دولى ممتاز وهذا المستوى سيكون أساس النصر بإذن الله .

جيل الثمانينات وقضية المستقبل

د. إبراهيم أحمد شركس

ونحن نعيش اليوم فى جيل الثمانينات بل نحن دخلنا التسعينات وعلينا أن نرسم خطتنا على أن يخوض هذا الجيل المعركة ولا سبيل إلى النصر إلا إذا غيرنا المفهوم الحكومى تماماً ، فنحن فى مسألة التعليم مثلاً نظن أن كثرة الجامعات معناه تقدمنا الجامعى وهذا غير صحيح لأن الأستاذية الجامعية ليست مجرد وظيفة ولقب بل هى ــ أساساً ــ علم قبل كل شيء ، وأساتذتنا المعاصرون ليسوا فى الغالب على المستوى المطلوب . إن فيهم شباباً ممتازاً وهذا الشباب يستطيع أن يحقق الكثير ولكن هؤلاء الشبان موزعون فى نحو إحدى عشرة جامعة بعضها لا يصل المستوى العلمى فيه إلى المستوى الثانوى ، وما رأيك فى أساتذة جامعيين لا يتقنون أية لغة غير عربية ؟ بل إن لغتهم العربية نفسها مستواها ضئيل حتى المتخرجون منهم فى كليه دار العلوم لا يجيدون العربية ، وهذا عيب عظيم ، ولكن الإدارة الجامعية عندنا لا تهتم الاهتمام الكافى بالمستوى العلمى ، إن كنا لابد أن نقول إن مستوانا فى كليات الطب والصيدلة والهندسة والزراعة من حسن الحظ مازال عاليا ويكفى أن نذكر هنا الدكتور إبراهيم شركس ،

وهو مهندس ممتاز فعلاً ، ولد فى ٢٢ نوفمبر ١٩٢٠ بمحافظة الإسكندرية وحصل على بكالوريوس هندسة قسم ميكانيكا من جامعة القاهرة سنة ١٩٤٤ وقد تولى الكثير من المناصب فى العالم الصناعى منها كبير مهندسى شركة الملح والصودا (١٩٥٥ — ١٩٥٨) ثم أصبح المدير العام لهيئة التصنيع (١٩٦٤) ثم أصبح رئيس الإدارة المركزية للتخطيط الصناعى والبحوث الفنية بالهيئة سنة ١٩٧١ ثم انتدب مديراً عاماً لمكتب الهيئة بموسكو (١٩٧٣) ثم عين نائباً لرئيس الهيئة وتنقل فى وظائف شتى بالهيئة حتى أصبح مستشاراً لوزير الصناعة والثروة المعدنية لشئون الهيئة العامة للتصنيع (١٩٨١) ثم مستشاراً لوزارة التعمير (١٩٨٣ وحتى الآن) والرجل متعلم جداً وقد تولى تخصصات علمية كثيراً جداً ، وهو فخر من المفاخر العلمية لمصر وكنا نستطيع أن نفيد منه أكثر مما أفدنا إلى الآن ولكن الرجل قنوع ومتواضع ويندر أن نجد مثله فى مصر اليوم ، وهذا أمر يؤسف له لأننا فعلاً فى هذه المرحلة من تطورنا فى حاجة إلى مثل إبراهيم أحمد شركس فنحن اليوم فى أشد الحاجة إلى المتخصصين فى العلوم لأن الصراع العالمى اليوم صراع علوم ، وربما كان أحسن ما يعمله أمثاله أن يعودوا إلى الجامعة .

نحن فى حاجة إلى تغيير لا إلى مجرد تطوير

وإذا كان جيل الستينات قد قام بما ذكرنا ــ وهو شيء عظيم جداً فما الذى نستطيع أن نعمله اليوم فى جيل الثمانينات والتسعينات ؟

الحق أن الصراع العالمى دخل اليوم مرحلة خطيرة جداً ، ونحن ــ المصريين أقصد ــ مطالبون بأن نخطو خطوة حاسمة حتى نستطيع الثبات للتحدى العالمى والتغلب أولاً على إسرائيل ، .فأقول إن مصر كما سبق أن ذكرت تنقسم إلى قسمين : خمسة فى المائة من السكان متعلمون تقدميون والباقى (٩٥ ٪) أميون غير تقدميين ويكفى أن

نذكر أننا من خمسين سنة ننادى بالحذر من البلهارسيا ونحذر الفلاحين منها ، ولكن البلهارسيا مازالت كما هى ، ونحن نجتهد فى حماية المواطنين منها مع الحرص على سلامة المواطنين وإرضاء خواطرهم ، وهذا غير معقول لأن المطلوب اليوم هو الضغط على الأميين واستعمال العنف معهم لأننا لا نستطيع التقدم قط ، وعندنا هذه النسبة من الأميين المتأخرين . ومن رأيى أننا لابد أن نطالب كل الأميين بأن يتعلموا وأن تفرض غرامات ثقيلة على من لا يقرأ ولا يكتب وليس علينا أن نعاملهم بالحسنى لكى يتعلموا فهذه الحسنى لا تنفع ، ولو فرضنا مثلاً ضريبة على كل أمى ، وطالبناه بأن يتعلم لكى يتخلص من هذه الضريبة فسنجد أن الأميين عندنا سيجتهدون فى التخلص من الأمية ، لأن الناس عندنا يخافون ولا يختشون ، ثم إننا ندلل الناس والتدليل لا يصلحهم ولابد من العنف والقسوة معهم بالضبط كما نفعل مع الأولاد فى المدارس ، فإننا لا نعلم الأولاد بالذوق بل بالعنف والقسوة والضرب إذا تطلب الأمر ، وإذا كنا نقول للناس ألف مرة : يا ناس لا يجوز للمواطن أن ينجب أكثر من اثنين ونجدهم رغم ذلك ينجبون دون حساب ، فماذا نعمل معهم ؟ ليس هناك إلا العنف ، ومن ينجب أكثر من ثلاثة أولاد يؤخذ منه أكبر أبنائه لكى يعمل فى مزارع الدولة لأن الذوق لا ينفع هنا ثم إننا دخلنا فى مرحلة ولا مفر لنا من العنف ، لأن الذوق لم ينفع عندنا إلى الآن ونحن الذين اشتغلنا بالتدريس نعرف أن العنف عندنا ينفع فى حيث لا ينفع الذوق .

وأنا أقول ذلك لأنه لا مفر لنا اليوم من النهوض والتقدم لأن العالم كله يتغير تغيراً حاسماً ولا مكان فيه لدولة ضعيفة أو متأخرة . ونحن المصريين لا نقبل على أى حال أن نكون دولة متأخرة ولكن هناك من المصريين جماعاتٌ كثيرة أمية تعودت التدليل ، وهى لا تريد أن تفهم ، ومع هذه الجماعات لا ينفع إلا العنف .

لم يعد من الجائز لنا أن نقبل الأمية .

فنحن مثلاً ننفق الملايين فى التعليم وعندنا معاهد ونظم مدروسة للقضاء على الأمية ، ومع ذلك فإن نسبة الأمية فى بلدنا تصل إلى سبعين فى المائة على الأقل وهذا غير معقول ولا مقبول ولكننا عودنا الناس عندنا على التدلل فإذا قصر مواطن فى تعليم أولاده

لم نعاقبه بل ليس هناك نظام لمعاقبته وهذا غير معقول ، إن الإهمال فى تعليم الأولاد جريمة فى حق هذا البلد ، وليس من الضرورى أن ننشىء المعاهد لتعليم كل الناس بل يكفى أن نعلن أن كل أبوين عليهما تعليم أولادهما القراءة والكتابة والحساب ثم ندع الناس يتصرفون لأن من لا يعلم أولاده سيعاقب والناس عندنا يخشون العقاب . ولكننا عودناهم على التساهل والتهاون ، فالواحد منهم لا يبعث أولاده إلى الكتاب أو المدرسة لأنه يريده أن يعمل ليحصل من ذلك على إيراد ينفع الوالد . وكلنا نعرف ناساً يخرجون أولادهم من المدارس الابتدائية لكى يعملوا ويحصلوا على مال للوالد أو للأم . وآن أن نعرف أننا لم نعد نحتمل الأمية وآن أن نعرف أيضاً أننا لسنا ملزمين بأن نعلم كل الأولاد فهذا ينبغى أن يكون مسئولية الأب أو الأبوين بل إننا برغم التحذير المتشدد من الاستحمام أو النزول فى الماء الراكد مازال الناس عندنا ينزلون هذا الماء ويأخذون البلهارسيا وهذا خطأ فى حق الوطن ولكننا بدلاً من عقاب من يأخذ البلهارسيا نسعى لعلاجه بالمجان ونقول إن حبوب علاج البلهارسيا توزع مجاناً ولماذا مجاناً ؟ والواحد من هؤلاء الناس يشترى السيجارة الواحدة اليوم بثمانية قروش ونصف ويدخنها فى ثلاث دقائق !

أقول إننا لم نعد نتحمل الأمية ولا البلهارسيا ولا الإصابة بالأمراض التى تضع الدولة الاحتياطات لعدم الإصابة بها وسكاننا اليوم أصبحوا خمسة وخمسين مليوناً ومهما بلغت أموالنا فنحن لا نستطيع القيام بكل مطالب هذه الملايين وتحمل النفقات . وهذا نوع من التدليل ينبغى أن ينتهى والمصريون جميعاً ينبغى أن يتخلصوا من الأمية وينبغى أن يقرءوا تنبيهات الدولة ويتبعوها لأننا كلما قلنا قد دخلنا فى عصر خطير . أقصد أن الدنيا كلها قد دخلت اليوم فى عصر خطير ولم يعد من الجائز أن نكلف رغيف الخبز أربعة عشر قرشاً ثم نبيعه للناس بخمسة قروش ، إننا لابد أن نبيعه للناس بتكاليفه ومعظم المصريين اليوم قادرون على شراء الرغيف بثمنه الحقيقى وليس من الضرورى أن يلتهم المواطن ستة أو ثمانية أرغفة فى اليوم فهذه ليست ضرورية ثم إنها تربى الكروش ونحن قطعاً لسنا فى حاجة إلى المواطنين ذوى الكروش .

وقد أساءت الأجيال السابقة الظن بابن خلدون وقال رجالها إنه لم يوفق فى تطبيق القوانين التى وضعها فى المقدمة على تاريخه ، وذلك يرجع إلى أنهم لم يقرءوا تاريخ ابن خلدون ، ولو قرءوه لأدركوا خطأهم وإليك فقرة من تاريخ المسيحية فى الجزء الأول من التاريخ لترى دقة هذا الرجل ودقة كلامه وإحسانه فهم كل التفاصيل الخاصة بالمسيحية . واحب أن أقول لك إن تأريخه لليهودية قبل ذلك لا يقل دقة عن تأريخ المسيحية . قال :« فى كتاب يعقوب بن يوسف النجار أنّ أمّها حنة توفيت لثمان سنين من عمر مريم وكان من سنتهم أنها إن لم تقبل التزويج يفرض لها من أرزاق الهيكل فأوحى الله إليه أن يجمع أولاد هارون ويردّها إليهم فمن ظهرت فى عصاه آية تدفعها إليه تكون له شبه زوجة ولا يقربها وحضر الجمع يوسف النجار فخرج من عصاه حمامة بيضاء ووقفت على رأسه فقال له زكريا هذه عذراء الرب تكون لك شبه زوجة ولا تردها فاحتملها متكرها بنت ثنتى عشرة سنة إلى ناصرة فأقامت معه إلى أن خرجت يوماً تستقى من العين فعرض لها المَلَك أوّلاً وكلمها ثم عاودها وبشرها بولادة عيسى كما نص القرآن فحملت وذهبت إلى زكريا ببيت المقدس فوجدته على الموت وهو يجود بنفسه فرجعت إلى ناصرة وَرأى يوسف الحَمْل فلطم وجهه وخشى الفضيحة مع الكهنوتية فيما شرطوا عليه فأخبرته بقول الملك فلم يصدّق وعرض له الملك فى نومه وأخبره أنّ الذمى بها من روح القدس فاستيقظ وجاء إلى مريم فسجد لها وردّها إلى بيتها ويقال إن زكريا حضر لذلك وأقام فيهما سنة اللعان الذى أوصى به موسى فلم يصبهما شىء وبرّأهما الله ووقع فى انجيل متى أن يوسف خطب مريم ووجدها حاملاً قبل أن يجتمعا فعزم على فراقها خوفاً من الفضيحة فأمر فى نومه أن يقبلها وأخبره الملك بأنّ المولود من روح القدس ، وكان يوسف صِدِّيقاً وولد على فراشه ايشوع انتهى (**وقال الطبرى**) كانت مريم ويوسف ابن يعقوب ابن عمهاوفى رواية عنه أنه ابن خالها وكانا سدنة فى بيت المقدس لا يخرجان منه إلا لحاجة الإنسان . وإذا تَقَدّما ماؤهما فيملآن من أقرب المياه فمضت مريم يوماً وتخلف عنها يوسف ودخلت المغارة التى كانت تعهد أنها للوِرْد فتمثل لها جبريل بشراً فذهبت لتجزع فقال لها إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً فاستسقاها وعن وهب بن منبه أنه نفخ فى جيب درعها فوصلت النفخة إلى الرحم فاشتملت على عيسى فكان معها ذو

قرابة يسمى يوسف النجار وكان فى مسجد بجبل صهيون وكان لخدمته عندهم فضل وكانا يُجَمِّرانه ويَقُمَّانه وكانا صالحين مجتهدين فى العبادة ولما رأى ما بها من الحمل استعظمه وعجب منه لما يعلم من صلاحها وأنها لم تغب قط عنه ثم سألها فردّت الأمر إلى قدرة الله فسكت وقام بما ينوبها من الخدمة فلما بان حملها أفضت بذلك إلى خالتها ايشاع وكانت أيضاً حبلى بيحيى فقالت لها إنى أرى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك ثم أمرت بالخروج من بلدها خشية أن يُعيِّرها قومها ويقتلوا ما فى بطنها فاحتملها يوسف إلى مصر وأخذها المخاض فى طريقها فوضعته كما قصه القرآن واحتملته على الحمار وأقامت تكتم أمرها من الناس وتتحفظ به حتى بلغ ثنتى عشرة سنة وظهرت عليه الكرامات وشاع خبره فأمرت أن ترجع به إلى إيلياء فرجعت وتتابعت عنه المعجزات وانثال الناس عليه يستشفون ويسألون عن الغيوب قال الطبرى وفى خبر السدّى إنها إنما خرجت من المسجد لحيض أصابْها فكان نفخ المَلَك وأن ايشاع خالتها التى سألتها عن الحمل وناظرتها فيه فحجتها بالقدرة وأنّ الوضع كان فى شرقى بيت لحم قريباً من بيت المقدس وهو الذى بنى عليه بعض ملوك الروم البِنَاءَ الهائل لهذا العهد قال ابن العميد مؤرِّخ النصارى ولد لثلاثة أشهر من ولادة يحيى بن زكريا ولإحدى وثلاثين من دولة هيردوس الأكبر ولثنتين وأربعين من ملك أوغسطسُ قيصر وفى الإنجيل أنّ يوسف تَزوّجها ومضى بها ليكتم أمرها فى بيت لحم فوضعته هنالك ووضعته فى مِذْوَد لأنها لم يكن لها موضع نزل وأنّ جماعة من المجوس بعثهم ملك الفرس يسألون أين ولد الملك العظيم وجاءوا إلى هيردوس يسألونه وقالوا جئنا لنسجد له وحدّثوه بما أخبر الكهان وعلماء النجوم من شأن ظهوره وأنه يولد ببيت لحم من ابن سنتين فما دونهاوسمع اوغشطش قيصر بخبر المجوس فكتب إلى هيردوس يسأله فكتب له بِمَصْدُوقية خبره وأنه قتل فيمن قتل من الصبيان وكان يوسف النجار قد أُمِر أن يخرجَ به إلى مصر فأقام هنالك ثنتى عشرة سنة وظهر عليه الكْرامات وهلك هيردوس الذى كان يطلبه وأُمِروا بالرجوع إلى إيليا فرجعوا وظهر صدق شعيا النبى فى قوله عنه من مصر دعوتك وفى كتاب يعقوب بن يوسف النجار حذرا من أن يكتب كما أمر أوغشطش فى بعض أيامه فأجاءها المخاض وهى فى طريقها على حمار فصابرته إلى قرية بيت لحم وولدت فى غار وسماه ايشوع وأنه لما بلغ سنتين

وكان من أمر المجوس ما قدّمناه حذر هيردوس من شأنه وأمر أن يقتل الصبيان ببيت لحم فخرج يوسف به وبأمّه إلى مصر أُمر بذلك فى نومه وأقام بمصر سنتين حتى مات هيردوس ثم أمر بالرجوع فرجع إلى ناصرة وظهرت عليه الخوارق من إحياء الموتى وإبراء المعتوهين وخلق الطير وغير ذلك من خوارقه حتى إذا بلغ ثمانى سنين كف عن ذلك ثم جاء يوحنان المعمدان من البريّة وهو يحيى بن زكريا ونادى بالتوبة والدعاء إلى الدين وقد كان شعيا أخبر أنه يخرج أيام المسيح وجاء المسيح من الناصرة ولقيه بالاردنّ فعمّدَهُ يوحنان وهو ابن ثلاثين سنة ثم خرج إلى البرية واجتهد فى العبادة والصلاة والرهبانية واختار تلامذته الاثنى عشر سمعان بطرس وأخوه اندراوس ويعقوب بن زيدى وأخوه يوحنا وفيلبس وبرتولوماوس وتوما ومتى العشار ويعقوب ابن حلفا وتداوس وسمعان القنانى ويهوذا الأسخريوطى وشرع فى إظهار المعجزات ثم قبض هيردوس الصغير على يوحنان وهو يحيى بن زكريا لنكيره عليه فى زوجة أخيه فقتله ودفن بنابلس ثم شرّع المسيح الشرائع من الصلاة والصوم وسائر القربان وحلّل وحرّم وأنزل عليه الإنجيل وظهرت على يديه الخوارق والعجائب وشاع ذكره فى النواحى واتبعه الكثير من بنى إسرائيل وخانه رؤساء اليهود على دينهم وتوامروا فى قتله وجمع عيسى الحواريين فباتوا عنده ليلتين يطعمهم ويبالغ فى خدمتهم بما استعظموه قال وإنما فعلته لتتأسوا به وقال بعضهم ليكفرنّ بى بعضكم قبل أن يصيح الديك ثلاثا ويبيعنى أحدكم بثمن بخس وتأكلوا ثمنى ثم افترقوا وكان اليهود قد بعثوا العيون عليهم فأخذوا شمعون من الحواريين فتبرّأ منهم وتركوه وجاءَ يهوذا الاسخريوطى وبايعهم على الدلالة عليه بثلاثين درهماً وأراهم مكانه الذى كان يبيت فيه وأصبحوا به إلى فلاطش النبطى قائد قيصر على اليهود وحضر جماعة الكهنوتية وقالوا هذا يفسد ديننا ويحل نواميسنا ويدعى الملك فاقتله وتوقف فصاحوا به وتوعدوه بإبلاغ الأمر إلى قيصر فأمر بقتله وكان عيسى قد أبلغ الحواريين بأنه يُشَبَّه على اليهود فى شأنه فقُتل ذلك الشُّبْه وصلب وأقام سبعاً وجاءت أمّه تبكى عند الخشبة فجاءها عيسى . وقال مالك تبكى قالت عليك قال إنّ الله رفعنى ولم يصبنى إلا خير وهذا شيء شُبِّهَ لهم وقولى للحواريين يلقونى بمكان كذا فانطلقوا إليه وأمرهم بتبليغ رسالته فى النواحى كما عين لهم من قبل . وعند علماء النصارى أنّ الذى بعث من

الحواريين إلى رومه بطرس ومعه بولس من الأتباع ولم يكن حوارياً وإلى أرض السودان والحبشة ويعبرون عن هذه الناحية بالأرض التى تأكل أهلها والناس متى العشار واندراوس إلى أرض بابل والمشرق توماس وإلى أرض أفريقية فيلبس وإلى افسوس قرية أصحاب الكهف يوحناس وإلى أورشليم وهى بيت المقدس يوحنا وإلى أرض العرب والحجاز برتلوماوس وإلى أرض برقة والتر برشمعون القنانانى (قال ابن اسحق) ثم وثب اليهود على بقية الحواريين يعذبونهم ويفتنونهم وسمع قيصر بذلك وكتب إليه فلاطش النبطى قائده بأخباره ومعجزاته وبغى اليهود عليه وعلى يوحنان قبله فأمرهم بالكف عن ذلك ويقال قتل بعضهم وانطلق الحواريون إلى الجهات التى بعثهم إليها عيسى فآمن به بعض وكذب بعض ودخل يعقوب أخو يوحنان إلى رومة فقتله غاليوس قيصر وحبس شمعون ثم خلص وسار إلى انطاكية ثم رجع إلى رومة أيام فلوديش قيصر بعد غاليوس واتبعه كثير من الناس وآمن به بعض نساء القياصرة وأخبرها بخبر الصليب فدخلت إلى القدس وأخرجته من تحت الزبل والقمامات بمكان الصلب وغشته بالحرير والذهب وجاءت به إلى رومية (وأما بطرس كبير الحواريين) وبولص اللذان بعثهما عيسى صلوات الله عليه إلى رومة فانهما مكثا هنالك يقيمان دين النصرانية ثم كتب بطرس الإنجيل بالرومية ونسبه إلى مرقص تلميذه وكتب متى إنجيله بالعبرانية فى بيت المقدس ونقله من بعد ذلك يوحنان بن زيدى إلى رومة وكتب لوقا انجيله بالرومية وبعثه إلى بعض أكابر الروم وكتب يوحنان بن زيدى انجيله برومة ثم اجتمع الرسل الحواريون برومة ووضعوا القوانين الشرعية لدينهم وصيروها بيد اقليمنطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدّ الكتب التى يجب قبولها فمن القديمة التوراة خمسة أسفار وكتاب يوشع بن نون وكتاب القضاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا وأسفار الملوك أربعة كتب وسفر بنيامين وسفر المقباسين ثلاثة كتب وكتاب عزرا الإمام وكتاب أشيرو وكتاب قصة هامان وكتاب أيوب الصديق ومزامير داود النبى وكتب ولده سليمان خمسة ونبوّات الأنبياء الصغار والكبار ستة عشر كتاباً وكتاب يشوع بن شارخ ومن الحديثة كتب الإنجيل الأربعة وكتب القتاليقون سبع رسائل وكتاب بولس أربع عشرة رسالة والايركسيس وهو قصص الرسل ويسمى افليمد ثمانية كتب تشتمل على كلام الرسل وما أمروا به ونهوا عنه وكتاب

النصارى الكبار إلى أساقفتهم الذين يسمون البطارقة ببلاد معينة يعلمون بها دين النصرانية فكان برومة بطرس الرسول الذى بعثه عيسى صلوات الله عليه وكان ببيت المقدس يعقوب النجار وكان بالاسكندرية مرقص تلميذ بطرس وكان بيزنطية وهى قسطنطينية اندرواس الشيخ وكان بانطاكية وكان صاحب هذا الدين عندهم والمقيم لمراسمه يسمونه البترك وهو رئيس الملة وخليفة المسيح فيهم ويبعث نوّابه وخلفاءه إلى من بعد عنهم من أمم النصرانية ويسمونه الأسقف أى نائب البطرك ويسمون القراء بالقسيس وصاحب الصلاة بالجاثليق وقَوّمة المسجد بالشمامشة والمنقطع الذى حبس نفسه فى الخلوة للعبادة بالراهب والقاضى بالمطران ».

- عبد الرحمن الأبنودى
وعبد العظيم رمضان
والشـيخ الشـعراوى

- الدكتور أحمد عبد العزيز النجار
وإنشاء نظام اقتصادى دون ربا

جيل الستينات غنى فى كل المواهب : عبد الرحمن الأبنودى الشاعر وعبد العظيم رمضان المؤرخ الكاتب والشيخ محمد متولى الشعراوى الداعية الإسلامى الكبير والمذيع الكبير فاروق شوشة والصحفى الأديب عبد الوهاب مطاوع وآخرون .

وقد بتهدت فى ألا تفوتنى من رجال الستينات شخصية لها خطر ، لأن هذه الشخصيات هى قيادة العصر والحديث عنها جزء لا يتجزأ من الكلام عن العصر ، أقصد جيل الستينات . ولابد أن أذكر هنا أن ذلك الجيل غنى جدًا فى كل الميادين وغناه هذا هو الذى جعله جيل إنشاء وبناء ، ومن أكبر ما دفعنى إلى الكتابة عنه هو رغبتى أو أملى فى أن تشعر الأجيال التالية بمسئوليتها حيال هذا الوطن وتقوم بخدمته لأننا كما قلنا قد دخلنا فى عصر خطير ولم يعد من الممكن أن نتساهل أو نتهاون وإلا انحططنا إلى مستويات أمم العالم الثالث أو الرابع وأصبحنا ذيلاً من ذيول الأمم وحاشا لله أن تصبح مصر كذلك .

عبد الرحمن الأبنودى
الشاعر

وأحاول أن أستكمل فى سطور الحديث عمن بقى على أن أذكره من أعلام الستينات فأذكر هنا الشاعر عبد الرحمن الأبنودى وهو فعلاً شاعر ممتاز مكتمل لكل خصائص كبار الشعراء وقد ولد فى ١١ أبريل ١٩٣٨ فى أبنود محافظة قنا وهو يقول الشعر بالفصحى والعامية المصرية وأغانيه تجرى على كل لسان وقد فضلته فى الحديث على شعراء كبار من معاصريه مثل صلاح عبد الصبور لأن الأبنودى شاعر أصيل حقًا يصنع الشعر على أجمل صوره التقليدية ، وهذا يهمنا جدًا ونعتقد أنه يهم المسيرة الحضارية المصرية أكثر مما يهمها الشعر غير العمودى الذى قاله صلاح عبد الصبور ، وهو شعر جيد ولكنه ليس مواصلاً للتقاليد الشعرية العربية الأصيلة وأنا هنا لا أقلل من ملكته الشعرية ولكننى أتتبع الخط الحضارى العربى الأصيل وأدع التيارات الفرعية لمن يعنيه أمرها من المتخصصين فى الدراسات الأدبية .

عبد العظيم رمضان
المؤرخ

ولهذا السبب لابد أن أذكر هنا المؤرخ الأديب عبد العظيم محمد رمضان فهو فعلاً من الشخصيات القائدة فى جيل الستينات فهو مؤرخ ممتاز فعلاً ولد فى ١٨ أبريل ١٩٢٥ وحصل على الدكتوراه فى التاريخ الحديث من كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٧٠ وعمل مدرسًا للتاريخ الحديث بكلية الآداب بجامعة المنوفية ووصل إلى أستاذية التاريخ الحديث فى كلية التربية بجامعة المنوفية ثم أصبح عميداً لكلية التربية بجامعة المنوفية (١٩٨٤) ثم عضوًا بالمجلس الأعلى للثقافة سنة ١٩٨٨ ومؤلفاته فى التاريخ المصرى والعربى الحديث عديدة وممتعة وقد اشتهر بمقالاته فى مجلة روزا اليوسف ثم فى مجلة أكتوبر وهو من عمد الفكر فى جيل الستينات ، وكلنا نعتمد على كتابه الممتع عن تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩١٨ — ١٩٣٦) ومن أعظم خدماته للتاريخ تحقيقه لمذكرات سعد زغلول وهى من أعظم وثائق تاريخ مصر الحديثة .

الشيخ محمد متولى الشعراوى

ومع أن الشيخ محمد متولى الشعراوى من مواليد ١٥ أبريل ١٩١١ أى أنه من الجيل السابق على جيل الستينات إلا أن شهرته اتسعت فى الستينات والسبعينات وأصبح من أعلام العصر فى شئون الدين وهو عالم عظيم بالقرآن الكريم ومتحدث بليغ وداعية إسلامى كبير وقد تطور فى الوظائف حتى أصبح وزيرًا للأوقاف وشئون الأزهر (١٩٧٦ — ١٩٧٨) وهو أشهر رجال الدين فى عصرنا وأحاديثه معروفة ومطلوبة فى كل العالم الإسلامى وهو من أبرز الشخصيات فى مجال الدعاية الإسلامية وله مئات الأحاديث والمحاضرات والندوات التى ألقاها فى شتى نواحى العالم الإسلامى . هذا إلى جانب رحلاته إلى شتى نواحى الدنيا حاملاً رسالة الإسلام داعيًا له بأسلوب بليغ لا نكاد نجد له فى عصرنا مثيلاً .

الشيخ عطية صقر
عالم الإسلام العظيم

ولابد أن نذكر هنا الشيخ عطية محمد صقر وفى تصورى أنه أوسع رجال الدين المعاصرين علمًا وأحسنهم رأيًا فالرجل فقيه مكتمل العلم بالفقه ثم إنه إلى جانب ذلك رجل يعيش فى عصره ويبدى آراءه فى حرية تدعو إلى الإعجاب ، وقد أصبح من قريب أميناً عاماً للمجلس الأعلى للدراسات الإسلامية .

فاروق شوشة
الأديب والشاعر والداعية الفكرى

ومادمنا فى الحديث عن جيل الستينات فلابد أن نذكر فاروق محمد شوشة أبلغ وأكبر متحدث فى الإذاعات العربية وهو من مواليد ٩ يناير ١٩٣٦ وتخرج فى كلية دار العلوم سنة ١٩٥٦ ثم حصل على دبلوم كلية التربية بجامعة عين شمس (١٩٥٧) وهو أديب شاعر ولكن دوره العظيم يتجلى فى قيامه بدور المذيع فى إذاعة القاهرة وأمسياته الثقافية أشهر من أن تذكر وهو الوحيد من المذيعين والمتحدثين العرب الذى لا يخطىء فى اللغة العربية . وهذا فضل عظيم وفخر من مفاخر الجيل وبرنامجه الإذاعى اليومى « لغتنا الجميلة » مدرسة نتعلم فيها كلنا .

عبد الوهاب مطاوع
الأديب الصحفى ذو القلب الانسانى

وأختم الأحاديث عن شخصيات جيل الستينيات بذكر الأديب الصحفى عبد الوهاب مطاوع من كبار المحررين فى جريدة الأهرام وهو رئيس تحرير مجلة الشباب ومع أنه ينتسب إلى الجيل التالى لجيل الستينات ولكن شهرته تجلت فى ذلك الجيل وهو دون شك من رجال الغد فى عالم الأدب والصحافة ويمكننا أن نقول إنه من أعلام جيل الستينات .

ولو أردنا أن نذكر كل الأعلام من جيل الستينات لما انتهينا لأن الجيل غنى جدًا وهو لهذا جيل قائد . وكل ما نرجوه هو أن نفيد منه ونبنى عليه ، لأن الجيل التالى له وهو جيل الثمانينات والتسعينات جيل واعد ومن الممكن أن تستمر أجيال مصر فى النهوض بالبلد وبالعالم العربى كله إذا تنبهت إلى عناصر القوة فيها واجتهدت فى أن يرث بعضها فضائل بعض لأننا كما قلنا نعيش فى عصر خطر لا تسلم فيه إلا الدولة القوية القادرة على شق طريقها وسط هذا الزحام . وقد وجدت الكثيرين منا لا يكفون عن الحديث عن اليابان ودول شرق آسيا كأنه من المستحيل علينا أن نجاريها وهذا عيب فإن مصر بلد قائد متصل الحضارة والواجب علينا بدلاً من النظر إلى الآخرين واعتبارهم أنجح منا ــ أن ننظر إلى أنفسنا وإلى أجيالنا لكى يتصل تاريخنا كشعب حضارى قائد على هذه الأرض . وأظن أننى قد استطعت أن أوضح هذه الحقيقة للقارىء فيما مضى من الكلام ، ولهذا فإننى أكتفى بما قلت وأرجو القارىء التأمل فيه لكى تستطيع أجيال المصريين الاستمرار فى النهوض والتقدم .

أحمد عبد العزيز النجار
الاقتصادى الاسلامى الكبير

ونبدأ بالكلام على الدكتور أحمد النجار واسمه الكامل أحمد محمد عبد العزيز النجار ، وأصله من قرية فرسيس مركز زفتى ، ولكنه ولد فى المحلة الكبرى فى ١٧ مايو سنة ١٩٣٢ فعمره الآن (١٩٩٠) ٥٨ سنة تخرج فى كلية التجارة بجامعة القاهرة عام ١٩٥٢ ثم حصل على درجة الماجستير فى التمويل من تجارة القاهرة سنة ١٩٥٤ ثم سافر إلى انجلترا فى بعثة تعليمية للحصول على درجة الدكتوراه وظل بها من ١٩٥٤ إلى ١٩٥٧ مبعوثاً من قبل البنك العربى ، وبعد العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ استكمل دراسته للدكتوراه فى ألمانيا فحصل على الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى سنة ١٩٥٩ .

وكان أثناء دراسته دائم النظر فى النظام الاقتصادى الذى أخذته مصر من الغرب ، وهو نظام الربا والبنوك وهو نظام غير إسلامى لأن الإسلام لا يقبل الربا ، وقد هاجمه القرآن وحرمه أربع مرات ، ومنها قوله تعالى فى سورة البقرة (٢٧٥ — ٢٧٩) ﴿ والذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ،

يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ وهى آيات فى غاية الوضوح والصراحة والتفصيل ، ومع هذه الآيات وأمثالها لا يجوز التعامل بالربا فى أى بلد إسلامى ، ولكن أوروبا عندما غزت العالم الإسلامى وسيطرت على بلاده احتالت حتى أدخلت الربا فى كل المنشآت المصرفية واحتال المفسدون ففسروا هذه الآيات البالغة الوضوح تفسيرات معوجة باطلة ، فقالوا مثلاً إن الربا محرم إذا أنت طلبته واقترضته قبل الإقراض ، أما البنوك فلا تفرض عليك الربا بل تمنحك إياه من عندها ، وهى لا تعانى إذا أعطتك الربا فى حدود معقولة ، ولا يمكن أن تقول فى تلك الحالة إنك تتعامل بالربا أو تحق عليك عقوبته ، وقد مرت هذه الأفكار الفاسدة عندما كان سعر الربا الشائع لا يزيد على ٤ ٪ ولكن ما القول فى حين البنوك تعطيك اليوم رباً قدره ١٥ أو ١٦ فى المائة كل سنة ؟

تعلق فكر أحمد عبد العزيز النجار بروح هذه الآيات القرآنية وقال من بداية عمله : أنا لا أتعامل بالربا ولا أودع أموالى فى البنوك بسعر مقرر واضح منذ البداية ، فقالوا له وماذا نعمل إذن ؟ فقال ننشىء بنوكاً إسلامية لا تعتمد على الربا بل تأخذ أموال المودعين وتستعملها فى المشروعات ، وفى آخر السنة تقسم الأرباح بين المتعاملين مع البنك وأصحابه تقسيماً عادلاً .

ومضى يدعو لتنفيذ هذه الفكرة ، وهو لم يعمل فى الجامعات المصرية أستاذاً منتظماً لكيلا يكون مضطراً مثل غيره من أساتذة الاقتصاد إلى تدريس الاقتصاد الربوى وإنما هو عمل أستاذاً غير متفرغ للدراسات العليا بجامعة القاهرة وجامعة عين شمس من ١٩٦٢ إلى ١٩٦٧ .

وكان يدرس مادة المصارف تدريساً حراً فهو لا يثق إلا فى المصارف الإسلامية التى تعتمد على توزيع جزء من الأرباح على المودعين آخر السنة ، والمودعون فى تلك البنوك شركاء فى رأس مال البنك .

وقام خلال هذه المدة (١٩٦٢ — ١٩٦٧) بإنشاء بنك يقوم على الادخار فى ميت غمر ، وقد لقى البنك إقبالاً من الناس وكثر المودعون فيه واختاروا الدكتور النجار مديراً لمشروع بنوك الادخار المحلية فى ميت غمر وهى بلدة ريفية فى مديرية الغربية ، ولقيت أفكاره إقبالاً عالمياً فاختير رئيساً لقسم الاقتصاد بجامعة أم درمان فى السودان وكان قسم الاقتصاد بهذه الجامعة أول قسم اقتصاد إسلامى فى العالم وظل فيه من ١٩٦٧ إلى ١٩٦٩ .

ومن هناك اختاره الألمان أستاذاً بجامعتى كولون وبرلين فى ألمانيا ، ثم أصبح نائباً لرئيس المعهد الدولى للادخار والاستثمار بألمانيا من ١٩٦٩ إلى ١٩٧١ . وجدير بالذكر أن ألمانيا عرفت بعد الحرب العالمية الثانية نظاماً مصرفياً داخل النظام الاقتصادى العام يقوم على الادخار والاستثمار ، أى يقوم على توزيع نصيب من الأرباح على المودعين فى آخر العام ، ولكن هذه البنوك الادخارية ليست كبيرة ولا كثيرة العدد مع أنها توزع على المودعين فيها نصيباً من الأرباح يصل أحياناً إلى ١٠ أو ١٢ فى المائة ، ولكنهم يرون فى ألمانيا أن نظام بنوك الادخار والاستثمار لا يمكن أن يتسع ليشمل الأعمال المصرفية الكبيرة ، لأن البنوك الكبيرة يسير العمل فيها على أساس الربا أى تحديد نسبة عامة من الربح تطبق على كل المودعين .

وقد أعجب رجال الاقتصاد فى ألمانيا بتفكير الدكتور النجار ، ولم يكونوا يعلمون بأن الإسلام يحرم الربا وكان المشروع الذى أنشأه النجار فى ميت غمر قد اتسع وأنشأ فروعاً فى القرى المحيطة بها ، وبطبيعة الحال عمل النظام المصرفى الربوى السائد فى مصر على إيقاف اتساع هذا النظام ، وبالفعل فإنه لم يتسع خارج منطقة ميت غمر . ولكن الدكتور النجار مضى يشجع المشروع ويعمل فيه مجاناً دون مقابل . إنه واحد من الأيديولوجيين المناضلين . وهؤلاء دائماً أقوياء فى الصراع .

ومن سنة ١٩٦٢ إلى ١٩٦٧ استطاع خلال تجربته فى ميت غمر أن يضع لأول مرة الأسس العلمية والعملية لإنشاء البنك الإسلامى . وقد خربت مراكز القوى اليسارية هذه التجربة الناجحة، وأوقفتها . وكان قد عين بعد عودته من السودان مستشارا فى وزارة الخارجية المصرية ، ثم عين مديراً للإدارة الاقتصادية بمنظمة مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامى ثم مستشار بنك ناصر الاجتماعى . واستدعى إلى مصر عام ١٩٧١ وكلِّف بعمل الدراسة المصرية لمؤتمر وزراء الخارجية لإنشاء البنوك الإسلامية سنة ١٩٧٢ .

ثم اختير أميناً عاماً للاتحاد الدولى للبنوك الإسلامية ، ومازال يشغل هذا المركز إلى اليوم ، وهذا العمل يضطره إلى السفر الدائم حتى إنه يندر أن يستقر فى بيته فى مصر أكثر من شهر . وهذا السفر الدائم يعذبه ولكنه أيديولوجى ، كما قلت لك ، وهو دون شك أعظم اقتصادى مصرى فى عصرنا هذا . وهو يضطر أحياناً إلى تحمل نفقات السفر إلى بلاد بعيدة مثل أندونيسيا ليزور البنوك الإسلامية هناك .

والنشاط الذهنى لهذا الرجل واسع ، وهو يؤلف بالعربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية وتساعده فى ذلك زوجته السيدة كارولا ، وهى ألمانية ولكنها آمنت بأفكاره الاقتصادية وأسلمت وتمصرت ، ولها منه ولد وبنت ، وقد ألف بالألمانية كتاب التمويل فى الدول النامية . وألف كتابه « بنوك بلا فوائد باللغة العربية » سنة ١٩٧٢ ، وأعاد طبعه ١٩٧٩ ونشره بالألمانية سنة ١٩٨٢ ثم بالإنجليزية والفرنسية ، وقد ألف عنه الأستاذ ك . ريدى كتاباً طيباً جداً R.K.Ready, Jnterest- Free Banks and Social exchange .

ويسمى هذا الكتاب أيضاً : الفلاح المصرى فى مرحلة تطور . وهذا الرجل أستاذ فى جامعة أونتاريو فى كندا « ولكنه وفد على مصر ليعمل فى معهد الإدارة فى مصر فاتصل بالدكتور النجار وأعجب به وألف فيه وفى فلسفته الاقتصادية والإسلامية هذا الكتاب » ، وبعد فقد آن أن أتوقف فى الكلام عن هذا العبقرى وفلسفته الاقتصادية الإسلامية لأن الكلام عنه لا ينتهى ، ولكنى أنصحك أن تقرأ عنه الكتاب الجيد الذى كتبه الأستاذ محمد شلبى .

- **أحمد عادل كمال**

اقتصادى ومؤرخ إسلامى ومجاهد عظيم

- **حسان محمود حتحوت**

طبيب ممتاز وانسان جليل

- **عادل اسماعيل جزارين ..**

وفشلنا فى صناعة السيارات

- **أحمد رائف**

اقتصادى ومنشىء دار من أعظم دور النشر فى مصر

- **عبد اللطيف أحمد الشريف**

من أعظم الاقتصاديين ورجال الصناعة

فى مصر اليوم

شخصيات عبقرية تقود الاقتصاد فى العالم الاسلامى اليوم

■■ عندما وصلت إلى نهاية هذه السلسلة وأتيت القارىء بمعظم الشخصيات القوية التى تزين جيل الستينات وتقوده إلى قيادة مصر فى الأجيال القادمة خاصة جيل الثمانينات تبينت أنه فاتنى أن أتكلم عن عدد من شخصيات الستينات التى تعتبر زعامات قومية تقود مصر إلى مستقبل أحسن وأحسست أننى لم أتكلم على مجموعة من المواطنين ممتازة بعملها وعقلها وإخلاصها لمصر ، ولن يتسع المجال هنا للكتابة عن كل هذه الشخصيات ، ولهذا فسأكتفى بالكلام هنا عن د. أحمد عادل كمال وعبد اللطيف الشريف وأحمد رائف ممن يقودون الفكر الاقتصادى العربى الاقتصادى فى مصر اليوم .

أكتب الآن عن الأستاذ أحمد عادل كمال وهو اقتصادى عظيم لا يقل ابتكاراً عن د. أحمد عبد العزيز النجار ، وهؤلاء الرجال لا تجد لهم شهرة كبيرة بين الجماهير لأن جهودهم مركزة على العمل دون الدعاية ، وأنا هنا لا أدعو لهم بل أعرف بهم ، لأنهم ــ أساساً ــ ليسوا فى حاجة إلى دعاية ، ولكننا نحن فى حاجة إلى أن نعرفهم ونعرف فلسفاتهم ، وهم دون شك من بناة مستقبل مصر .

أحمد عادل كمال

اقتصادى عظيم

ولد أحمد عادل كمال فى القاهرة سنة ١٩٢٦ وحصل على بكالوريوس المحاسبة من تجارة جامعة القاهرة سنة ١٩٤٦ ثم عمل فى البنك الأهلى المصرى منذ تخرجه فتدرج فى جميع الأعمال المصرفية بفروع البنك وإداراته الرئيسية حتى استقال عام ١٩٧٩ من وظيفة مدير عام فى البنك ليشترك فى إنشاء بنك فيصل الإسلامى ، وهو من أنجح البنوك الإسلامية فى مصر وعين مديراً عاماً للبنك ثم نائباً للمحافظ حتى أغسطس ١٩٨٧ .

ثم أصبح بعد ذلك عضواً بمجلس إدارة البنك « المصرف الإسلامى الدولى للاستثمار والتنمية » ، حتى ٢١ ديسمبر ١٩٨٨ ، وقد شهد عدداً من المؤتمرات والندوات والدورات المصرفية وغيرها بمصر والخارج فزار السودان وليبيا ومالطة والسعودية وقطر والكويت وبنجلاديش والصين وقبرص وتركيا وسويسرا وانجلترا وإيطاليا . فنحن إذن أمام اقتصادى إسلامى عربى مصرى عالمى عظيم لأن الرجل مؤمن بنظرية البنوك الإسلامية أى البنوك غير الربوية فهو ــ مثله فى ذلك مثل أحمد عبد العزيز النجار ــ يرى أن الربا محرم فى الإسلام ، ومادام محرماً فلا يجوز التعامل على أساسه ، وإنما تكون المعاملة على أساس اعتبار المبلغ المودع فى البنك ادخاراً لرأس المال . وفى آخر العام يعطى المودع نصيباً معيناً من الأرباح ، وهذه الأنصبة تختلف من عام إلى عام ، فهى مشاركة عادلة فى الكسب ، ثم إن المودع يعتبر من يوم يودع فيه مشاركته

ويعتبر عضواً فى البنك ، وله الحق فى حضور الجمعيات العمومية والمناقشة فيها ، ولا شك أننا لو أدخلنا هذا النظام وعممناه فى بنوكنا فإننا سنتخلص من الربا أولاً ، ثم سنجد أن المودعين تزداد أرباحهم ، ونكون فى النهاية قد وضعنا اقتصادنا على أساس اقتصادى أسلم من نظام البنوك الربوية ، والعجيب أن البنوك الربوية تنشىء بداخلها أقساماً إسلامية ، فإذا أردت الإيداع فيها على الأساس الربوى استطعت ، وإذا أردت أن تعامل على أساس إسلامى كان لك ذلك ، فقل لى والله كيف ينفذ ذلك ؟ أم أن المسألة كلام والسلام ؟

ويلتقى الأستاذ أحمد عادل كمال معى فى هواية التاريخ الإسلامى ، فهذا التاريخ هو هوايته وله فيه تواليف غاية فى الإتقان ، وقد اتجه إلى التأريخ للفتوح الإسلامية الكبيرة الأولى ، وصدرت له كتب رائدة عن فتوح العراق والشام « الطريق إلى المدائن » « والساسانية وسقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية » والطريق إلى دمشق ، كما صدرت له كتب أخرى عن أربعة من الصحابة الفاتحين ، هم النعمان بن مقرن المزنى بطل وشهيد وقائد معركة نهاوند التى أكملت القضاء على الدولة الساسانية وفتح فارس وطليحة بن خويلد وطليحة الأسدى أحد زعماء الردة « وقد تاب طليحة وتكشف عن بطل نادر من أبطال الفتوح » ، وعدىّ بن حاتم الطائى ، وهو أبرك رجل على قومه بنى طيىء ، وهو من كبار أبطال الفتوح ، وأصبح من أكبر أنصار على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم محمد بن مسلمة الأنصارى وهو رجل الشئون اليهودية فى العصر النبوى ، والنيابة الإدارية فى عهد عمر . وقد استهدفت هذه الكتب التعريف برجال الصف الثانى من جيل الصحابة . وقد كان من المراجعين للفصول الخاصة بالسيرة النبوية وعصر الفتوح من أطلس الإسلام الذى شرفنى الله بتأليفه .

وللدكتور أحمد عادل كمال تحت الطبع أطلس الفتوح الإسلامية ، وهو أطلس ممتاز وموسع جداً . وقد أعد أيضاً أطلس تاريخ القاهرة ، وكتاباً عن الفتح الإسلامى لمصر ، كما صدر له أيضاً كتاب النقط فوق الحروف عن العمل الفدائى والإسلامى بمصر فى الأربعينات وأوائل الخمسينات ، وله كذلك رسالة عن علوم القرآن . وقد حصل على جائزة الدولة التشجيعية للتاريخ والآثار ووسام العلوم والفنون من الطبقة

الأولى سنة ١٩٧٧ . وأحمد عادل كمال مجاهد سياسى إلى جانب ذلك كله فهو أساساً إسلامى الاتجاه والروح ، وقد اتهم فى العهد الملكى سنة ١٩٤٨ بالعمل ضد القوات الحليفة وهى بريطانيا ، وضد اليهود فى مصر ، وصدر حكم محكمة الاستئناف بحبسه سنتين سنة ١٩٥١ وكان من بواكير أعمال الثورة إصدار عفو عن ذلك الحكم ، غير أن الثورة ما لبثت أن اعتقلته سنة ١٩٥٤ وظل معتقلاً حتى سنة ١٩٥٦ ثم اعتقلته الثوره مرة أخرى من ١٩٦٥ إلى ١٩٧١ .

وهو كذلك مفكر إسلامى وله آراء غاية فى الطرافة فى تاريخ الإسلام ، ومن رأيه أن المسلمين يمرون اليوم بفترة من أسوأ فترات تاريخهم ، وهى فترة اضمحلال فى تاريخهم ، ذلك انه يرى أن أعظم ما قدمه الإسلام للإنسان هو تربيته تربية إسلامية ، وتلك التربية فى رأيه هى غلاف جلدى يحوى هيكلاً عظمياً مكسواً باللحم فإذا خلا الإنسان من مضمونه الروحى المتصل بالله صار مثل بقية الثدييات .

فنحن إذن أمام شخصية غنية جداً ، فهذا رجل اقتصادى قدير جداً ومؤرخ إسلامى متقن ومفكر جدير بالإعجاب فى التاريخ ، وهو من هنا يعتبر من عباقرة جيل الستينات وبناة مستقبل مصر .

* * *

د. حسان محمود حتحوت

■ هذا رمز كبير من رموز العلم والخير فى عصرنا هذا ، إنه طبيب ولكنه فى نفس الوقت رجل خير وفضل وإنسانية ولد الدكتور حسان محمود حتحوت فى ٢٣ ديسمبر ١٩٢٤ بشبين الكوم محافظة المنوفية ، وتخرج فى كلية الطب سنة ١٩٥٢ وتخصص فى أمراض النساء والولادة ، ثم حصل على دبلوم الجراحة من جامعة القاهرة ، وحصل على زمالة كلية الجراحين الملكية بأدنبرة ، ثم حصل على زمالة الكلية الملكية لأطباء أمراض النساء والولادة بالمملكة المتحدة ، ثم حصل على دكتوراه الطب من جامعة أدنبرة ، وزمالة كلية الجراحين الأمريكيين ، وقد بدأ حياته العملية بوزارة الصحة المصرية ، ثم عمل فى السعودية (١٩٥٢ — ١٩٥٥) ثم أصبح رئيس وحدة بوزارة الصحة بالكويت (١٩٥٨ — ١٩٦١) ومدرساً بكلية الطب بجامعة أسيوط (١٩٦١ — ١٩٦٥) ثم أستاذاً مساعداً بطب أسيوط (١٩٦٥ — ١٩٧٠) ثم انتقل إلى العمل بالكويت ، وهو الآن أستاذ ورئيس قسم أمراض النساء والولادة بكلية الطب بجامعة الكويت ، وهو إلى جانب امتيازه فى الطب إنسان خير وكريم ، ومصرى ومثالى ولا يكاد يترك مشروعاً طبياً خيرياً فى مصر إلا شارك فيه ، وأنا أضعه هنا لكى يرى القارىء أن هذا الجيل وجيل الستينات جيل منشىء يبنى هذا الوطن ـ مصر ـ بالعلم والخير .

عادل اسماعيل جزارين ..
وفشلنا فى صناعة السيارات

اشتهر عادل جزارين بإدارته لشركة النصر للسيارات ، ونحن نذكره هنا لأن لدينا ـ إلى جانب تقديره ـ ملاحظات على عمله ، وهى ليست ملاحظاتنا ، وإنما هى ملاحظات رجال الأعمال والمهندسين ، ولد فى ٢٠ مارس سنة ١٩٣٦ بمحافظة الإسكندرية ، ودرس وتخرج فى كلية الهندسة بجامعة الإسكندرية (١٩٤٦) وحصل على الدكتوراه فى الهندسة الميكانيكية (١٩٥١) من المعهد الفنى العالى بزيوريخ ، وتدرب فى المصانع السويسرية (١٩٥٢) ثم درس فى الولايات المتحدة (١٩٥٣) ثم انتقل مراقباً للصناعات الهندسية بوزارة الصناعة من ١٩٥٧ إلى ٥٩ ومديراً للتخطيط لشركة النصر للسيارات من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٢ ، وتطور كثيراً مع الوظائف حتى أصبح رئيساً لمجلس إدارة شركة النصر لصناعة السيارات من ١٩٦٨ إلى ١٩٨٣ ، وخلال هذه الفترة يقولون إنه كان يستطيع أن يخطو خطوات حاسمة بصناعة السيارات فى مصر ، ولكن الشركة ظلت شركة تجميع قطع السيارات وإخراج سيارات فيات باسم نصر من طرز مختلفة ، وهذه حقيقة قررها الرئيس مبارك بنفسه ، وأعتقد أن الدكتور عادل جزارين لو أراد أن يخطو بالشركة إلى صنع السيارات فعلاً لصنعها لو كان عنده طموح الستينات ، والقاعدة عندنا هى أن من يريد تنفيذ شيء ، ولديه الإرادة الكافية ،

استطاع تنفيذه ، وشركة « سيات » للسيارات فى برشلونه نشأت عن تطور منتظم لصناعة سيارات فيات فى اسبانيا ، فقد رسموا خطة تقوم على صنع جزء من عشرة من السيارة كل سنة ، وفى خلال عشر سنوات كانوا قد صنعوا سيارة سيات ، واستقلوا عن فيات ، هذا أيضاً كنا نستطيع نحن عمله لو أردنا ، وقد رأيت ما استطاع مصطفى محمود عمله من لا شيء عندما أراد . وعادل جزارين رجل صناعة ممتاز ، وكان يستطيع أن يخطو بالصناعة فى مصر هذه الخطوة لو أراد .

هذا ما نعتقده ، وهو ليس نقداً فإن الرجل أجلُّ من أن نوجه إليه أى نقد ، إنها ملاحظة فحسب ، ملاحظة تصدر عن قلب ملىء بالخير والحب للدكتور عادل جزارين ومن فى مستواه من كبار المواطنين . .

أحمد رائف
اقتصادى ومنشىء دار من أعظم دور النشر فى مصر

ومن كبار الناشرين فى جيل الستينات الاستاذ أحمد رائف صاحب دار الزهراء للنشر ، وقد عرفته أيام كنت أبحث عن ناشر لأطلس تاريخ الإسلام ، ولم يكن نشر هذا الأطلس بالعملية « الصغيرة ، فقد تكلف نشره حوالى المليون جنيه ، وقد أطلع عليه نفر من الناشرين السعوديين ، ورغم غناهم فقد ترددوا فى النشر ، ومعظمهم رفضوا ذلك خوفاً على أموالهم حتى لقيت الأستاذ رائف وعرضته عليه فتصفحه بعناية وقال هذا عمل علمى إسلامى عظيم وستنشره دارنا مهما تكلف ذلك من أموال ، وبالفعل قامت الدار بالنشر واشترك فيه أحمد رائف ، وتكلف مئات الألوف فى اعداد الأطلس للطبع قمت بإعادة عمل الخرائط بغاية الإتقان وسافرت إلى ميلانو أكثر من مرة . ودار الزهراء أنفقت بكرم عظيم ، ولم تتردد فى إرسال الأطلس بعد إتمام خرائطه وكتابة نصه إلى سنغافورة للطباعة حتى صدر الأطلس فى ثوبه المعروف بعد أن تكلف ، كما قلت ، فوق المليون جنيه ومئات الألوف من الدولارات ، وقد كان للأطلس أثر كبير فى تثبيت أقدام الدار فى سوق النشر فأصبحت دار الزهراء من أعظم دور النشر فى العالم العربى والإسلامى .

ولابد أن أقول لك إن الأستاذ أحمد رائف منشىء الشركة وصاحبها مؤرخ وأديب ، فقد ولد فى شبين القناطر قليوبية فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٤٠ وتخرج فى قسم التاريخ بكلية آداب جامعة القاهرة سنة ١٩٦٢ وكان يعمل فى كتابة روايات تاريخية ، ولكن حكومة عبد الناصر اعتقلته بتهمة أنه من الإخوان سنة ١٩٦٥ ، وقضى فى السجن إلى سنة ١٩٧١ ، وتعلم الكثير جداً خلال هذه المدة وفصل ذلك فى كتابه « البوابة السوداء » الذى طبع إلى الآن خمس طبعات ، وهى وثيقة تاريخية . وخرج من السجن سنة ١٩٧١ واتجه إلى كتابة روايات إسلامية تاريخية وإنتاجها إذاعياً وتلفزيونياً ، وكان أول مواطن مصرى يقوم بالإنتاج الإذاعى والتليفزيونى وأنشأ لذلك قطاعا خاصاً ، وقبل ذلك كانت الحكومة فقط هى التى تقوم بهذا الإنتاج ، ففتح أحمد رائف هذا الباب للجمهور ، فقد كتب مسلسلات ضخمة لقيت نجاحاً عظيماً فى كل البلاد الإسلامية ، مثل مسلسل جمال الدين الأفغانى (٣٠ حلقة) وقد تكلف إخراجه مليونا وربعا من الدولارات عام ١٩٨١ ، ثم كتب وأنتج مسلسل « الطريق إلى القدس » عن قصة القدس وتضحيات المسلمين فى سبيلها ، بما فى ذلك استرجاع صلاح الدين لها من أيدى الصليبيين ، بل وصل بأسطورة القدس إلى اليوم (٣٠ حلقة) وهذا المسلسل تكلف مليونا وربعا من الدولارات ، واستمر يكتب حتى بلغ عدد مسلسلاته ستين مسلسلاً عربياً إسلامياً ، فهل هذا قليل بالنسبة لمواطن واحد ؟ وجدير بالذكر أن كلاً من هذه المسلسلات بيع فى كل بلاد العرب والإسلام بعشرة أضعاف تكاليفه .

وقد اشتهر بالأمانة والدقة فى المعاملة ، فلا غرابة إن أقبل عليه الناس يودعون أموالهم عنده فقبلها ، ولما لا ؟ ولكنه أنشأ دفاتر وسجلات وقام بعمله فى توظيف الأموال على أحسن نظم البنوك ودفع للناس أرباحاً محترمه جداً بأمانة تامة .

مثل هذا الرجل تضع الحكومة يدها على شركته ورأس ماله لماذا ؟ إذا لم يكن أحد قد شكا للدولة من تأخر أرباحه ، وإذا كان الرجل يوظف الأموال فى أعمال ثقافية إسلامية وعربية ، فلماذا تتدخل الحكومة فى أعماله ؟ ولماذا تطالبه بأن يرد كل الأموال التى أودعها الناس عنده فى سبعة أشهر ؟ فهنا فسدت العلاقة الطيبة بينه وبين بعض

المودعين ، لأن الحكومة أطمعتهم فطالب بعضهم بأرباح سنتين مع أن المبلغ الذى أودعه لم يمكث فى الشركة أكثر من سنه ، ولكن هكذا تفسد العلاقات بين الناس بتدخل الحكومة ، ونذكر هنا مثالاً عجيباً ، فإن الزهراء أعطت رجل نقل لها حمل كتب بسيارة كاميون وأخذ أجره ، ثم أعطاه أحمد رائف عشرة جنيهات بقشيشاً ، فيسأله المحقق : وكيف تعطى هذا الرجل عشرة جنيهات بقشيشاً ؟ والرجل رد قائلاً : يا أخى هذا مالى أعطى منه بقشيشاً أو لا أعطى فما دخلك فى هذا ؟ وهذا يدلك على غرابة أولئك المحققين الذين يريدون أن يرهقوا الناس وبس ، ثم من هم أولئك المحققون ؟ مواطنون مثلنا ، فكيف تسلط الدولة مواطناً على مواطن وتفسد العلاقة بين الناس وتسمى هذا تحقيقاً ؟ .

والزهراء أنشأت مطبعة ، وهذه المطبعة نشرت إلى الآن فوق الثلاثين كتاباً ، فما العيب فى ذلك ؟ ولماذا تتدخل الحكومة فى أعمال مطبعة بحجة إن صاحبها يوظف أموالاً.؟ حسناً إنه يوظف أموالاً فهل تستطيعون أنتم أن توظفوا أموالاً بهذه الطريقة ؟ لقد خسر الناس الكثير من الأموال نتيجة لتدخل الحكومة فإن السوق قد توقفت .

شركات عبد اللطيف الشريف

وهذا أيضاً صرح صناعى وتجارى أنشاه مواطن أمين ونجح فيه حتى أصبح اسم عبد اللطيف الشريف علماً من أعلام الاقتصاد والصناعة فى العالم العربى كله ، وعبد اللطيف الشريف ابن المهندس أحمد حسنين الشريف . وهو الذى بدأ أعمال شركته فى نوفمبر ١٩٥٨ وكانت شركة بلاستيك ونجح فيها نجاحاً عظيماً . وهو أول مصرى أدخل صناعة البلاستيك فى مصر ، ونشأ عبد اللطيف الشريف فى رعاية والده ودرس الهندسة ، ثم صار فى نفس طريق أبيه ، فزاد فى حجم صناعته للبلاستيك فأنتج الأجهزة المنزلية والكهربائية والملامين ولوازم الطفل والمواسير والأدوات الصحية والتركيبات الكهربائية والألواح البديلة للفورمايكا والأثاث ، إنها شركة ضخمة بل هى أضخم شركة صناعة بلاستيك فى العالم العربى وهى تصدر إلى الخارج بملايين الجنيهات ، ولو رأيت مصنوعاتها لما صدقت ما ترى ، ومثل هذا الرجل انهالت عليه طلبات المودعين ، وقبل الأموال لأنه كان يريد أن يتوسع فى صناعاته . ولكنه قبل الودائع بنظام يفوق نظم البنوك ، وكان يعطى الناس أرباحهم بغاية الدقة لأنه هو نفسه يربح ، وقد استغنى بودائع الناس عن البنوك وأعطى الناس أرباح البنوك مضافاً إليها أرباحاً أخرى فى حدود ٢٥ فى المائة ، ولم يحدث مرة واحدة أن شكا مودع من أنه يحصل

على الأرباح المسجلة فى عقد الإيداع وبالأموال التى أودعها الناس عند عبد اللطيف الشريف أنشأ صناعات جديدة أعظم أهمية من البلاستيك .

فأنشأ شركة مساهمة خاضعة لأحكام القانون ١٥٩ لسنة ١٩٨١ لإنتاج وصناعة وتجارة وتوزيع الألياف الصناعية والبلاستيك ونسيجها والحصير والسجاد والأجولة والشكاير والأكياس والشبك (جمع شبكة) وخيوط النايلون والخامات والآلات والمعدات وقطع الغيار ولوازم الإنتاج وأعمال الوكالة التجارية والاستيراد والتصدير وكل ذلك برأس مال قدره ستون مليون جنيه ، ولو رأيت مبنى مصنع هذه الشبكة لتعجبت من ضخامته وجمال بنائه ، وكل هذه المنتجات أساسية بالنسبة لمصر ومن منا يستغنى عن الأجولة (جمع جوال) .

رقم الايداع بدار الكتب ١٨٩٩ / ١٩٩٣

ISBN : 977 - 01 - 3250 - 0